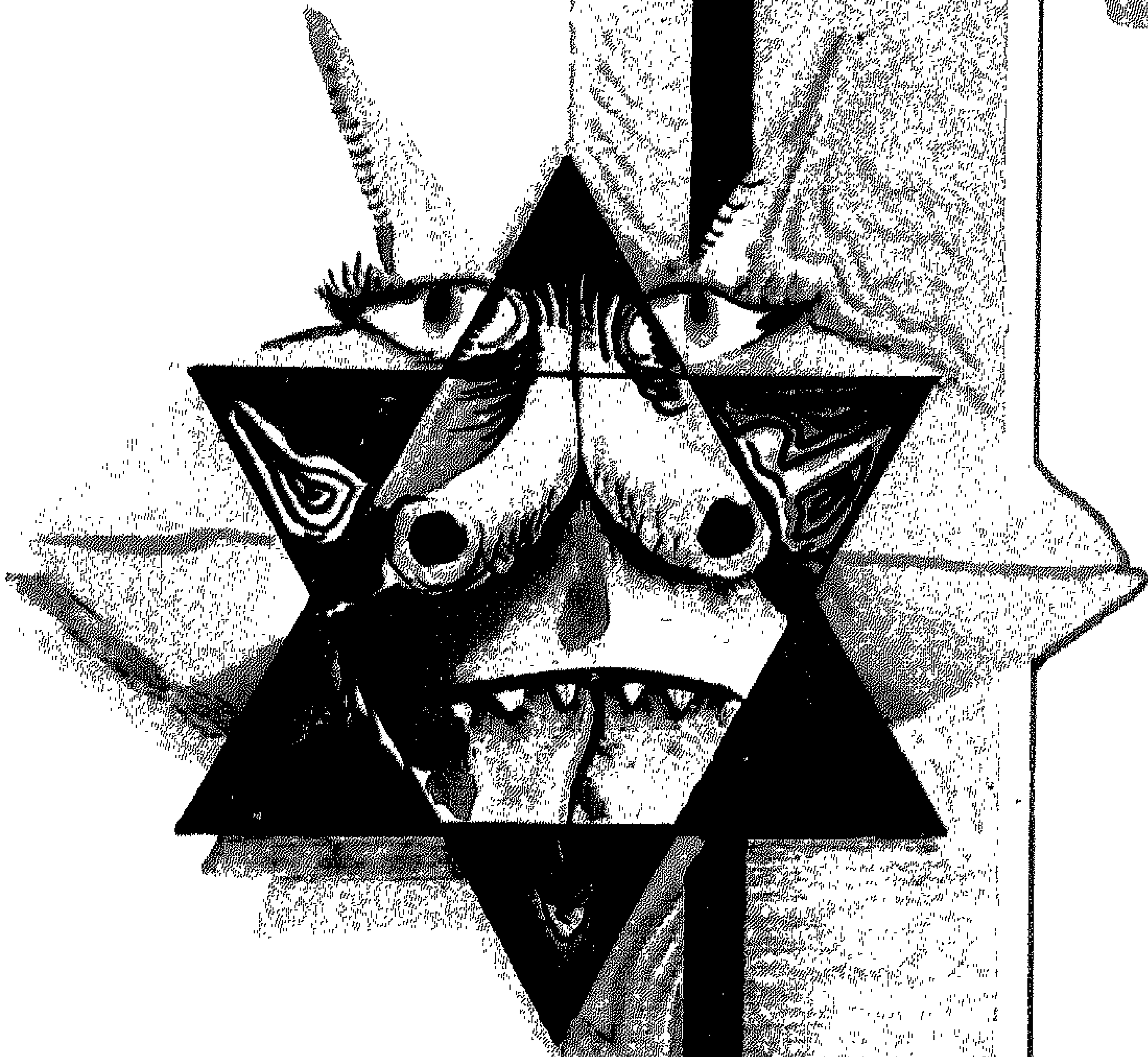
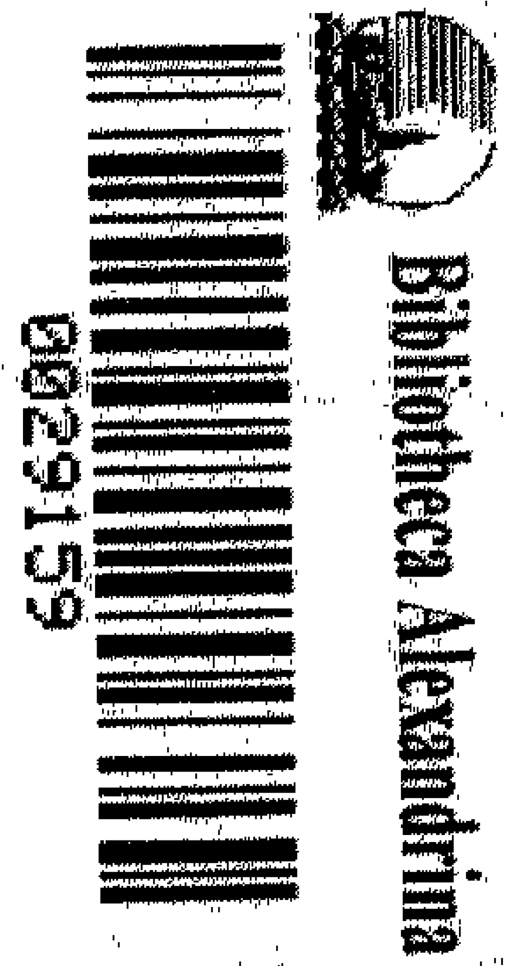
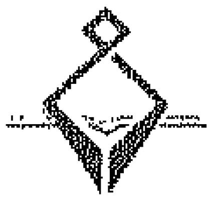
الصهيونية تعليم الحقد

قراءة في تشكيل العقل الصهيوني





حمد الموعد



دار الملتقى للنشر



الصهيونية
تعليم الحقد


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

حمد الموعد

الصهيونية تعليم الحقد

قراءة في تشكيل
العقل الصهيوني

دار الملتقى للنشر

الطبعة الأولى

1993م

دار الملتقى للطباعة والنشر

قبرص - ليماسول - ص.ب: 6527.

مقدمة

يسهل التطور الهائل الذي حققته وسائل الاتصال وتبادل المعلومات والصور وأساليب التحكم بها، وتنوع وسائل الإعلام والدعاية والاتصال الجماهيري مثل الصحافة والإذاعة والتلفزيون والمسرح التي غدت العامل الأكثر أهمية في تحديد المزاج الجماهيري العام، أو الرأي العام، كما يسميه البعض، وهو أداة لتأثير المجتمع على معنويات الأفراد، وهو في الوقت نفسه، أسلوب خاص من الوعي الاجتماعي ينعكس فيه بصورة معممة وغير مباشرة الموقف الفعلي لأغلبية أفراد تجمع بشري ما من أحداث الواقع وظواهره وعملياته التي تمس مصالحهم، كل ذلك يسهل على الفئات الحاكمة أو المسيطرة في المجتمعات الحديثة عملية تشكيل العقل والتأثير عليه أو حتى التلاعب به. ونقصد بالعقل هنا كلاً من العقل الفردي الذي يعرف بأنه ملكة الاستدلال الصحيح والاستنتاج، والعقل الجماعي لفئة أو جماعة أو شعب، وهو مجموعة التيارات الفكرية الأساسية التي تلاطمت على ساحة هذه الفئة أو الجماعة أو الشعب وصاغت مزاجه الفكري.
ولقد استطاعت تلك الفئات الحاكمة أن تتفنن في ممارسة عملية الاستلاب العقلي، أي إلغاء العقل الفردي والجماعي، أو تحييده، ووصلت الأمور في كثير من الأحيان إلى درجة الاستعمار الروحي، حيث أصبح الإنسان العادي يقرّ ضمناً وبشكل لاشعوري بعدم القدرة على التعامل مع موجات الأحداث المتلاحقة التي تطرق وعيه وبإلحاح، وبات مضطراً لأن يستجيب وبشكل

لاإرادي لما يتلقاه من أجهزة الإعلام المسيطَر عليها من قِبل النخبة الحاكمة. وبذلك تتسع دائرة وسائل الإكراه التي يتعرض لها الفرد والجماعة، والتي تضم الجيش والشرطة والسجون، والقانون الذي يحوّل إرادة الطبقة المسيطرة إلى تشريع أو مجموعة قواعد للسلوك، مهمتها الأساسية أن تثبت وتحفظ العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تكونت خلال حقبة تاريخية معينة، ويصبح القانون فور صدوره فوق الطبقات، حيث تضيف إلى كل ما تقدم وسيلة أخرى للإكراه وهي الرأي العام الذي يستخدم في بعض الأحيان كوسيلة قمع للمفكرين والمثقفين لمنعهم من طرح الآراء التي لا تتناسب مع المزاج العام الذي كرسته مصالح النخبة المسيطرة.

وتتخذ عملية تشكيل العقل فيَ إسرائيل أشكالاً لا مثيل لها في أي من بلدان العالم، لأن العملية تسير وفق اتجاهين متناقضين هما التدمير والتعمير، تدمير عقلية يهود الشتات وإنسان الغيتو، بالإضافة إلى تدمير ارتباط الإنسان بماضيه الغريب وربطه مباشرة بالتراث التوراتي أو التلمودي، أما التعمير فيتم عن طريق زرع عدد من المقولات التي شكلت الأساس النظري للايديولوجية الصهيونية في عقله، ومنها، كراهية شعوب العالم لليهود، وحقدهم عليهم، ومحاولاتهم الدائمة إلحاق الأذى بهم، والهدف من ذلك تحقيق أعلى درجات الاستلاب العقلي بحيث تصبح المشاعر الملتهبة لا العقل هي المحك، والماضي الغابر هو معيار الحقيقة، وتصبح العادات والتقاليد الموروثة والمشاعر الدينية المشدودة بحبال الماضي إلى السلف والأزمان الغابرة هي الموئل والملاذ، وهي الأمر الطبيعي الذي لا يجوز الخروج عليه وانتهاك حرماته. أي باختصار، «إخضاع إرادة الأحياء وضمائرهم لآراء الأموات».

وتتجلى الانعكاسات الحقيقية لهذه العملية على الفرد في التجمع الاستيطاني في إسرائيل، من خلال الرغبة في الخضوع الكلي لسلطات ومقاييس الثقافة السائدة، واعتماد الأحكام والآراء المسبقة، مما يجعل الإنسان في هذا التجمع يعيش طيلة حياته مستنفراً ومستفزاً يشعر أن الأعداء يحيطون به من كل جانب، ويريدون الانقضاض عليه والإجهاز عليه، ولا يجد وسيلة سوى الخضوع المطلق، والتقديس الأعمى والإجلال الخانع لكتب وأسفار مأخوذة من

«قديسين» عاشوا في الماضي، متجاهلاً أن العالم يتحرك، وأن الواقع يتغير.

ولئن بنت الصهيونية أيديولوجيتها على واحدة من أكثر المقولات الداروينية رجعية وعنصرية، أي الاصطفاء والطبيعي والبقاء للأقوى، التي كانت نقطة انطلاق للفكر النازي والفاشي والصهيوني في القرن العشرين، فقد خططت لإقامة مجتمع تحكمه مجموعة من الغرائز والعقد النفسية المستمدة من الفكر الفرويدي، والتي يمكن أن نلخصها بواحدة من أشهر مقولات فرويد في علم النفس الاجتماعي، وهي «من السهل ربط الناس بصلات محبة طالما كان هنالك أشخاص آخرون نستطيع أن نصب عليهم مشاعرنا العدوانية».

لذا، كانت السمة الأساسية للجماعة البشرية أو التجمع البشري القائم حالياً في الكيان الصهيوني، أنها جماعة مذعورة، كما يقول علم النفس الاجتماعي، تتحكم فيها عقدة الخوف من الأغراب، وعقدة الخوف من الإبادة. وغدت مسألة استمرار الوجود، أو «الأمن» القيمة الأسمى في حياة هذا التجمع البشري، وتحتل أعلى درجة في سلم أولوياته، بل إن الأمن تحول إلى «دين أمني» له مقولاته الأساسية التي تتطلب من أفراد ذلك التجمع الإيمان السلفي بها والتسليم لها.

ومن خلال ذلك، أرادت الصهيونية أن تبني جماعة متماسكة، لا تفكر بالصراع الاجتماعي أو الطبقي، وتسلّم بشكل قدري وجبري بمصيرها، ولا تحلم مطلقاً بمحاولة تغيير مستقبلها، أو بالتساؤل حول شرعية مخططات سلطتها السياسية وتصرفاتها العدوانية، وهكذا بات الجيش الإسرائيلي يتحكم بمختلف أشكال النشاط البشري في إسرائيل، ويلعب ضباطه وجنرالاته دور كهنة المعبد في الحضارات القديمة، فبإسمهم تقام الاحتفالات والمواكب، وإليهم تقدم التهاني والتبريكات، وباستطاعتهم أن يخرجوا من حرب ليدخلوا أخرى، وتكون كل حروبهم مقدسة، وكل أسلحتهم مقدسة.

وهذا يعني أن دور المؤسسة الدينية في إسرائيل ينحصر في تبرير أعمال الجيش الإسرائيلي العدوانية ضد الأمة العربية وإضفاء صبغة القداسة عليها، والتصدي لكل من يحاول انتقادها أو الانتقاص من قيمتها. بل إن الحركات الدينية

الفاشية أخذت على عاتقها مساعدة الجيش الإسرائيلي في التصدي للانتفاضة الفلسطينية البطلة واستنزاف قوتها، وتصعيد حمّى الاستيطان ومصادرة المنازل والأراضي، والتنكيل بالسكان العرب.

وكما يرافق رجال الحاخامية العسكرية وحدات الجيش الإسرائيلي أثناء العمليات العدوانية ضد الأقطار العربية المجاورة، ويحضّون الجنود على ممارسة أقسى أشكال العنف والقسوة ـ وذلك اقتداءً بيوشع بن نون وغيره من أنبياء إسرائيل المذكورين في التوراة ـ تقف المؤسسة الدينية في فترات الهدوء النسبي وراء الجيش الإسرائيلي، وتضع على عاتقها مهمة غسل عقول أفراد التجمع الصهيوني وغرس أفكار الحقد في عقولهم تجاه غير اليهود.

وعندما ندرس فلسفة التربية في إسرائيل، نرى أنها تقوم على تطبيق الايديولوجية الصهيونية وغرسها في عقول المتعلمين، وفي الوقت نفسه محاولة اقتلاع العرب من جذورهم وتشويه صورتهم، وتضليلهم، ونشر الإحباط وغرس اليأس في صفوفهم.

أما في مجال تشكيل الرأي العام، فقد مزجت الصهيونية بين مدرستين من مدارس علم النفس، الأولى والتي تقوم على المنعكس الشرطي التي نادى بها بافلوف العالم الروسي الشهير، وتتلخص آراء هذه المدرسة في أنه من الممكن جداً التحكم بآراء الناس وأمزجتهم والتيارات الفكرية السائدة لديهم، أي باختصار صياغة الرأي العام، من خلال التحكم بالظروف الاجتماعية والاقتصادية لحياة المجتمع. أما المدرسة الثانية، فهي تقوم على آراء فرويد الذي يعتبر الإنسان مجموعة من العقد النفسية التي تولد لديه غرائز محددة تتحكم بسلوكه ونشاطاته. ومن خلال عملية المزج هذه، بين المدرستين الفرويدية وآراء عالم النفس بافلوف، تتمكن الدعاية الإسرائيلية من التحكم في حياة الفرد في التجمع الاستيطاني، وخلق مصالح غير حقيقية له، وتوجيه أنظاره بالشكل الذي يخدم مصالح النخبة الحاكمة.

يتشكل العقل الجماعي لأية جماعة بشرية، كما هو معروف، بشكل عفوي، ومع مرور الزمن، ويسهم في ذلك عدد من العوامل، من بينها التراث

الحضاري والقيم الدينية والقومية، والتربوية، كما تؤثر في آراء عدد كبير من المفكرين والمصلحين. وقد تعمد بعض الحكومات، من خلال ما يعرف بالتضليل، إلى التأثير على عقول الجماعات البشرية وصرفها عن طريقها، أو خلق بؤر اهتمام خاصة. بيد أن ما تميز به المشروع الصهيوني في فلسطين هو وجود البناء الفوقي كله قبل وجود القاعدة التحتية، فالوكالة اليهودية والهستدروت وجدا بشكل فعلي قبل وجود تجمع يهودي مكثف في فلسطين، وقبل وجود طبقة عاملة يهودية.

ووجد الكيبوتس الذي يعتبر تجسيداً ملموساً لليوتوبيا الصهيونية، قبل أن توجد مختلف أشكال الاستيطان الأخرى، باستثناء الإقامة في التجمعات السكنية القريبة من المدن الكبرى.

وكذلك، صيغت مجموعة القيم والمفاهيم والآراء التي يراد منها أن تشكل عقل الإنسان الذي يصلح للعيش في الكيان الصهيوني قبل قيام الكيان، ولم يطرأ أي تعديل عليها. علماً أن هذا التجمع الاستيطاني تبدلت ظروف حياته بشكل كبير جداً. وتحول من أقلية هامشية تعيش على دعم قوات الانتداب البريطاني ومساندتها، إلى سلطة دولة تمارس سياستها القمعية على أراضٍ احتلتها خلال حربين عدوانيتين 1948 و1967، ويتعرض فيها السكان العرب للتمييز والاضطهاد.

الفصل الأول

الصهيونية وهزيمة العقل

1

الصراع بين العقلانية واللاعقلانية

اتسمت الحياة العقلية في القرن التاسع عشر بأنها كانت أكثر تعقيداً مما كانت عليه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب. فقد أسهمت أمريكا وروسيا إسهاماً كبيراً في حياة العصر، . . وأصبح هنالك اهتمام أكثر بالمشرق، وبخاصة الهند، وحقق العلم، الذي احتل المكانة التي شهدناها خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر انتصارات في البيولوجيا والكيمياء والجيولوجيا، وجاء نتاج الآلة الذي غيّر التركيب الاجتماعي بشكل كبير جداً، مما أفسح في المجال أمام الناس لرؤية جديدة، وفهم جديد لقوام علاقاتهم بالبيئة. وقد ساعد ذلك كله في حدوث الثورة العميقة التي حدثت ضد النظم والمؤسسات القديمة في الفكر والسياسة والمذاهب الاقتصادية، وفتح الباب لمهاجمة مؤسسات ومعتقدات كانت تبدو راسخة مخلدة[1].

وكانت ثورة العصر ثنائية القطبية: عقلانية ولاعقلانية. فالعقلانية اعتمدت على العقل باعتباره ملكة الاستدلال الصحيح والاستنتاج وعرض الأفكار بطريقة منطقية، مميزة بذلك بين العقل والفكر وهو القدرة على كشف أساسات وجواهر الظواهر وبحثها بطريقة شاملة[2]. وأصبحت العقلانية باعتبارها أسلوباً

---

(1) B. Russel. History of Western Philosophy. p.756.

(2) الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيات، تحرير: م. روزنتال، د. بودين، ترجمة: سمير كرم.

في التفكير أو التفلسف القائم على العقل، تعني قدرة الإنسان في حياته اليومية وممارسته المعرفية على المحاكمة الواعية لأي موضوع، بعيداً قدر الإمكان عن تسلّط المشاعر والعواطف، وعلى وزنه كافة الاعتبارات لصالح ذلك الموضوع أو ضده، وعلى السعي لتعليل أقواله وتصرفاته[3].

أما اللاعقلانية، فهي تيار فلسفي يعتقد أتباعه بأن العالم مشوش ولا يمكن معرفته، وينكر قدرة العقل ويضع في مقدمة الأشياء الإيمان والنزعة الإيمانية، والغريزة والإرادة اللاشعورية والحدس. وتعني اللاعقلانية في المجال الاجتماعي إنكار إمكانية المعرفة السديدة للقوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي.

وتبدأ العقلانية بالفلاسفة الفرنسيين إلى الفلاسفة الراديكاليين الإنكليز، حتى تكتسب عمقاً جديداً عند «ماركس»، أما اللاعقلانية فتبدأ من «بايرون» مؤلف قصيدة «ضد العقل» عام 1708 حيث يخاطب العقل قائلاً:

«يا منبع الضلال الذي لا يغيض
أيها السم الذي يفسد استقامة المشاعر الطبيعية وحقيقة القلوب
يا فتنة الغافلين
أيها العقل، لقد جئت لأدمر الهياكل التي أقيمت لك...»[4].

إلى شوبنهور 1788-1860 في مؤلَّفه الشهير «العالم كإرادة وامتثال» الذي تحدث فيه عن الإرادة العمياء التي تحكم العالم وتستبعد أية قوانين للطبيعة والمجتمع، ومن ثم تستبعد إمكانية المعرفة[5].

إلى فرويد الذي ينكر المناهج الموضوعية لدراسة النشاط العقلي، وقال إن النشاط العقلي شيء مستقل يوجد جنباً إلى جنب مع العمليات المادية، وتحكمهما قوى نفسية مجهولة تسكن فيما وراء الشعور، ووضع مقولته الشهيرة «إن

(3) المصدر السابق.
(4) الاقتباس مأخوذ عن أديب ديمتري، هزيمة العقل، وجذور الصهيونية.
(5) انظر الموسوعة الفلسفية.

اللاشعور هو سبب تاريخ الجنس البشري، والأخلاقيات والفن والعلم والدين والدولة والقانون والحروب»[6].

وتشمل اللاعقلانية كلاً من «نيتشه» حتى «موسوليني» و«هتلر» وكل منظّري الحركة الصهيونية، خصوصاً أنهم تأثروا بشكل كبير جداً بآراء «هيغل» الذي لعب دوراً بارزاً في بلورة اللاعقلانية، من خلال دفاعه عن الدولة البروسية.

ولئن دعت التيارات العقلانية في الفلسفة التي آمنت أن العقل هو محرك الثورة والفكر، وآمنت أيضاً بقدرة العقل البشري اللامحدودة لفهم ظواهر الطبيعة والتعامل معها، دعت إلى تغيير العالم، مستفيدة من الثورات التي شهدتها أوروبا، بدءاً من الثورة الفرنسية إلى كومونة باريس، إلى ثورة الفلاحين في ألمانيا. . . إلخ. فقد وضعت التيارات اللاعقلانية نفسها في خدمة أكثر القوى رجعية وتخلفاً في العالم لتكريس الأمر الواقع والذي تجسد في بروتوكول تروبا والمناهض لجميع الإجراءات الثورية والإصلاحية في أوروبا والذي صدر عام 1820 إثر اجتماع في تروبا عام 1820 بين مترنيخ قيصر بروسيا وقيصر روسيا وملك فرنسا، ويؤكد أن الدول الثلاث لن تعترف أبداً بحق أي شعب في الحد من سلطة مليكه، كما هدد بشن الحرب لمصلحة الملوك وضد الثورات أينما تكون.

وفيما أقامت اللاعقلانية أبنيتها الفكرية على وهم نقد العقل مدعية أن الإنسان في جوهره ليس عقلانياً، وأن طبيعته تكمن في الأساس في الغرائز والمشاعر والأحاسيس المبهمة، انتشرت الفلسفات العرقية العنصرية التي بررت الحملات الاستعمارية تحت ذريعة تفوق العرق الآري، وانتشرت أيضاً أفكار الخلاص الديني ودكاكين وجيوش الخلاص الديني من الشرق إلى الغرب تدعو الجماهير المسحوقة للخلاص عن طريق الدين.

وما الصهيونية إلا امتداد طبيعي لأكثر التيارات اللاعقلانية رجعية وتخلفاً، وهي أيضاً، حسب تعريف الدكتور «عمانوئيل ليفين»، رجل الدين اليهودي الفرنسي الذي قدر لها أن تمر بتجربة السفينة «اكسودس» (الخروج) عام 1947:

---

(6) المصدر السابق.

«الصهيونية عبادة الدولة التوتاليتارية/ استبدادية/، إنها شكل من الجرمانية، بل لنقل من النازية، إنها الترجمة اليهودية للقومية الألمانية»[7]. فقد أقامت الصهيونية ركائزها على الإيمانية السلفية اليهودية النزعة العنصرية العرقية، التي تصل إلى الشوفينية، بكل مظاهرها ومفاهيمها، وجاءت رداً على حركة التنوير، الهاسكالا، التي تجسد الرؤيا العقلانية لحل المسألة اليهودية. وبدلاً من الاهتمام بالحل العقلاني للمسألة اليهودية المتمثل بالاندماج، استعارت الصهيونية مفاهيم الخلاص من الفلسفات الرجعية ورفعت الراية البالية مدعية أن الخلاص اليهودي لا يمكن أن يكون، إلا بالعودة إلى التلمود، وإلى الأمل المسيائي القديم الذي تهاوى تحت ضربات الحركات اليهودية الإصلاحية في أماكن كثيرة من العالم، سواء في أوروبا أو في الولايات المتحدة.

يقول الكاتب اليهودي الألماني «موشى هيس» مؤلف كتاب «روما والقدس»، و«سبت التاريخ»:

> «نحن اليهود لدينا الإيمان بحقبة المسيح المنتظر المقبلة... إن الاحتفال بيوم السبت هو تجسيد للفكرة العظيمة التي تبعث النشاط فينا... المستقبل سيحقق السبت التاريخي. والمسيح المنتظر يعني إنهاء مهمة تاريخية»[8].

---

(7) د. عمانوئيل ليفين، اليهودية وتحرير فلسطين، مقال ورد في «الشعب الفلسطيني، اللاسامية، الصهيونية، اليهودية، العنصرية، المضادة للعرب ومحاكمة الغرب». مقالات بقلم عدد من الكتّاب اليهود المعادين للصهيونية، ترجمة وتعليق: الياس مرقص، نشر: دار الحقيقة، بيروت، 1947.

(8) موشى هيس Moses Heis (1835-1812).
مواليد بون ـ ألمانيا، والده تاجر وأمه ابنة حاخام، انتقل إلى كولونيا مع أسرته. أصدر كتابه الأول «تاريخ الإنسانية المعذب ـ إعلان الحرية باسم الروح القدس». وفيه يظهر تأثره بالمسيحية، ويعتقد أن الدين اليهودي، وشريعة موسى قد ماتا، وأن المسيحية هي دين العصر في الفترة ما بين (1842-1843) عمل مراسلاً لصحيفة «راينشه تزايتونغ» التي كان يرأس تحريرها كارل ماركس. شارك في الثورة الألمانية عام 1848 وحكم عليه بالإعدام. وبعد صدور البيان الشيوعي، انفصل عن ماركس. وبعدما راعته ظاهرة اندماج اليهود في ألمانيا نشر عام 1862 كتابه «روما والقدس». وقد اعتبره هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية. =

ويتناول أليعازر بن يهودا مسألة الخلاص المسيائي فيقول:

«إذا كنا نؤمن بالخلاص، ولم نيأس بعد من أن نكون أمة حية... لو لم أكن مؤمنا بخلاص الشعب اليهودي لاعتبرت اللغة العبرية عائقاً لا فائدة منها.... إننا أمة حية روحنا في التوراة... التوراة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بلغتنا»[9].

وحول الموضوع ذاته، أى الخلاص المسيائي، يقول «موشي ليلينبلوم» وهو من أبرز منظري الحركة الصهيونية:

«لنعط الأسئلة الخاصة أهمية ثانوية، سواء كانت أسئلة دينية أم اقتصادية، فالمسألة الأهم لنا هي أن يحمي الله إسرائيل ويعطيها الخلاص الأبدي»[10].

ومن جهة أخرى، فإن القاسم المشترك بين كل منظّري الحركة الصهيونية في القرنين التاسع عشر والعشرين، هو عداؤهم اللامحدود لحركة التنوير وللاندماج.

= الاقتباس مأخوذ عن: موشي هيس، فكرة السبت، راجع الفكرة الصهيونية، سلسلة كتب فلسطينية، رقم 21، مركز الأبحاث الفلسطينية.

(9) أليعازر بن يهودا (1923-1858) Eliezer Ben - Yehudah.
مواليد لوشكي، ليتوانيا، تعلم في أكاديمية التلمود بولونسك، اعتنق الأفكار الاشتراكية الثورية التي كانت سائدة بين المفكرين والمثقفين. آمن بنظرية القومية الثقافية التي دعا إليها سيمولتسكين. هاجر إلى فرنسا عام 1878، ووصل إلى الجزائر، ثم انتقل إلى القدس عام 1881. أصدر القاموس العبري الحديث، وأسس أكاديمية اللغة العبرية، وحارب اليشيدية، وأصر على استعمال اللغة العبرية كلغة وحيدة.
الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 71.

(10) موشي لايب ليلينبلوم (1910-1843) Moshe Leib Lilienblum.
ولد في كيداني، ودرس التلمود فيها مدة خمس سنوات، هرب إلى أوديسا عام 1869 وهناك تأثر بالهاسكالا. ونادى باعتبار أن الصراع الطبقي هو الأول والوحيد لتحقيق مستقبل أفضل للإنسانية جمعاء (1879). ومنذ عام 1881، انقطع عن كل نشاطاته السابقة وكرّس نفسه للحركة الصهيونية، وأصبح أحد نشطاء حركة إحياء صهيون، وفيما بعد من مؤيدي هرتزل.
الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 71.

فحركة التنوير بالنسبة لأليعازر بن يهوذا:

«مصدر كل الشرور التي تحل بالشعب اليهودي... هل حركة التنوير القائمة في برلين هي وحدها سبب الشرور التي تحل بنا؟... يلاحظ أن الشبان اليهود في هذه البلدان يقومون بالتخلي عن شعبهم ولغة أجدادهم».

وفي مؤلّفه «دعونا لا نخلط الأمور» الصادر عام 1882، يحذر «موشي ليلينبلوم» من الهاسكالا قائلاً:

«إنما يجب عليَّ أن أحذِّر إخوتنا من حركة التنوير. المفكرون والأحرار يعملون على تقسيم اليهود إلى معسكرين، وذلك بإدخال المأكولات المحرَّمة والاستغناء عن مراسيم الاستحمام الروحي»[11].

وفي مكان آخر من كتابه، يخاطب المؤلف يهود العالم قائلاً:

«لا تستمعوا للمتنورين بيننا الذين يؤمنون بالاندماج! لا تنظروا إليهم!... إنهم يحرفوننا عن مهمتنا المقدسة».

وفي «مستقبل أمتنا» الصادر عام 1883، يقول «موشي ليلينبلوم»:

«الحضارة... ليست فقط لا تعمل على التخلص من اللاسامية، بل تساعد على تقويتها بطريقة غير مباشرة»[12].

ويعتبر «يهوذا ليو بنسكر» (1821-1891)، مؤلف كتاب «التحرر الذاتي» من أشهر منظري الصهيونية، فهو يرى أن الخوف من اليهود، إلى جانب عدد من الأفكار، والغرائز والتصورات الخيالية المدفونة في اللاشعور، أصبح متعمقاً في طبيعة شعوب الأرض كلها التي يتعامل اليهود معها، وأصبح الخوف من الشبح اليهودي معروفاً لكل أجناس البشر، وغير مقتصر على بعض منها... ومهما بلغت الاختلافات بين الأمم، فإنها تتعاون في كره اليهود».

(11) موشي ليلينبلوم، دعونا لا نخلط الأمور، 1882، مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 74.

(12) موشي ليلينبلوم، مستقبل أمتنا، 1883، الفكرة الصهيونية، مصدر سابق، ص 78.

ومن ثم يتحدث «ليو بنسكر» عن مقولة «اليهود كشعب منبوذ» والتي أخذت معاني مختلفة، لا تعني بالضرورة المعنى الحرفي الذي يريده ليو بنسكر، بل يتسع ليشمل الخوف من الغرباء وكرههم. يقول بنسكر:

«إن العداء الطبيعي لليهود هو أساس المشاكل كلها، وأساس سوء التفاهم... الذين يريدون أن يكونوا عادلين وغير متحاملين يجب أن يقولوا لليهودي أنت غبي لأنك تتوقع من الطبيعة الإنسانية ما هو غير ممكن: ـ أي المشاعر الإنسانية... أنت مكروه لأنك لا تحب نفسك ولا تعتز بها...»[13].

ما الذي تجسده كلمات ليو بنسكر هذه؟ إنها بكل بساطة تجسيد حي للحنين إلى الغيتو، حنين الصهيونية إلى الغيتو باعتباره الطريقة المثلى لحصر اليهود وتجميدهم في حالة غرباء، وتشديد عداء السكان ضدهم، لكن الغيتو أيضاً في الذهنية اليهودية يمثل المكان الذي يعاش فيه مع الذات[14].

وبعد هذا العرض المسهب لآراء بنسكر، والتي أصبحت اليوم من الدعائم الأساسية لمقولة اللاسامية، أحد أهم ركائز الأيديولوجية الصهيونية، يتوصل بنسكر إلى الاستنتاج التالي حول حركة التنوير:

«يجب ألا نقنع أنفسنا أن الإنسانية وحركة التنوير ستكونان دواءً أساسياً لشفاء شعبنا».

---

(13) ماكس نورداو (1849-1923) Max Nordau اسمه الأصلي سيمحا ميرسودفيلد. مواليد بودابست، هنغاريا. والده كان حاخاماً. مارس الكتابة منذ عام 1873 كمراسل صحفي في فيينا، وأصدر كتابه الأول بعنوان «من الكرملين إلى الحمراء». وفي عام 1882 أصدر كتابه الثاني بعنوان «أكاذيب مدينتنا الحديثة». تعرّف إلى هرتزل وساهم في صياغة مشروع بازل المقدم إلى المؤتمر الصهيوني الأول. وتعرف إلى فلاديمير جابوتنسكي عام 1920، وأصبح أحد مؤيديه.

(14) جاكوب كلاتزكين (1882-1948) Jacob Klatzkin، مواليد بولونيا، والده حاخام ويعتبر من علماء التلمود البارزين. عمل في الفترة ما بين (1909-1911) رئيساً لتحرير دي فيلت Die Vielt، لسان حال المنظمة الصهيونية، ومن ثم أصبح مديراً لمكتب الصندوق القومي اليهودي.

* الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 208.

ولا يختلف «ماكس نورداو» (1849-1923)، عمّن سبقه في موقفه من حركة التنوير، فهو يعقد مقارنة غير مباشرة قد تثير المشاعر فيقول:

«إذا أردت أن تطرد كلباً مسعوراً يجب أن تعلن أنه مسعور. . . وكذلك ينسب الناس لليهود كل المعاصي والصفات غير الحميدة، وذلك لكي يجدوا مبرراً لعملهم هذا. إنما الدافع الرئيسي هو كرههم لليهود». وبعد ذلك يحدد ماكس نورداو رأيه في السؤال الرئيسي، أو لنقل بالخطر الأساسي الذي يتهدد اليهود والصهيونية: «إن الخطر الأساسي على اليهود والصهيونية يأتي من حركة التنوير والاندماج»[15]!

وتثير مسألة الإندماج وحركة التنوير انفعال «جاكوب كلاتزكين» مؤلف كتاب الحدود (1914-1920). فهو يزعم «أن تكون يهودياً لا يعني اعتناق الدين اليهودي أو القبول بالمعتقد الأخلاقي. . . إن إنكار التعاليم اليهودية لا يضع الفرد خارج الجماعة، كما أن قبولها لا يجعل منه يهودياً. . . ومن ثم يشرح مفهومه الخاص للقومية اليهودية:

«باعتبارها ليست نفياً للروح اليهودية، ولكن لا ترفعها إلى مستوى المقياس الذي تعترف به الأمة. . . نحن أمة حتى في بلاد الشتات. . . إن استعادة الأرض هي غاية في حد ذاتها. . . هي تحقيق الحياة القومية الحرة. . .».

وعندما يصل الحديث إلى مسألة الاندماج، ينفعل جاكوب كلاتزكين فيقول:

«عدوى الاندماج بدأت تصيب قطاعات كبيرة من شعبنا، وأصبح

---

(15) يهودا ليونسكر Yehuda Leo Pinsker (1821-1891) مواليد بولونيا، والده كان متنوراً، درس الحقوق في أوديسا والطب في موسكو. آمن بالاندماج في مطلع حياته حتى عام 1881. ساهم يهودا ليو بنسكر بنشاط في جمعية نشر الثقافة بين يهود روسيا التي تأسست عام 1863، ألّف كتابه الشهير «التحرر الذاتي» عام 1882 وهو نداء من يهودي روسي إلى بني قومه للتحلي باليقظة والارتفاع إلى مستوى الأحداث.

* الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 89.

تأثيرها أكثر عمقاً. . . لقد تصدعت جدران ديننا، ولم تعد روح اليهودية، بفلسفتها ونظرتها العالمية، قوية بشكل كافٍ لإقامة سور شامل في بلاد المنفى ليضمن بقاءنا القومي داخل جدرانه. . . إن قوانين ديننا تمثل الأساس القومي[16]، وبفضل هذه القوانين كان لحياتنا في بلاد المنفى شخصيتها القومية وحتى السياسية».

وأخيراً، لنستمع إلى «بيرل كاتزنيلسون» (1887-1944)، مؤلف كتاب «الثورة والتقاليد»، وهو يعلن حقده على الاندماجيين قائلاً:

«الاندماجيون ينبذون كل ما هو قيم وثوري وأصيل في الثقافة والتقاليد اليهودية»[17].

ما الهدف من جعل المشاعر الملتهبة، لا العقل، هي المحك، والماضي الغابر، معياراً للحقيقية؟ هل يمكن أن تنقلب الأمور، أن تصبح العادات والتقاليد الموروثة، والمشاعر الدينية المشدودة بحبال الماضي إلى «السلف الصالح» والأزمان الغابرة هي الموئل والملاذ، وهي الأمر الطبيعي والمقدس الذي لا يجوز الخروج عنه وانتهاك حرماته؟ لماذا إخضاع إرادة الأحياء وضمائرهم لإرادة الأموات؟[18] لماذا الإصرار على السير ضد تيار التاريخ؟

هل نبالغ إذا قلنا أن الهدف من وراء ذلك كله هو ضمان استمرار التقديس الأعمى والإجلال الخاضع لكتب وأسفار مأخوذة عن «قديسين» عاشوا في الماضي، متجاهلين أن العالم يتحرك، وأن الواقع يتغير[19]؟! ما الهدف من فرض حالة الاستلاب العقلي، أو إلغاء العقل، بالنسبة لتجمعات اليهود في شتى أصقاع المعمورة؟ ويعرف الاستلاب العقلي بأنه:

---

(16) انظر جيزيل بلوك، إسرائيل وحنين الغيتو، الشعب الفلسطيني، مصدر سابق، ص 104.

(17) بيرل كاتزنيلسون (1887-1944) Berl Katzenelson. مواليد روسيا، هاجر إلى حيفا عام 1909، وساهم في تأسيس حزب أحدوت هاعنودا، عام 1919، وتأسيس الهستدروت عام 1920 وصحيفة «دافار» 1925، اهتم كثيراً في وضع برنامج ثقافي للحركة العمالية.
* الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، مصدر سابق، ص 276.

(18) Crane Brinston, The shaping of Modern Mind, New York 1953, p.1-18

(19) د. عبدالرزاق عيد: الثقافي الجمالي، الايديولوجي، دار الحوار، دمشق، 1988.

«الخضوع للسلطات ومقاييس الثقافة السائدة، اغتصاب العقل روح الحرية، اعتماد الأحكام المسبقة، طرد الصراع من قوانين المجتمع والطبيعة وتوجيهه نحو العدو الخارجي . . . أن يعيش الإنسان مستفزاً يشعر أن الأعداء يحيطون به من كل جانب يريدون الانقضاض عليه والإجهاز عليه»[20].

وتهدف عملية الاستلاب العقلي خلق وعي جديد ليس لدى الإنسان كفرد، بل لدى المجموع كفئة اجتماعية، وبالتالي خلق عقل جماعي، وهو «مجموعة التيارات الفكرية الأساسية وروافدها التي تلاطمت على ساحة هذا الشعب وصاغت مزاجه الفكري»[21].

ولئن كانت مهمة الدعاية الايديولوجية، بشكل عام، خلق وجهة نظر بسيكولوجية، اجتماعية متناسبة، ذلك من خلال تدعيم وجهة النظر الموجودة سلفاً أو استبدالها بوجهة نظر أخرى، وبالتالي التأثير على سلوك الإنسان عبر تكوين وجهة النظر الجديدة، وإقامة نظام قيمي، بل وتشكيل نظام جديد من الحاجات والمصالح، فالدعاية الايديولوجية الصهيونية القائمة أساساً على تعاليم عرقية مستمدة من الدين اليهودي وتعاليم التوراة والتلمود تتحول إلى قوة تمارس السطوة والقمع على اليهود، لخلق الجو العام السائد في وقت ومكان معينين بما ينسجم تماماً مع مصلحة الحركة الصهيونية، وذلك للحيلولة دون ظهور أي رأي آخر، بل وشل القدرة على التفكير بشكل سليم[22].

وإن قمنا بتحليل المشاعر التي تحاول الصهيونية من خلال دعايتها بثها بين تجمعات اليهود، لوجدنا أنها تشمل: الخوف، العزلة، الضعف، الحسد، القلق، الشك، التردد، اللامبالاة، الكبرياء المجروحة، شيء من الشعور بالكرامة، تأنيب الضمير، وعقدة الذنب، والشعور بالدونية، من خلال مقولة

---

(20) Crane Brinston, The Shaping of Modern Mind, Ibid. p.I.

(21) Social Psychology and Propoganda, Progress Publishers, Moscow, 1985, p.223.

(22) د. عمانوئيل ليفين، مصدر سابق، ص 248.

الشعب المنبوذ، كل هذه المشاعر ستعمل بالضرورة على التأثير بشكل سلبي على عملية الإدراك الحسي والمعرفة وبالتالي، تصبح الساحة خالية من أي تأثير آخر سوى الدعاية الايديولوجية الصهيونية. يصف الدكتور «عمانوئيل ليفين»، وهو رجل دين يهودي فرنسي حالة الاستلاب العقلي التي وصل إليها اليهود الذين وضعتهم المنظمات الصهيونية على ظهر الباخرة «اكسودس» (الخروج) عام 1947، ومنعتهم السلطات البريطانية من النزول في مدينة حيفا، وأعادتهم إلى ميناء «بور دويوك» في فرنسا، حيث عملت الشرطة «الصهيونية» هناك على عدم السماح لهم بالنزول من السفينة:

«كانت رؤيتنا الأسطورية لفلسطين تمنعنا من سماع أو فهم المعلومات القليلة التي كان يمكن أن تصل إلينا. لم نكن نعي إطلاقاً المسألة الفلسطينية».

ومن جهة أخرى، أصبح من المعروف جيداً أن أي مجتمع من المجتمعات له موقفه من العقل، وتوجهاته، له نظرياته في التعامل مع العقل، بل في كثير من الأحيان تستبدل النظريات بالأساطير.

ويحدثنا البروفيسور «ب. بورشنيف» في كتابه «علم النفس الاجتماعي والتاريخ»، عن اكتشافات علماء الإثنوغرافيا لدى دراستهم للقبائل البدائية في أفريقيا وأوستراليا وأمريكا اللاتينية، ويبين كيف استطاع زعماء هذه القبائل، من خلال السحر والشعوذة والتلاعب بعواطف أفراد القبيلة، أن يسيطروا عليهم وعلى عقولهم، وتوجيه مشاعرهم العدائية تجاه أفراد القبائل الأخرى.

وهكذا، أصبحت عقدة الخوف من الأغراب أو الأجانب Xenophohia، وهي قريبة جداً إلى اللاسامية بالمفهوم الصهيوني، طريقة عامة في الحكم. ففي دراسته عن قبائل أرض آرنهم «Arnhem Land»، يقول «بالدوين سبنسر»: إن أكثر ما يخافه أفراد القبائل هناك هو سحر القبائل الأخرى، والأماكن البعيدة. وقد أشار «جيمس تشارلز» إلى حقيقة أن سكان جنوب غينيا الجديدة كانوا يعتقدون أن كل فرد في أية قبيلة أخرى، وكل غريب كان يعرض حياتهم للخطر، لذلك كانت تسيطر على عقولهم حالة من الذعر والخوف الشديدين

عندما يشاهدون أيّاً من الغرباء. ولاحظ المستكشف «ي.م. غور» أن موت أحد الرجال في القبيلة كان يعزى إلى شعوذة بعض القبائل الأخرى المعادية، أو المجهولة. وبعد الجنازة، تنظم مجموعة من المقاتلين المتعطشين للدم، ويمشون خلسة من 50 إلى 100 ميل بحثاً عن قبائل أخرى معادية أو غير معروفة، ويشنون هجوماً عليها، ويقومون بذبح الأطفال والنساء والرجال أثناء نومهم. وكانت حياة أفراد قبائل الكورناي الأوسترالية حياة رعب وخوف مستمرين، من شيء مرئي إلى شيء خفي. ووجد «كارل فون شيتن» الذي اكتشف البرازيل أنه بالنسبة لأفراد قبيلة باكايري، فإن جميع منابع الشر تعني معاً وفي الوقت نفسه كل ما هو ليس لنا، وغريب، ويعيش في قرى أجنبية. وفي سيبيريا، كان لقبائل التانفوس وشم خاص لكل منها، وأن أفراد القبيلة كانوا يقتلون من يصادفونه من أفراد القبائل الأخرى أثناء عمليات الصيد[23].

إن الشيء المهم الذي يمكننا استنتاجه هو أن هذه القبائل استطاعت أن تتحول إلى جماعات بشرية مذعورة، يتمتع أفرادها بوحدة العواطف، مثل الخوف والرعب والكراهية الفطرية من الجماعات والقبائل الأخرى. وهذا النمط من الحياة تريد الصهيونية أن تفرضه على يهود العالم حيثما وجدوا كي تضمن سيطرتها عليهم.

---

(23) البروفيسور، ب. يورشنيف، علم النفس الاجتماعي والتاريخ، ترجمة هشام الدجاني وعبدالكريم ناصيف، دار الفارابي، بيروت، ص 171.

2

الصهيونية وأنماط الجماعات اليهودية

إن البسيكولوجيا الاجتماعية، أحد العلوم الإنسانية، معنية بدراسة قوانين سلوك الناس ونشاطاتهم المشروطة باشتراكهم في فئات اجتماعية، وكذلك دراسة المواصفات البسيكولوجية لهذه الفئات بالذات. . وتهتم البسيكولوجيا الاجتماعية كثيراً في دراسة النشاط والسلوك الإنساني وتفاعلهما، وتوفير التفسير المطلوب حول كيفية تأثير البيئة الاجتماعية (من خلال النشاط المشترك وتأثير الإعلام الجماهيري) في تحديد إحساسات الناس ومشاعرهم وتفكيرهم وتصرفهم[24].

ويمكننا تقسيم حقول اهتمام البسيكولوجيا الاجتماعية على النحو التالي:

ـ **الظواهر البسيكولوجية الاجتماعية في المجتمعات الكبيرة**، وهي تشمل القضايا النفسية المتعلقة بالطبقات السياسية، والأمة، والاتصال الجماهيري، وأشكال عمل الرأي العام، وتأثير العادات والتقاليد على نشاطات الإنسان، انتشار العادات والتقاليد، والمظاهر المقبولة اجتماعياً، الطقوس، الاحتفالات، غرائز الجماهير، ونقصد بالغريزة هنا المجال الاجتماعي ـ النفسي وليس المجال البيولوجي. أما **ظواهر البسيكولوجية الاجتماعية في المجموعات (الجماعات) الصغيرة**، فهي تتناول تشكيل المجموعات خلال الاتصال الإنساني المباشر، والنشاطات الاجتماعية في الجماعة المغلقة، العلاقات المتبادلة بين الأفراد، المناخ

(24) انظر غالينا اندرييفا، البسيكولوجيا الاجتماعية، دار التقدم، موسكو، 1988، ص 17.

النفسي، مكانة القائد في الجماعة، درجة وأسباب انسجام الجماعة.

- **البسيكولوجيا الاجتماعية للشخصية**، أي ملامح الشخصية وسماتها العامة الناجمة عن التفاعل بين الفرد والجماعة[25].

وسنرى الآن كيف يصنف علم النفس الاجتماعي، الجماعة التي تعرف بأنها تشكيل موجود فعلاً، تجمع فيه الناس معاً، ويتحدون بموجب علاقة ما، بموجب نوع معين من النشاط المشترك، ويدركون، بطريقة معينة، انتماءهم إلى هذا التشكيل، بمعنى أن الجماعات تقسم حسب الأنماط التالية:

- **الجماعة العرضية - الآنية**: وهي تتشكل بشكل عرضي، في الشارع، أو المسرح... إلخ.

- **الجماعة التقليدية**: وتتشكل وفقاً لأسباب وأهداف تعلن قبل التشكيل أو بعده.

- **الجماعة التعبيرية**: ويمكن أن تكون جماعة عرضية أو تقليدية، لكنها تعبر عن حالاتها الهيجانية (جماعات الشغب في كرة القدم)، أو أثناء ممارسة بعض الطقوس الدينية التي تتضمن هيجانات شديدة، مثل لطم الخدود، الضرب بالسياط... إلخ.

- **الجماعة الفاعلة**، وهي المتمثلة في:

1 - **الجماعة العدوانية**، وهي جماعة يحركها دافع الخوف، وتدفعها الكراهية والحقد للقيام بأعمال التدمير والقتل والتصفيات الجسدية.

2 - **الجماعة المذعورة**، ويحركها شعور بالخوف والرغبة بتجنب خطر حقيقي أو مفترض[26].

وبدراسة أسباب بروز الجماعة المذعورة يتبيّن أن ظهورها يخضع إلى

---

(25) Social Psychology and Propoganda, Ibid, p.8.

(26) Ibid.

الاضطرابات الاجتماعية، حيث تخشى بعض الجماعات، الأقليات الطائفية أو القومية، أو تلك التي ارتبط وجودها بممارسات اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية معينة، تخشى الاضطهاد أو الإبادة، وللظروف الجسدية، مثل الإرهاق، التعب الشديد، العطش، قلّة النوم، إضافة إلى ظروف تتعلق بالخوف من أمور غير متوقعة ذات طابع سلبي قد تسبب الذهول أو الانفعال الشديد، وأيضاً إلى ظروف ايديولوجية أو بسيكولوجية اجتماعية محددة.

ولا ينتهي سلوك الذعر عند انتهاء مسبباته ذاتها، سواء تجاه الإنسان كفرد أو كجماعة، بل يمتد على شكل مظاهر تشير إلى وجود إرهاق، أو حالة توتر شديد، الاستعداد التام للقيام بالأعمال العدوانية، والاستغراق التام في حالات الهيجان[27].

3 ـ **جماعة المتنافسين**، وتوجد في الظروف التي تكون فيها الموجودات لا تكفي حاجات كافة الأفراد.

4 ـ **الجماعة المتمردة**.

ومن المعروف أن الجماعة متماسكة في الوسط، ورخوة جداً في الهامش. ويكون عامل التحريض شديداً جداً في الوسط.

هل يحتاج المرء إلى جهد عقلي كبير ليعرف أي نوع أو نمط من الجماعات تريد الصهيونية تشكيلها من اليهود؟ بالطبع لا، فالجواب واضح وبيّن وتدل عليه كل المرتكزات الايديولوجية للصهيونية. فالمطلوب إذاً، أن يتحول اليهود إلى جماعة مذعورة عدوانية. تريد الصهيونية ترسيخ الذهنية عند اليهود في كل أصقاع الأرض، كي تصبح كلماتها، كما يقول الباحث اليهودي الفرنسي «بيار بيرمان»:

> «كيانات حية، بل تصبح أشخاصاً تعزى لها فعاليات مباشرة على الأشياء والأشخاص والأحداث»[28].

---

(27) Ibid.

(28) بيير بيرمان، مقال بعنوان «اللغة»، مأخوذ عن: «الشعب الفلسطيني»، مصدر سابق، ص 10.

3



البنية البسيكولوجية للفئة المنشودة

ترتكز البنية البسيكولوجية لأية فئة كبيرة من الناس على:

ـ التكوين النفسي الذي ينسب إليه الوضع الاجتماعي، القومي، الأخلاقي، العادات، التقاليد، الأذواق... إلخ.

ـ وعلى المجال الهيجاني الذي ينطوي على الأمزجة والحاجات والمصالح، وثمة علاقة كبيرة بين المواصفات البسيكولوجية لهذه الفئة، وبين وعي كل شخصية من الشخصيات المنتمية إليها. ومواصفات الفئة هي ذلك العنصر النموذجي الملازم لجميع الأفراد. وتتواجد العلاقات البسيكولوجية الفئوية في وعي الشخصية المنتمية إليها، وفي أنظمة العلاقات والحاجات ومنتوجات الثقافة.

وينجم عن بسيكولوجية الفئة الكبيرة خلق «نحن ـ الشعور» بكل ما يعنيه بالنسبة للفئات الإثنية من إدراك، ووعي خصائص فئته وتميزها عن الفئات الأخرى. ومع مرور الزمن، وفي ظل توافر ظروف العزلة وعدم الاختلاط والتفاعل، قد يؤدي ذلك إلى تبلور ما يعرف بالمركزية الإثنية «Ethno Centrism» أي ميل الفرد إلى إدراك جميع ظواهر الحياة من وجهة نظر فئته الإثنية، والتي تعتبر معياراً قيمياً. ويتشكل ذلك من خلال غرس صورة

شعبية تحتوي على العديد من السمات الإيجابية التي تفوق بدرجة كبيرة السمات المماثلة في تصوراته عن الشعوب الأخرى[29].

وإذا كان وعي الإنسان يتشكل من خلال الدين والايديولوجيا والأدب والتعليم وتكوين الرأي العام ودور الجيش، فقد حاولت الصهيونية أن تخلق الإحساس بوحدة المصير بين أفراد التجمع الاستيطاني الصهيوني. وتستخدم لهذا الغرض أحاديث عن مجازر النازية والفاشية ضد اليهود إبان الحرب العالمية الثانية. وكذلك أحاديث عن اللاسامية باعتبارها داءً لا علاج له، كما تدعي الصهيونية، ثم يأتي دور الحديث عن أن خطر الإبادة سيبقى محدقاً باليهود في كل زمان ومكان. أو كما يقول بعض علماء الاجتماع الإسرائيليين، هنا يتم اللجوء إلى إثارة عقدة الماسادا، أي الانتحار الجماعي لليهود[30]، وذلك على غرار ما حدث في قلعة الماسادا «مسعدة» التي كانت قريبة من البحر الميت. وقد اختلفت الروايات حول الحادثة من الناحية التاريخية.

فثمة رواية تقول إن القلعة الموجودة على تل صخري بارز شرقي الصحراء الفلسطينية بالقرب من البحر الميت، تعرضت للحصار من قِبل الرومان عام 66 ميلادية، واستولى عليها الرومان عام 72 ميلادية. وحينئذ قام قائد الحامية اليهودية «أليعازر بن شير» بإجبار كل من كان في القلعة على الانتحار خوفاً من الانتقام.

ومن ذلك التاريخ، أصبحت الماسادا جزءاً لا يتجزأ من آلية زرع الخوف من الإبادة في وعي اليهود الذين أصبح قدرهم أن يعيشوا في ذعر ورعب شديدين ينتظرون الذبح[31].

أما الرواية الثانية، فتقول إنه في عام 82 ميلادية، عندما رفض قادة القلعة الاستسلام للرومان، أطبق المهاجمون على القلعة واحتلوها وقاموا بذبح الأطفال

(29) غالينا أندرييفا، مصدر سابق، ص 228.

(30) Benjamin Z. Keder, Massada, The Myth and Camplex, Jerusalem Quarterly, No.24. Summer 1982, p.27.

(31) الموسوعة الفلسطينية، الجزء الرابع، ص 210-211.

والنساء والشيوخ، قبل أن ينتحر قادتها أنفسهم. وبلغ عدد الذين قتلوا في هذه الحادثة 960 شخصاً، وتعتبر أسطورة الماسادا إحدى المرتكزات في التربية الفكرية في الكيان الصهيوني بشكل عام، وفي الجيش بشكل خاص. وقد استغلت بهدف احتواء الصراعات الداخلية والعمل لبناء وحدة وطنية تحت ذريعة ضرورات الأمن، وخلق جيل يقدس الحرب والعنف.

يضاف إلى ذلك أن عقدة الانتحار الجماعي، أو وحدة المصير، تتجلى في التربية الفكرية من خلال الأوامر اليومية التي تصدرها السلطة العسكرية الإسرائيلية، والتي تؤكد على ضرورة التمسك بالأراضي العربية والاستعداد التام للحرب، وأن أية هزيمة تتعرض لها إسرائيل في معاركها ضد العرب ستكون هي الأولى والأخيرة. هذا ويقوم أفراد سلاح الدروع بأداء القسم العسكري قرب القلعة، ويتضمن القسم عبارة «**لن تسقط الماسادا ثانية. كل العالم ضدنا**». وثالثاً وأخيراً، تستخدم عقدة الماسادا لزرع الفاشية تجاه العرب وكراهيتهم والحقد عليهم[32].

من جهتها، تروي «غولدا مائير» في مذكراتها أنها كانت دائماً، وهي طفلة تخشى حدوث مذبحة ضد اليهود في بلدتها كييف. ومع أن تلك المذبحة لم تقع أبداً، إلا أن الخوف وما رافقه من استنتاجات لاحقة تنطبق في كل زمان ومكان بالنسبة لها، أنها لا تروي مذكراتها بل تريد أن تسهم في تربية جيل كامل يكون الذعر والخوف من الآتي هما الأساس في حياته:

«لم تحدث تلك المذبحة إطلاقاً. لكنني إلى هذا اليوم لا زلت أذكر مدى خوفي وغضبي لأن الشيء الوحيد الذي كان والدي يستطيع أن يفعله لحمايتي وأنا أنتظر الرصاص أن يأتي ويخترق جسدي هو أن يضع بضعة ألواح خشبية على الباب. وأتذكر أكثر من أي شيء آخر، أن ما يجري لي سببه فقط أنني يهودية. وقد راودني هذا

---

(32) انظر شؤون فلسطينية، عدد 14، ص 40، مقال بقلم المقدم الهيثم الأيوبي، بعنوان: «خطر الإبادة، أسطورة في قاعدة الاستراتيجية الإسرائيلية».

الشعور عدة مرات في حياتي... الخوف.. الشعور بأني منبوذة، والإدراك أنني مختلفة عن الآخرين»(33).

وعندما استقال بن غوريون من رئاسة الحكومة الإسرائيلية عام 1953، شدد على ضرورة إدراك عداء العالم كله لإسرائيل!

«لقد أخذنا على عاتقنا مهمة النضال على ثلاثة أصعدة: النضال ضد أنفسنا، ضد عقلية الشتات الموجودة فينا، عاداتها السخيفة، وطبيعة حياتنا الطفيلية كأمة بلا وطن ومبعثرة في كل مكان وتعتمد على الصدقات... النضال ضد طبيعة البلاد، فقرها المدقع، وخرابها على أيدي الرب والإنسان، والنضال ضد قوى الشر والكراهية في العالم، قريبة وبعيدة، التي لا تفهم ولا تريد أن تفهم تفرد اليهود ومهمتهم كأمة منذ أقدم العصور في التاريخ، وحتى يومنا هذا»(34).

ويتحدث وزير الخارجية الإسرائيلية السابق أبا إيبان، في كتابه «بلادي» عن عمق الشعور بالخطر والتهديد واضطهاد العالم لليهود، كما يراه متخذو القرارات في إسرائيل. يقول أبا إيبان:

«الشعور الشديد بعدم الأمان تسرب إلى كل زاوية من زوايا الوعي اليهودي. عندما كنا ننظر إلى الخارج ونرى العالم ينقسم بين أولئك الذين يريدون تدميرنا وأولئك الذين لن يحركوا ساكناً لمنع الأحداث»(35).

وفي كتابه «الثورة» يتناول مناحيم بيغن الموضوع السابق ذاته ويقول:

«اسألوا اليهود: هل يمكن أن يُدمر شعب؟ هل يمكن إبادة الملايين من الناس في القرن العشرين؟ وماذا سيقول العالم؟ هؤلاء الناس

---

(33) Meir. G. My Life. Tel Aviv, 1975, p.

(34) Ben Gurion, D. Things as They Are, Tel Aviv, 1965.

(35) Eban, A.: My Country, My people. Jerusalem, Weden Feld and Necholson, Dover, Editor, 1972, p.180.

أبـرياء!! من الصعب أن أصـدق ذلك. بيـد أنـه من الممكن، وفي القـرن العشرين أن يـدمّـر شعبٌ بـأكمله، ولـو حـدث أن الشعب الذي أُبيد كان يهوديـاً، فسيبقى العالم صـامتاً يعيش بـالطريقـة التي يحيا بها كل يوم»[36].

ويجب ألا يغيب عن بـالنا ونحن نتحـدث عن عقدة المـاسـادا، والخـوف من الإبـادة، الإشارة إلى أن الصهيـونية استخـدمت المجازر التي ارتكبتهـا النـازيـة الهتلرية ضد يهود أوروبا، والتي شاركت الصهيونية فيها بشكـل مباشر وفعـال، كـما أصبح ذلـك معروفـاً للقاصي والـداني، استخدمت هـذه المجازر كمصيـدة لاصطياد اليهود في العالم وإخضاعهم لسيطرة الصهيونية وتحكّمها، وفصلهم عن باقي شعوب العالم، وهذا ما أكده الكاتب اليهودي «باعوز ايعزون» في مقالة له بعنـوان: «الهولـوكوست كمصيـدة» ونشرتـه مجلة «Retuen» في عـددهـا الثـاني الصادر في مارس 1990. يقول الكاتب:

«إن محـاولة تقـديم حرب الإبـادة ليهود أوروبـا كحـادث لا يهم إلا اليهود أنفسهم، يحدث فجوة واسعة لا يمكن ردمها بين اليهـود وكل شعـوب البشرية، وهـذا بالـذات ما أرادتـه النازيـة، وهذا مـا يهم الفئات اليمينية المتطرفة عندنا»[37].

وتحاول الصهيونية أن تجعل الهولوكوست جزءاً لا يتجزأ من هوية اليهودي في كـل أرجاء المعمـورة، والهـدف ليس فقط تسهيـل مهمـة إلغـاء عقله وتسخـيره لخـدمتها، وفصله عن بقيـة شعوب العـالم، بل والتغـطية عـلى دورهـا في هـذه المجاز ـ، وتبرير المجازر التي تـرتكب بحق الفلسطينيـين في المناطق المحتلة إبـان الا ـتفاضة.

في أبـريل من كـل عام ـ حسب التقـويم العبري ـ يجـري إرسـال الـوفـود مر طلبة المدارس والجامعات المختلفـة في إسرائيل، وبـإشراف دائرة الشبيبـة في

---

(36) Begin, The Revolt, The Story of the Irgune.

(37) Rehurn, March 1990, p.6.

وزارة المعارف، للقيام بزيارة المعسكرات التي استخدمت لإبادة اليهود في بولونيا، ويشارك في هذه الزيارات شخصيات رسمية، وبعض الوزراء. ويكون من ضمنهم أحياناً، وزير المعارف. وفي أثناء الزيارات يتعرف الشبان إلى بعض الناجين من الهولوكوست. وقد قررت الأكاديمية البولونية عقد مؤتمر دولي حول الكارثة واليهود يشارك فيه وفد من إسرائيل. وبالطبع، حدث هذا لأول مرة بعد تسلم نظام ليش فاليسا الموالي للغرب والصهيونية زمام الحكم في بولونيا، وقيام رئيس الدولة البولونية بزيارة إلى إسرائيل يطلب فيها الصفح من اليهود.

وفي إسرائيل ذاتها، يتوقف السير على كافة الطرقات في تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً، وتقام مراسم جنائزية في المدن الرئيسية، وتفتح مؤسسة «يادفاشيم» أبوابها أمام الزائرين.

وفي هذه الأثناء تصمت القيادة الإسرائيلية صمت القبور حول تعاونها مع النازية والفاشية، وإسهامها الفعلي في حرق اليهود وقتلهم في معسكرات الاعتقال النازية.

لقد صدرت دراسات صهيونية كثيرة حول «الكارثة»، وهي جزء لا يتجزأ من مناهج التدريس في مختلف مراحله وأنواعه، وغدت الكارثة أبرز مواضيع الأدب، بل وحتى التوحد مع المعتدي، أي النازي الألماني، وذلك لتبرير غضب اليهود وحقدهم على العالم بأسره. والدليل على ذلك، نجده في أعمال أدبية كثيرة لمشاهير الكتاب اليهود والإسرائيليين، ومنهم عاموس عوز في روايته «حب متأخر»[38]:

> «بغضب عارم تدفقت فجأة طوابير المدرعات العبرية على طول الغابات المظلمة. وكل من اعترض طريقها، كانوا يرشقونه برشقات من النيران. وطوابير نارية طويلة، وخطوط خنادق وحصون كئيبة... وتحركت عاصفة الخراب في أرجاء بولونيا دون أن تستطيع قوة في العالم أن توقفها. أي غضب يهودي مدرع يجتاح

---

(38) عاموس عوز، حب متأخر، مأخوذة عن: د. رشاد عبدالسلام، الشخصية اليهودية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، رقم 102، حزيران 1986، الكويت، ص 46.

أرض السلافيين، ويكنس الحقول والغابات، ويحرق ويتقدم للأمام. . . وبغضب جارف أحرقوا كل الكتائب المشاغبة على الطرق، بولونيا، ليتوانيا وأوكرانيا. . . وفي عَدْوٍ لاهث، ودون توقف، ودون النظر إلى ما يجري في الشرق، رأيت موشي دايان وهو يرتدي ملابس القتال المصفرة على جسده، يقف هادئاً منتصباً. . . يقف صامتاً، ومخيفاً، وهو يتلقى بهدوء وتجهم وثيقة الاستقلال من الجنرال فات كيتشنيف. . .».

لماذا اختار الكاتب الهجوم شرقاً بدلاً من احتلال برلين عاصمة النازية؟ فهذه مسألة لن نبحثها هنا، رغم أهميتها الكبرى، لكننا نؤكد أن «الكارثة» أصبحت وسيلة، أو ذريعة لتبرير كل الأعمال الإجرامية التي ارتكبها الصهاينة بحق العرب، بل أصبحت وسيلة لغسل عقول الناشئة من اليهود وتعليمهم الحقد على العالم ككل والرغبة في الانتقام منه، بالطريقة نفسها التي تحدثت عنها قصيدة شاؤول تشرنوفسكي بعنوان «فليكن هذا هو ثأرنا»[39]:

«سيأتي اليوم الذي تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك
وتغرس حد سكينك في عنق أخيك
ابن أمك، كأنك تذبح خنزيرك المفضل
في عيد القيامة، في الفناء، أو في ميدان القرية
يا يوم الثأر
يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التي علاها الشيب
ويرفع في وجهك قبضته الصلبة
ويناديك من حنجرته الحيوانية
أيها الشرير أأنت تذرف الدموع
أمام كل الناس
يا يوم الثأر والعقاب
حين تعرض ابنتك الحبيبة نفسها عاهرة ضعيفة

(39) المصدر السابق، ص 62.

ملكتها الرغبة العارمة وسكرت في الخمر
وأخذت تهمهم بكل قصص الزنا
تلك التي ارتكبتها
هذا هو ثأرنا
فليعطش ثأرنا
نرثه جيلاً بعد جيل. .

وبدون الوقوع في الدفاع عن النازية وتبرير جرائمها ضد البشرية جمعاء ومن بينهم اليهود؛ ثمة مسألة تاريخية توثيقية تطرح نفسها أمام كل الباحثين في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد في أفران الغاز النازية. هل كانت موجودة فعلاً؟ ولماذا أخفقت كل المحاولات التي بذلت حتى الآن للعثور على صور حقيقية لهذه الأفران؟

يقول «يغال لوسين» منتج مسلسل «عمود النار» الذي قام التلفزيون الإسرائيلي ببثه في النصف الأول من عام 1981 وعلى مدار 19 حلقة، تحدثت عن تطور المشروع الصهيوني في فلسطين منذ نشأته حتى عام 1948[40]:

«عندما قمت ببحث خلفية الكارثة في ألمانيا تعلمت أشياء كثيرة، وقررت توجيه كل جهدي للعثور على أفلام سينمائية عن الكارثة من الأرشيف التابع لمؤسسة معسكرات الاعتقال في كيبوتس «لوحيم هيفاؤوت»، لأن تلك المؤسسة قامت ببحث شامل للموضوع وأنتجوا فيلم «الضربة الحادية والثمانين» بالتعاون مع الشاعر حاييم غوري. . .

وكانت المؤسسة على استعداد لتزويدنا بالمواد السينمائية المتوافرة لديها وأرفقناها بالأفلام لدينا.

. . وبعد أن فرغنا من العمل، اطلع عليه البروفيسور باور

(40) عامود النار، الأسطورة التي قامت عليها إسرائيل، ترجمة غازي السعدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الجليل للنشر، عمان 1981، ص 107-108-109.

وقال: لا تلمسوا هذا الفيلم ولا تعرضوه أبداً. فسألناه: لماذا؟ فقال لأن جميع الباحثين لم يعثروا حتى الآن على أي فيلم وثائقي للكارثة... لقد وافقت الدكتور باور على رأيه. ولكنني أبلغته إنني سأحاول إيجاد براهين تؤكد وجود غرف غاز، وبعد ذلك يئست من إمكانية العثور على مثل هذه البراهين. لقد كنت أنا شخصياً في أوشفيتس، ولم أشاهد هناك غرف غاز....

لقد أرسَلَنا الدكتور باور إلى الدكتور كولكه المسؤول عن مؤسسة «يادفاشيم» وقمنا بالتفتيش لديه عن الصور التي نسعى للحصول عليها، ولكننا لم نعثر على شيء...».

ويضيف منتج المسلسل قائلاً: «لقد صدر أول بيان رسمي للوكالة اليهودية في ديسمبر عام 1942، أي بعد عام من بدء عملية إفناء اليهود». وفي كثير من الأحيان كانت الصحف الصهيونية في فلسطين تقول إن الأنباء عن المجزرة مختلقة، وأنها دعاية سوفياتية...

وبعد، ماذا استبقت الصهيونية من عقل الإنسان اليهودي بعد أن ألحقت به الهزيمة وسحقته، وجعلت الضحية تتوحد مع جلادها، فقط لأنه يجسد الأيديولوجية النازية الجرمانية التي لها مكانة خاصة لدى مؤسسي الحركة الصهيونية، الذين يسعون حتى الآن جاهدين لإعادة إنتاج العقلية النازية القائمة على التفوق العرقي العنصري، وتقديس العنف، ومعاداة الشعوب الأخرى كلها.

الفصل الثاني

ماذا تعني الإيديولوجية الصهيونية؟

تعتبر الايديولوجيات من أكثر وسائل تشكيل العقل في العصر الحديث، وتعرف بأنها جملة وجهات النظر السياسية والأخلاقية والحقوقية والدينية والفنية والاجتماعية والاقتصادية التي تعكس مصالح هذه الطبقة أو تلك[1]... إنها شكل من أشكال الفلسفة الاجتماعية ـ السياسية ـ الاقتصادية، والعناصر العملية فيها على القدر نفسه من الأهمية مع العناصر النظرية[2]. وهي أيضاً منظومة فكرية متكاملة لتفسير التاريخ والمجتمع بشكل شامل وتبرير التغييرات الجارية في العالم[3].

والايديولوجيا الصهيونية التي ظهرت وتبلورت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تجسيداً لقلق وذعر أكثر الشرائح الاجتماعية اليهودية رجعية وتخلفاً وتحالفاً مع الإمبريالية العالمية من اندماج اليهود وانصهارهم في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها. إن هذه الايديولوجية، بحكم طبيعتها الطبقية، رجعية ومعادية للتقدم والتحرر والسلم العالمي، وهي معادية للعلم، وتقوم بنشر وجهات نظر رجعية وكاذبة، مثل نقاء الجنس اليهودي، وتفوّق اليهود على

(1) عبد الرزاق الصافي، القاموس السياسي، دار الفارابي.

(2) Webester Dictionary, vol. II, p.1123.

(3) Encyclopedia Britannica, vol. 9, p.194.

غيرهم من الشعوب، ولأنها تستعمل أساليب متنوعة من التضليل والخداع، من خلال أسلوب ما يسمى بالمزاوجة بين التاريخ وما فوق التاريخ History and Meta History، أو كما يترجمها البعض «الغيبيات العلمانية»، وهي في الوقت نفسه أيديولوجية عرقية وصفها الرأي العام العالمي، ممثلاً بالجمعية العامة للأمم المتحدة، بقرارها رقم 3379 لعام 1975، بأنها شكل من أشكال الفاشية العنصرية؛ لأنها تقوم على الادعاء بالتفوق المزعوم «أن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسية في الجنس البشري». . . و«أن البشرية لن تستطيع التقدم، مهما حاولت، بدون اليهود». وما العنصرية إلا النظرية القائلة بأن هنالك علاقة سببية بين الصفات الموروثة وبين صفات معينة تتعلق بالشخصية، أو العقل أو الثقافة. . . وأن بعض الأعراق متفوقة على أعراق بشرية أخرى بصورة وراثية[4].

لقد تأثرت الايديولوجية الصهيونية كثيراً بالايديولوجيات القومية التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر، فأخذت عن الايديولوجيات الجرمانية والسلافية المزج بين الأفكار الدينية والقومية والاعتماد على الناحية العرقية، وهذه تشكل العمود الفقري للايديولوجية الصهيونية. ولسنا نبالغ إذا قلنا إن الايديولوجية الصهيونية إذا جردت من المقولات الدينية اليهودية، لا يبقى سوى أشلاء أو بقايا الايديولوجية الجرمانية. وأخذت «رسالة اليهودي» عن الايديولوجية الأوروبية الاستعمارية التي تحدثت عن «رسالة الإنسان الأبيض» المزعومة لتمدين شعوب المستعمرات. أما تفوق العرق اليهودي المزعوم، فما هو إلا تكرار للدعوات العنصرية التي نادى بها غوبنيو ونيتشه، وغيرهما من الفلاسفة، الذين أعادوا إلى الوجود فلسفة مجتمع مالكي العبيد، أنصاف الآلهة، أصحاب الدم الأزرق. . . إلخ.

وتعتبر التيارات العامة المتعددة في إطار الصهيونية، والتي ظهرت نتيجة لتعدد الانقسامات الداخلية، أو لأسباب أخرى، من أبرز سمات الايديولوجية الصهيونية، وتُستغل هذه التيارات لتضليل أكبر عدد ممكن من يهود العالم، وغير

(4) Encyclopedia Britannica, Ibid.

اليهود: من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. وهي تشمل: الصهيونية العمومية؛ الصهيونية التحريفية التي غلبت الجانب القومي على الجانب الديني؛ الصهيونية الدينية؛ والصهيونية العمالية التي تروج للاشتراكية الصهيونية المزعومة، بدءاً من بوروخوف صاحب مقولة الهرم المقلوب، إلى سيركين صاحب نظرية «الوحدة الأخلاقية ووحدة الرؤيا»، إلى جوردون صاحب فلسفة «دين العمل»، إلى الحركة العمالية الصهيونية المعاصرة، من الماباي إلى المابام، وكذلك الصهيونية الثقافية التي مثلها إلى حد ما آحاد هاعام، ومارتن بوبر.

ورغم تعدُّد المذاهب الصهيونية، يمكننا القول أنها جميعاً استخدمت الايديولوجية الصهيونية لتجنيد مئات الألوف من اليهود لخدمة المشروع الصهيوني في فلسطين، سواء من خلال الهجرة إليه مباشرة، أو من خلال القيام بعمليات الدعم والمساندة وجمع الأموال... إلخ، وقد استعملت مختلف المذاهب الصهيونية المقولات الصهيونية ذاتها في خدمة نشاطاتها السياسية...

فماذا يعني: نقاء العرق اليهودي، وتفوق العرق اليهودي، والصهيونية اللاطبقية، اليهودية والقومية، واللاسامية؟ وكيف تستغل الصهيونية هذه الأقوال لخدمة أغراضها والتعاون مع أعدائها المفترضين لتنفيذ أهدافها؟

1

نقاء العرق اليهودي

يعتبر هذا القول أحد مكونات «خصوصية اليهود»، ونقاء العرق أو الدم اليهودي قول قديم جداً، يعود بجذورها إلى مجتمع مالكي العبيد الذين يبررون استغلالهم لغيرهم من البشر، بأنهم أنصاف آلهة بين البشر، وأن دماءهم زرقاء اللون، وما إلى ذلك من ترّهات، ولقد استمرت هذه الادعاءات بعد زوال مجتمع مالكي العبيد وظهور النظام الإقطاعي، واتخذها الملوك في أوروبا أساساً لتبرير حقهم الإلهي المقدس في الحكم، وبعد ظهور الرأسمالية في أوروبا الغربية، وتطور الرأسمالية إلى إمبريالية، استغلت الصهيونية النقاء العرقي، كما فعلت النازية الأمر نفسه فيما بعد.

يقول ليو بنسكر (1821-1891) مؤلف كتاب «التحرر الذاتي»: «إن اليهود هم بدون أدنى شك أنقى عرق بين جميع الأمم المتمدنة»[5]. وقبل بنسكر قال موشى هيس (1812-1875)، مؤلف كتاب «روما والقدس»: «إنه من الضروري تجديد الهوية اليهودية على أساس بيولوجي «عنصري». وعمد إلى مزاوجة علم الأجناس مع المعتقدات اليهودية ليتوصل إلى تبرير ادعائه بنقاء العرق اليهودي». ثم يتابع قائلاً: «إن اليهود عاشوا وكانوا في بلدان العالم مدة ألفي

(5) ليو بنسكر، التحرر الذاتي، نداء من روسي يهودي إلى شعبه، مأخوذة من الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مركز الأبحاث، بيروت، 1971، ص 81.

عـام دون أن يختلطوا معهم في الصميم. . . . إن العرق اليهـودي من الأعـراق الرئيسية في الجنس البشري. وقد حافظ هذا العرق على نقائه وعلى وحدته رغم التأثيرات عليه، كما حفظت السمة اليهودية على نقائها عبر العصور»[6].

وقال «تيودور هرتزل» (1860-1904) في مؤلفـه المعروف، «الدولة اليهـودية»: «إن اليهود بقوا شعباً واحداً وعرقاً متميزاً»[7]. ومن اللافت للنـظر حقاً أن يؤيـد «أدولف هتلر» دعوى نقاء اليهود بقولـه: «إن الشعب اليهودي لم تـطرأ عليه إلا تغييرات طفيفة جداً على مدى ألفي عام»[8].

وبعد قيام الكيـان الصهيوني عـام 1948، احتدم نقـاش لم يحسم حتى الآن، حول قانون «من هو اليهودي»، ويعلق «حاييم كوهين» عضو المحكمة العليـا في إسرائيل، على قانون الكنيست المقترح أن اليهودي هو فقط من يولد لأم يهوديـة بقوله:

> «إن سخرية القدر شاءت أن تكـون المعايـير البيولـوجية والعنصريـة التي يروجها النازيون، والتي استـوحيت منها قـوانين نـورنبرغ، هي نفسها الأساس لتحديد المواطنة رسمياً في إسرائيل»[9].

وللرد على هذه الخرافة التي تـزرع في عقول اليهـود في كل مكـان وفي مختلف الأعمار، سنعتمد على الناحية التاريخية، ومن ثم على المعطيات العلمية.

أولاً ـ الناحية التاريخية:

إذا أخذنا التوراة ذاتها، بدون التدخـل في الجدل الـدائر الآن حـول أصولهـا أهي كنعانية أم من بلاد عسير في الجزيرة العربية، لـوجدنـا الدليـل الكافي عـلى عدم نقاء دم «الآباء» وهـم أنبياء اليهود الأولون.

---

(6) مـأخوذ عن د. أسعـد عبدالـرحمن، المنظمـة الصهيونيـة، مـركـز الأبحـاث، بـيروت 1967، ص 17.

(7) خالد القشطيني، الجذور الايديولوجية للصهيـونية، مـركز الـدراسات، بغـداد، مجلد رقم 1، ص 17.

(8) المصدر السابق.

(9) الجوهر الرجعي للصهيونية، مصدر سابق، ص 76.

إن شمشون اليهودي تزوج من دليلة الفلسطينية، كما يقول العهد القديم، وفي سفر حزقيال تقرأ: «أمك كانت حثية وعمورياً كان أبوك». وتزوج يوسف من آسنات المصرية، أما موسى فقد تزوج من صفوره وهي من مدائن صالح. والملك داوود كانت أمه مؤابية وتزوج من أميرة جيشر. والملك سليمان كانت أمه حثية وتزوج من بلقيس ملكة اليمن. هذا الاختلاط مع الشعوب الأخرى تذكره التوراة وليس سواها.

ولو انتقلنا إلى مرحلة السبي التي يقال إنها دامت 1400 عام، فمن المعروف أن النساء كن يؤخذن إماءً، وهن ملك أسيادهن، ولهم حق معاشرتهن وإنجاب الأطفال منهن. فعندما رفض اليهود العودة إلى فلسطين في عهد قورش الفارسي، وهو من أم يهودية، كان ذلك دليلاً على اختلاط اليهود في ثنايا المجتمع الذي عاشوا فيه. وعندما دمر القيصر الروماني «هادريانوس» القدس عام 135 ميلادية[11]، وقتل معظم اليهود الموجودين فيها، وأخذ بعضهم أسرى ليقتلوا في مصارعة الوحوش، في قيساريا وبيروت وصور، فلا جدال أن النساء اليهوديات توزعتهن أيدي تجار الرقيق، ومن نجا من الموت من اليهود كما تقول كتب التاريخ الصهيونية نفسها، شكلوا فيما بعد اليهود السفارديين الذين عاشوا في بلاد الأندلس، في فترة محددة من التاريخ - ولا يزيد عددهم الآن، عن نصف مليون إنسان، أو أكثر قليلاً - وهذا يعني أنهم أقل من 1/30 من عدد اليهود في الوقت الحاضر، علماً أن هؤلاء اليهود كانوا بعيدين كل البُعد عن عدم الاختلاط، بدلالة أن ملوك إسبانيا فرضوا عقوبة الإعدام على اليهودي الذي يتزوج مسيحية، وأن المرأة المسيحية ستعتبر زانية. وفي الوقت نفسه صدرت عدة نداءات من الحاخامية لوقف عملية التزاوج المختلط بين يهود إسبانيا والشعوب الإسبانية الأخرى[12].

أما الجزء الأكبر من يهود العالم في الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية

(10) «تشرين» السورية 1988/8/10، مقال بقلم الدكتور - ماجد شدود - بعنوان: دولة الخزر في الوطن العربي.

(11) انظر الموسوعة الفلسطينية، الجزء الثالث، باب القدس.

(12) Encyclopedia Judaica, vol. II entry, Anti Semitism.

والأمريكتين الشمالية والجنوبية، فهم من البقية الباقية من يهود الخـزر التي اعتنق ملكها الديانة اليهودية في منتصف القرن الثامن الميلادي، واعتنق سكان المملكة الديانة اليهودية تطبيقاً للمبدأ القائل «الناس على دين ملوكهم»، ومن يهود مملكة الخزر جاء يهود رومانيا وهنغاريا وبولونيا، ومن هناك انتشروا، منذ مطلع القرن التاسع عشر، باتجاه أوروبا الغربية والأمريكتين.

ومن المعـروف، أن الحركـة الصهيونيـة ظهرت لـوقف عملية الانـدماج بـين اليهود والمجتمعات التي يعيشون فيها. وقـد كانت حـركة الانـدماج تتم بـوتائـر متباينة تختلف تبعاً للبلد. ففي أوروبا الغربية، بـاستثناء ألمـانيا، كـانت العملية شديدة القوة. أما في روسيا القيصرية وأوروبا الشرقية، فقد كان اندماج اليهـود في الحركات الثورية كبيراً. ولذلك، توجـه «هرتـزل» عام 1903، إلى «ميليفيـه» وزير داخلية روسيا القيصرية، منـظم مذبحـة اليهود في مـدينة كيشـوف برجـاء السماح بعلنية حـزب صهيوني في روسيـا بحجة «أن الصهـاينة سـوف يصرفون الشباب اليهود عن الاشتراك في الحركة الثورية»[13].

ولـو انتقلنـا إلى الـوقت الحـاضر، لـوجـدنـا أن قضيـة الـزواج المختلط بـين الصهيـونية وشعـوب العالم الأخـرى، هي من أكبر القضـايـا التي تقلق الحـركـة اليهـود وتثير الـذعر فيهـا، حيث تطالعنـا الصحف الصهيـونيـة داخـل الكيـان الصهيوني وخارجه يومياً بأرقام تثبت اتساع دائرة الزواج المختلط.

ثانياً ـ الناحية العملية:

إن بين يهود الفلاشا الـزنوج، ويهـود الاتحاد السـوفييتي السلافيـين، واليهود الانكلوساكسونيين فوارق كبـيرة جداً، يضـاف إليها فـوارق موجـودة بينهم وبين يهـود البلدان العربيـة، وهذا بـدوره أيضاً يـدحض ادعاءات الصهيـونيـة بنقـاء العرق اليهودي؛ أو بوجود عرق يهودي أصلاً. وقولنا هذا يستنـد إلى معطيـات علم الأنـثروبولـوجيا، علم الـوراثة، وعلم الانـتروبومـترية، أي علم المقـاييس لأعضاء الجسم. «فاليهود كانوا في بداية تاريخهم هجيناً مئة بالمئة؛ يعتقـدون أن

(13) الجوهر الرجعي للصهيونية، مصدر سابق، ص 24.

كيانهم ووحدتهم الجنسية يسيران جنباً إلى جنب مع كيانهم الديني». هذا ما أكده العالمان «فيتشر» و«فيرجل» ونشر في بحث أعدته منظمة اليونسكو عام 1975.

وأكد العالم اليهودي «آرثر كوستلر» أن الغالبية الساحقة من يهود العالم المعاصر ليسوا أساسيين أصلاً، بل هم من أصل تركي وقوقازي.

وقال العالم رافائيل باتيه أن اليهود المعاصرين يختلفون عن بعضهم اختلافاً كبيراً من حيث الخصائص الجسدية، مثل طول القامة، الوزن، لون الجلد، الدليل الرأسي، الدليل الوجهي، فصائل الدم... إلخ.

وأكد العالم جوان كوماسي: «أن اليهود ليسوا متجانسين من الناحية السلالية، بل يمتلكون سمات مماثلة لكل الشعوب التي عاشوا بينها». وضرب مثلاً على ذلك يهود هولندا ويهود اليونان، وأشار إلى التقارب بين كل من هؤلاء والشعب الذي عاشوا بينه، وتباعد كل منهما عن الآخر، أي اليهودي الهولندي واليهودي اليوناني. بينما استنتج العالم «هاري شابيرو» أن الفرق بين المؤشرات الأنثروبولوجية بين السكان الأصليين واليهود داخل كل دولة، هو أقل من الفرق بين اليهود الموجودين في دولتين مختلفتين... وأن الفرق بين سكان دولتين مختلفتين هو مماثل للفرق القائم بين يهود هاتين الدولتين.

وأخيراً، نورد رأي البروفيسور «يوجين بيتارو» الأستاذ في جامعة سويسرا، مؤلف كتاب «العرق والتاريخ»، إذ يقول:

«إن جميع اليهود بعيدون عن الانتماء إلى جنس يهودي، وأن اليهود لا يؤلفون أمة، بل جماعة دينية فقط، وهم عبارة عن طائفة انضم إليها أشخاص من جميع الأجناس، جاؤوا من جميع الآفاق، منهم يهود الفلاشا، ومنهم الألمان، ومنهم اليهود السود، والشرق أوسطيون ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الشعر الأشقر الكستنائي والعيون الفاتحة يمتّون بصلة القرابة إلى اليهود في الأردن»[14].

(14) انظر تشرين السورية 10-1988/1/11، ومركز الدراسات، بغداد، المجلد رقم 1، مقال بقلم =

ثالثاً ـ تفرد اليهود:

يقول «آبا إيبان» وزير خارجية إسرائيل الأسبق، في كتابه «شعبي: قصة اليهود»:

«إن الخصوصية المطلقة للتاريخ اليهودي، وتمرده على كل القوانين التاريخية، تمرده الكلي على أية مقارنة. . . لا توجد أي أمة معاصرة تتطلب مبررات وجودها هذه العودة إلى الماضي البعيد»[15].

وهذا القول ما هو إلا صدى للخصوصية المزعومة لليهود التي تكررها الأدبيات الصهيونية، مدعية أن اليهود هم «شعب الله المختار» أو ما ورد في التوراة من أقوال تؤكد هذه المزاعم. ومن بينها: «أي شعب على الأرض يشبه شعبي، يشبه إسرائيل» (سفر إسماعيل 2-2:7).

ويستطيع الباحث أن يتبين أن ادعاءات الخصوصية لا أساس لها من الصحة، من الناحيتين العلمية والعملية، إذ أن العلم دحض قول نقاء العرق اليهودي، أو حتى قول العرق اليهودي. ويدحض أيضاً تميز اليهود عن غيرهم من الناحية البيولوجية والوراثية. كما أن المنطق يدحض ادعاءاتهم الأخرى بشأن الخصوصية. فلو أخذنا مقولة شعب الله المختار، وناقشناها، لاكتشفنا المغالطة الكبيرة الموجودة فيها.

ترى هل كلمة «شعب» تعني شعباً معيناً تاريخياً، وجد في حقبة زمنية كظاهرة ملموسة؟ ولو تناولنا هذا القول على أساس الكيان المطلق، شأنه شأن كل الأقوال الصهيونية الأخرى بشكل أو بآخر، ألا توجد تحديدات وضوابط لهذه الخصوصية؟ فلا وجود في الحياة البشرية للخصوصية المطلقة. يضاف إلى ذلك، أن القائلين بالخصوصية اليهودية المبنية على الادعاءات التوراتية يريدون من كل الناس أن يضعوا عقولهم جانباً ويسلموا جدلاً أن اليهود الحاليين هم أحفاد اليهود القدامى الذين تحدثت عنهم التوراة.

= الأستاذ خالد القشطيني: «الجذور الأيديولوجية للصهيونية».

(15) Abba Eban, My People, The Story of the Jews, New York, Random House, 1968.

ومن بين المسوغات الأخرى للصهيونية لادعاء خصوصية اليهود، ما يقوله الحاخام كوك، مؤلف كتاب «روح الأمة»: «إن ما يميز اليهود عن غيرهم هو أن قوانينهم سماوية جاءت من الرب وأن مصيرهم مختلف»(16).

أو ما يقوله الحاخام يهودا هاليفي: «إن المسألة الإلهية هي ما يمتلكه اليهود ويفتقر إليه الآخرون»(17).

وغني عن القول، أن هذه الادعاءات بالخصوصية قائمة على اعتبار الديانة اليهودية هي الديانة السماوية الوحيدة، منكرة بذلك حقائق يسلم بها معظم أفراد الجنس البشري وهي وجود ديانات سماوية أخرى غير يهودية، أي المسيحية والإسلام.

إن خصوصية اليهود القائمة على الادعاءات التوراتية تتضمن، كما يقول البروفيسور «يشيعاهو ليبوفيتش» أستاذ الكيمياء الحيوية في الجامعة العبرية سابقاً، والمحرر الرئيسي للموسوعة اليهودية:

> «إن هذه الخصوصية تتضمن الحط من قيمة اليهودية، لأن ذلك يعني أن اليهودية ليست رسالة أو مهمة، بل حقيقة واقعة، وهذا يجردها من قيمتها»(18).
>
> يدّعي بعض الصهاينة أيضاً:
>
> «أن الخصوصية اليهودية تستند إلى أن لليهود مصيراً مشتركاً، ولا مثيل لذلك بين الأمم... أي أن اليهودية كتجسيد لا تنبع من جوهر اليهودية، بل من تاريخها»(19).

إن هذه القدرة المطلقة، وهي من مخلفات مجتمع مالكي العبيد، لا يمكن أن يقبلها العقل البشري في العقد الأخير من القرن العشرين، والقول أن «اليهود

---

(16) The Jerusalem Quarterly, vol., 19 Spring 1981, an Essay by Yeshuyahu Lailowitz., The uniqueness of the Jewish people. p.47.

(17) المصدر السابق.

(18) المصدر السابق.

(19) المصدر السابق.

مقدر عليهم مصير محتوم». أضف إلى ذلك أن الخلاف القائم بين يهود أوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا، الذين يرفضون الهجرة إلى الكيان الصهيوني، ويرفضون القبول بمركزية دولة إسرائيل في حياة اليهود، ويعلنون أن هدفهم هو تحسين أوضاعهم في البلدان التي يعيشون فيها، يكذب الادعاء بالمصير المشترك والمحتوم لليهود..

ولو تناولنا قضية المصير المشترك لليهود، من زاوية علم الاجتماع، لثبت بطلانها، فاليهود في دول العالم يعيشون ضمن تشكيلات اجتماعية اقتصادية قائمة على أساس طبقي. ومن الطبيعي أن يكون مصير الرأسماليين اليهود مرتبطاً بمصير رأسماليي دولهم. وأن مصير العمال اليهود أيضاً هو جزء لا يتجزأ من مصير البروليتاريا في البلدان التي يعيشون بين ظهرانيها. وهذا ما أكدته تجربة اليهود ذاتهم إبان الحرب العالمية الثانية والاجتياح النازي، إذ تعاونت الصهيونية مع النازية لتهريب جميع المتمولين اليهود من ألمانيا، فيما ترك مئات الألوف من اليهود الفقراء ليلاقوا مصيرهم مثلهم مثل بقية أبناء الشعوب الأخرى.

وثمة من يتحدث عن تفوق العرق اليهودي، ويتخذ منها وسيلة للحديث عن الخصوصية اليهودية. إن الحديث عن التفوق العرقي كان من أشهر الأسلحة الايديولوجية التي استخدمها العنصريون في الولايات المتحدة في رفضهم منح الزنوج الأمريكيين المساواة في الحقوق والواجبات. وقد كرر الادعاء نفسه النازيون والفاشيون الذين تحدثوا كثيراً عن تفوق العرق الآري.

لقد عرفت البشرية علماء ومفكرين وأدباء وفلاسفة يهود، ولا جدال في ذلك، لكن هؤلاء لم يظهروا وروداً في صحراء مقفرة، ولم يتفوقوا فقط لأنهم يهود، بل لأن المجتمعات التي عاشوا فيها كانت تمر بمرحلة من التطور والتقدم، مهدت لهم التفوق والنبوغ، وأبرزت عشرات المتفوقين من غير اليهود إلى جانبهم. أما الحديث عن تفوق اليهود كيهود، فهذا يدحضه التاريخ ومعطيات علم الآثار، لأن إسهام الممالك والدويلات اليهودية في التطور الحضاري للمنطقة يكاد لا يذكر. ويقف علماء الآثار الصهاينة، عاجزين عن

إثبات جغرافية التوراة، أو إثبات جغرافية بعض الحملات العسكرية التي تتحدث عنها التوراة، وخصوصاً سفر «يوشع بن نون» الذي تحدث عن حرق مدينة أريحا ومدن أخرى[20].

وفيما يتعلق ببعض نواحي ما يسمى بالتفوق النوعي القائم بين الكيان الصهيوني والدول العربية، فهو إنما يأتي نتيجة للدعم اللامحدود الذي تقدمه الإمبريالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة للكيان الصهيوني، وكذلك للأوضاع السائدة في الدول العربية. ويعترف الإسرائيليون أن التطور الاقتصادي والاجتماعي والعلمي الذي تشهده الدول العربية، أو بعضها، يضيق الفجوة النوعية شيئاً فشيئاً.

وإذا عدنا إلى قول «آبا إيبان» عن خصوصية اليهود، وتمردهم على كل القوانين التاريخية ورفضهم المطلق لأية مقارنة... لتساءلنا هل يقبل العقل البشري القول أن اليهود يعيشون خارج الزمان والمكان، وفي اللامجتمع حتى تُبرر أقوال آبا إيبان المذكورة سابقاً. أم أنها محض خرافة؟

لكن الأمور ليست بهذه البساطة، فالخصوصية اليهودية المزعومة ليست عنصراً أيديولوجياً فقط، بل وجدت لتبرير السياسة العنصرية الصهيونية سواء داخل فلسطين المحتلة أو خارجها، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قانون الجنسية الإسرائيلية الذي يمنح لليهودي لحظة وصوله إلى الكيان الصهيوني، فيما توضع كل العراقيل والعقبات أمام العربي الذي عاش على تلك الأرض هو وآباؤه وأجداده. وتظهر الخصوصية اليهودية غطاءً ذرائعياً لسياسة التوسع الصهيوني وضم الأراضي العربية تحت عنوان الحدود الآمنة والتي يمكن الدفاع عنها.

وأخيراً، تتجلى الخصوصية اليهودية في استهتار الصهيونية وإسرائيل بالرأي العام العالمي والأمم المتحدة وجمعيتها العامة، ورفضها الوقح الالتزام بقراراتها.

---

(20) فراس سواح، آثار فلسطين والتوراة، محاضرة ألقيت بتاريخ 1988/2/3، في مركز الخالصة، مخيم اليرموك، قرب دمشق.

رابعاً ـ لاطبقية اليهود:

تحاول الايديولوجية الصهيونية، كغيرها من الايديولوجيات البورجوازية، أن تظهر نفسها لاطبقية، وفوق الطبقات. يقول «تيودور هرتزل» في كتابه «الدولة اليهودية»:

«نحن إذاً نعيش، وسنبقى نعيش، سواء رضينا أم أبينا، جماعة متعاضدة، نحن شعب واحد هكذا علمنا أعداؤنا، سواء رغبنا في ذلك أم لم نرغب... وكما حدث في التاريخ مرات عديدة... تربطنا مصيبتنا معاً، توحدنا. وكنتيجة لذلك نكتشف قوتنا فجأة»[21].

ويتحدث «موشي ليليبنوم» عن الموضوع ذاته فيقول:

«إن الأمة كلها هي أعز علينا من كل التقسيمات المتعلقة بالأمور الليبرالية أو الأرثوذكسية... عندما يتعلق الأمر بالأمة يجب أن تختفي الطائفية... فلا مؤمنون ولا كفار... لأننا كلنا مقدسون وكل واحد منا...»[22].

لكن اليهودية اللاطبقية، كما يزعمون، لا يثير الذعر فيها ويستفزها سوى اندماج العمال اليهود في النضال الطبقي البروليتاري. يقول «نحمين سيركين» (1867-1924)، في كتابه «المسألة اليهودية والدولة اليهودية والاشتراكية» الذي طبع عام 1898، وكان يطروحة لنيل رسالة الدكتوراه:

«إن المجتمع هو الذي لا طبقات فيه، والسيادة القومية هي الوسيلة الوحيدة لحل المسألة اليهودية حلاً كاملاً».

وبعد هذا الحديث المضلل، يصب «نحمين سيركين» جام غضبه على:

«الثوريين اليهود الذين ارتكبوا خطأً أخلاقياً كبيراً جداً... فبدلاً

---

(21) تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، مأخوذة عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

(22) موشيه ليلينبلوم، مأخوذ عن عبدالوهاب المسيري، الايديولوجية الصهيونية، الجزء الأول، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

من تأكيد معارضتهم الثورية لمجتمع قائم على التمزيق الطبقي . . . بدلاً من أن يصرخوا كيهود، وبمنطق يهودي خالص، فعلوا عكس ذلك . . . لقد اندمجوا في الثورة».

ثم يعلن أن:

«الصهيونية تتعارض مع الصراع الطبقي . . . والصراع الطبقي لن يحل مشكلة البروليتاريا اليهودية».

ومن الجدير بالذكر أن نحمين سيركين يعتبر من دعاة الاشتراكية الصهيونية في الفكر الصهيوني[23].

وتبرز اللاطبقية بشكل مغاير عند الفيلسوف الصهيوني الروسي «بورخوف» صاحب نظرية الهرم المقلوب، الذي يدعي أنه يتبنى قوانين الجدل ويؤمن بالصراع الطبقي، وأنه بروليتاري، لكنه ينفي انقسام اليهود إلى طبقات في المجتمعات التي يعيشون فيها، ويزعم أنه إذا أريد للطبقات اليهودية أن تظهر، فلا بد من تأمين القاعدة الإنتاجية لليهود، أي ضمان هجرة اليهود إلى فلسطين لبناء الوطن القومي.

وعندما يتحدث بن غوريون، الصهيوني الاشتراكي المزعوم، زعيم الهستدروت وزعيم حزب العمل الصهيوني حتى انشقاقه وتأسيس حزب رافي، عندما يتحدث عن البروليتاريا يتهمها بالانفصالية، وبأنها جوفاء، تهدد المصالح العامة. ويقول: «تستعمل النزعة الانفصالية التي أظهرت نفسها في بلادنا تعبيراً كشعار أجوف لها هو من أصل بروليتاري . . . إن الشعب اليهودي ليس شعباً بروليتارياً، وليس للبروليتاريا أنبياء عندنا . . .»[24].

لن ينطلي على أحد قول «أن الصهيونية أعلى من الصراع الطبقي»، كما يزعم «نحمين سيركين». فالكيان الصهيوني القائم على العدوان والتوسع والعسكرة الكلية لكافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

---

(23) نحمين سيركين، المسألة اليهودية والدولة اليهودية والاشتراكية 1988، مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

(24) المصدر السابق.

والفكرية، والمتحالف مع زعيمة الإمبريالية العالمية، الولايات المتحدة، وأكثر النظم رجعية وفاشية وعلى رأسها النظام العنصري في جنوب أفريقيا، إنما يسعى لطمس الجوهر الطبقي للمجتمع الصهيوني الاستيطاني، من خلال بث النزعة العرقية العنصرية وادعاءات التفوق والعداء لغير اليهود، كل هذا خبرته الشعوب التي عاشت في ظل أنظمة فاشية سواء في ألمانيا النازية، أم في الأنظمة الديكتاتورية.

خامساً ـ القومية اليهودية:

عرف علم الاجتماع نظريات كثيرة في القومية، كل منها، اشترطت عناصر محددة لنشوء القوميات، لكن أيّاً منها لم يتخذ الدين القومية غير الصهيونية التي ادعت بوجود القومية اليهودية. وهذه أمثلة من ادعاءات الصهيونية:

إن «بيرتس سمولنسكين» (1812-1885)، وهو يهودي روسي، حاول أن يوجد أرضية مشتركة بين حركة التنوير، الهاسكالا، والتراث اليهودي، يعتبر من أوائل الداعين إلى القومية اليهودية. وقد صاغ نموذجه للقومية اليهودية المزعومة على غرار المدارس القومية الأوروبية، واعتمد على تحديد الهوية القومية اليهودية على أساس عرقي تام، وادعى أنه لا يمكن الفصل بين الدين والقومية:

«كنا دائماً أمة روحية، وكانت التوراة ركيزة دولتنا... لقد آمن شعبنا أن التوراة أسبق من شعبنا...»[25].

وتحدث «احاد هاعام» (1856-1927)، عن القومية اليهودية مدعياً:

«أن الدين اليهودي يقوم على القومية... إن كل محاولة لفصل الدين عن القومية لم تؤدِ إلا إلى هدم الدين والقومية معاً... يجب تعليم الدين على أسس قومية، لأن الدين والقومية متداخلان ولا

---

(25) Arthur Wertzberg, The Zionist Idea: A Historical Analysis, Rand Readers, New York, 1959, pp.145-147.

يمكن فصلهما. . . إن ديننا قومي. . . إنه ناجم عن روحنا القومية. . .»[26].

ويقول «ليو بنسكر» عن القومية اليهودية في كتابه «التحرر الذاتي»: «إن اليهود لا يعتبرون أمة لأن لهم سماتهم الخاصة الأساسية، ولكن الشعب اليهودي بقي موجوداً روحياً كأمة. وقد عرف العالم هذا الشعب شبحاً رهيباً يجوب بين الأحياء، وإذا كان شعور الشبح شيئاً ملازماً للإنسان وله ما يبرره، إلى حد ما، في علم النفس، فلا غرابة أن يظهر هذا الشبح لهذه الأمة الميتة التي لا تزال حية»[27].

واتخذ «تيودور هرتزل» من نظرية القومية الألمانية القائمة على أساس عرقي وعلى التحدي الخارجي أساساً لحديثه عن القومية اليهودية:

«أنا لا أطلب من الأمة لغة مشتركة، أو ملامح عرقية بارزة، ويكفي الأمة تحديد متواضع وبسيط كهذا. . . إننا مجموعة تاريخية من البشر. . ينتسب أحدنا للآخر انتساباً كبيراً واضحاً، وتجمّعهم يعود إلى وجود عدو مشترك»[28].

إن طلب هرتزل ناجم عن إدراكه أن اللغة العبرية أو الملامح العرقية لا تشكل عناصر توحد اليهود في مختلف أنحاء العالم.

فهل يشكل كل يهود العالم شعباً؟ إن مفهوم الشعب يفترض شروطاً معينة لا وجود لها قطعياً في الحالة الراهنة، فلم يعد لدى اليهود لا أرض ولا لغة مشتركة. إن اللغة العبرية التي كانت لغة ميتة لا تعني الشيء نفسه لكل اليهود، وأنها ليست لغتهم الأم. وهنالك الملايين من اليهود الذين لا يعرفون اللغة العبرية، وقد مرّت فترات تاريخية طويلة لم يتكلم اليهود أنفسهم اللغة العبرية، وكُتب كثير من تاريخهم باللغات الآرامية قديماً واللغات الأوروبية حديثاً. فبالنسبة للأرض، يبدو الأمر واضحاً بصورة أكبر، إذ أن يهود العالم لا

(26) Journal of Palestine Studies, vol. II, p.39.

(27) ليو بنسكر، التحرر الذاتي، مصدر سابق.

(28) الفكر الصهيوني المعاصر، مركز الأبحاث، بيروت، 1968، ص 12-13.

تجمعهم أرض واحدة، حتى الآن، وفي ظل وجود الكيان الصهيوني، لا يستطيع أحد أن ينكر أن الجزء الأكبر من يهود العالم غير مرتبط بالكيان الصهيوني.

وإذا دققنا في العادات والتقاليد وهي من المميزات الأساسية للشعوب، نجد أن اليهود يفتقرون إليها، إذ لا توجد لديهم عادات مشتركة، ولا تقاليد مشتركة، لأنهم لم يعيشوا في مكان وزمان واحد يستطيع خلق هذه العادات والتقاليد. ففي العالم يبتعد اليهود كثيراً عن الوصايا الدينية ويتركون عادات الطعام الحلال والاحتفال بالسبت وينتشر بينهم الزواج المختلط. وفي الكيان الصهيوني بعض اليهود لا يستطيعون الأكل مع يهود آخرين بسبب قوانين الطعام الفطير، الكشروت، ولا يستطيعون العمل مع اليهود بسبب يوم السبت، ولا يستطيعون الزواج من اليهود بسبب الحديث الديني. بل إن بعض اليهود لا يعترفون بيهوديتهم، مثل الفلاشا والزنوج العبريين.

وبعد أن بيَّنا أن اليهود يفتقرون إلى كل المقومات التي تجعل منهم شعباً وأمة. حيث أوضحنا أن اليهود يفتقرون إلى عنصري اللغة والأرض، ليكوّنوا شعباً، وأن أحداً لا يمكنه القبول بالغيبيات الصهيونية حول هذا المفهوم أو ذاك، مثل ما يقوله الحاخام «كوك» حول عنصر الأرض:

> «ليست أرض إسرائيل شيئاً منفصلاً عن روح الشعب اليهودي. . . إنها جزء من جوهر وجودنا القومي وترتبط بحياتنا ذاتها وبكياننا ارتباطاً عضوياً. . . إن ما تعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا كله. . . والتي تشع بتأثيرها على كل العواطف السليمة»[29].

إن انعدام وحدة الأرض ينفي بصورة آلية انعدام وحدة الاقتصاد، مما يعني أن اليهود لا يعيشون في ظل علاقات اجتماعية ـ اقتصادية واحدة ومتشابهة، كما أن افتقار اليهود للوحدة الاقتصادية ينفي أيضاً عنصر التكوين النفسي المشترك، والذي هو نتيجة للعيش في ظل تشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية واحدة. إن الأمة اليهودية التي تتعدى حدود الزمان والمكان، لا وجود لها سوى في الأوهام والغيبيات.

---

(29) The Jerusalem Quarterly, vol. 19, Ibid.

2

اللاسامية

اللاسامية، كما يعرّفها «جان بونبيرو» وهو كاتب يهودي فرنسي، في مقاله «الفلسطينيون... الغرب ودينية اللسان»:

«كلمة مليئة بالدم والبراز والحقد الصوفي والغدر الآثم وعقدة الذنب... كلمة مكيفة من قبل تاريخ فرنسا في الحروب الصليبية إلى دريفوس وبيتان... كلمة لاسامية الأسرة المتسلطة الوسواسية.. تنفذ وتنبسط وتفرض نفسها، تقيم التحالفات، تجر وراءها تداعيات أفكار... تعلق على الجدار، وتطرد أصغر طرف كلام يحاول أن يعيق قليلاً دولاب الخطاب»[30].

وتتحدث الكاتبة اليهودية الفرنسية «جيزيل بلوك» عن اللاسامية ليس باعتبارها ظاهرة عرقية بقدر ما هي شكل من أشكال بغض الأجنبي، والتحسس ضد أناس كانوا يريدون لأنفسهم غير ما يريدونه للآخرين. وتقول «من طفولتي أتذكر اعتزاز أهلي بكونهم فرنسيين، وازدراءهم لـ «بولاك» أي البولونيين. في وسطي العائلي قيل لي»

«لئن كانت اللاسامية موجودة، فهذا إلى حد كبير جداً بسبب اليهود

(30) جان بيبرو، الفلسطينيون، الغرب، دينية اللسان، الشعب الفلسطيني، مقالات بأقلام كتاب يهود، مصدر سابق، ص 118.

أنفسهم... إنهم يجعلون أنفسهم يلحظون كثيراً، يتلاقون ويتعارضون. كان اليهود يعاشرون بعضهم بعضاً، وما كانوا يرون أحداً من الغوييم (غير اليهود)».

هل يمكن القول إن هذه الحالة خلقتها اللاسامية تاريخياً[31]؟!

اللاسامية والصهيونية:

يطلق مصطلح السامية والساميين على الشعوب التي يزعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح الوارد ذكره في التوراة. وقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة عام 1781، واستعمله العالم النمساوي شلوتزر، ويلقى معارضة علماء الأجناس[32].

أما اللاسامية، فهي مصطلح لم يكن معروفاً في الأدبيات السياسية حتى منتصف القرن التاسع عشر، وقد ظهر لأول مرة عام 1879 في المقالات التي نشرها هنريخ فون ترتسيتخ حول القضية اليهودية، وتستخدم كلمة لاسامية في الأدبيات السياسية الصهيونية لتعني معاداة اليهود، لأن الصهيونية تدعي أن اليهود هم الساميون فقط، ويعتبر «موشى هيس» من أوائل الصهاينة الذين حاولوا استغلال اللاسامية لمهاجمة اندماج اليهود وانصهارهم في الحضارة الغربية، وادعى أن البشرية بحكم تكوينها العضوي عاجزة عن التقدم بدون اليهود. وزعم «ليو بنسكر» أن اللاسامية مرض موروث لدى شعوب العالم، وأن كراهية الشعوب لليهود هي مسألة نفسية...

«إن اللاسامية مرض لا يمكن علاجه لأنه ينتقل من الأب إلى الابن، وأن التقدم مهما عظم لن يستطيع أن يقتلعه إلا إذا تغير وضع اليهود جذرياً».

---

(31) جيزيل بلوك، اللاسامية، وبغض الأجنبي، المصدر السابق، ص 100.

(32) الموسوعة الفلسفية، الجزء الرابع، ص 8-9-10-11،

وادعى حاييم وايزمن أن اللاسامية مسألة نفسية وهي باقية ما دام اليهود موجودين[33].

وسعت كتابات عدد كبير من الكتّاب الصهاينة إلى القول بأن اللاسامية ظهرت وترعرعت في ألمانيا في أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر، خلافاً للرأي السائد لدى بعض الباحثين بأن اللاسامية جاءت رداً على المجازر ضد اليهود في النصف الأول من القرن التاسع عشر في روسيا القيصرية، ومن بين هؤلاء الكتّاب الذين قالوا أن اللاسامية ألمانية المنشأ البروفيسورة «شولاميت فولكوف»، أستاذة التاريخ الحديث، وهي محاضرة في جامعة تل أبيب. وكذلك «م. ماسيبخ» مؤلف كتاب «إعادة التدمير»، وهو دراسة في الفكر اللاسامي في الإمبراطورية الألمانية.

بل أكثر من ذلك، يعترف أوائل الصهاينة بهذه القضية، أي أن اللاسامية ألمانية المنشأ، وإن كان بعضهم يحدد منشأها في أوروبا الغربية بشكل عام.

وعلينا أن نلاحظ أن الموسوعة اليهودية تبدأ فصل الحديث عن اللاسامية منذ أواخر السبعينات في القرن السابع عشر في ألمانيا، وتخصص لألمانيا الجزء الأكبر. وعند الحديث عن اللاسامية في روسيا القيصرية تقول:

> «إن اللاسامية في روسيا القيصرية ظهرت منذ عام 1882. وتؤكد الموسوعة اليهودية أنه، رغم المذابح في روسيا القيصرية، لم يهتم المفكرون الروس بتلك المذابح، أي لم يعتبروها لاسامية، بل اعتبرت غيمة عابرة ينبغي ألا يسمح لها أن تحجب شمس الوطن الأم «روسيا».

وتضيف الموسوعة اليهودية:

> «إن يهود أوروبا أيضاً لم يعتبروا تلك المجازر بداية للاسامية، وأن نشاطاتهم اقتصرت على زيادة المساعدات الخيرية وتأمين الأماكن

(33) Shulamit Volkou, German Anti-Semitism and the National Thought, The Jerusalem Quarterly, vol. 15, 1980.

لإقامة المهاجرين، وذلك لأن يهود أوروبا الغربية المتقدمة نظروا بتعالٍ إلى أحداث أوروبا الشرقية باعتبارها امتداداً للجهل وعقلية القرون الوسطى»[34].

العوامل التي ساعدت على ظهور اللاسامية:

تزعم الصهيونية أن اللاسامية أزلية، ولا يمكن إيجاد علاج أو حل لها إلا بهجرة اليهود من الأماكن التي يعيشون فيها وتجمعهم في فلسطين. إلا أن حقائق الحياة والتاريخ تؤكد أن اللاسامية، بالمفهوم المتداول سياسياً والذي تستغله الصهيونية، وهو يعني معاداة اليهود، ويستخدم كأداة لمنع يهود العالم من الاندماج في الشعوب التي يعيشون معها، أن اللاسامية هي ظاهرة عابرة ساهمت في ايجادها جملة من العوامل المحددة، ومن أهمها:

1 - خوف الطبقة الوسطى اليهودية من اندماج اليهود، وخصوصاً العمال وأشباه العمال اليهود، ويجب أن نأخذ في الحسبان أن عملية الاندماج قد قطعت في كل من بريطانيا وفرنسا أشواطاً بعيدة، ووصل اليهود لشغل مراكز حساسة في المجتمع والحكومة في هذين البلدين. أما في ألمانيا، فقد كثرت الدعوات التي أطلقها المنظرون اليهود، والألمان بشكل خاص، لاندماج اليهود في مجتمعاتهم، وانصهارهم فيها، ودعوة كل المتحررين غير اليهود إلى المساهمة في عملية الاندماج هذه لأنها الحل الأمثل للمسألة اليهودية، ومن بين الذين وجهوا مثل هذه الدعوات «كارل ماركس» و«هيرمان كوهين»، و«غراينتز»، وهؤلاء كلهم يهود.

2 - الأوضاع الخاصة بألمانيا: فمن جهة، تأخرت ألمانيا بالتطور اجتماعياً واقتصادياً في مجال تبلور التشكيل الطبقي للمجتمع الألماني بسبب ظروف تاريخية معروفة. وعندما بدأت تتبلور الطبقة الوسطى الألمانية، أظهرت هذه الطبقة أكبر قدر ممكن من الحساسية تجاه اليهود، لأن اليهود في

---

(34) Encyclopedia Judaica, vol. II, entry anti-semitism

الطبقتين البورجوازية والبروليتارية انـدمجوا في الشعب الألمـاني، وقد لعب اليهود في الأزمة الاقتصادية التي شهدتها ألمانيا عام 1879 دوراً بارزاً.

3 ـ رغبـة الحكومـات الرجعيـة في روسيا القيصريـة وأوروبا الغـربية في إبعـاد اليهود عن المشاركة في حركات التغيير، وبـالتالي الحيلولـة دون اندمـاجهم في مجتمعات تلك البلدان.

4 ـ الخوف الذي أبداه أبناء الـطبقات الـوسطى في أوروبـا الغربيـة من تدفق أمواج اليهود من روسيا القيصرية ورومانيا وهنغاريا إلى أوروبا الغربية.

اللاسامية وبلورة الايديولوجية الصهيونية:

لعبت الـلاساميـة دوراً كبيراً في بلورة الايـديولـوجية الصهيـونية، إذ وفـرت الـوسيلة الكفيلة لمقاومـة اندمـاج اليهـود ومحـاولـة عـزلهم ووضعهم تحت رحمـة الصهيـونية وخـدمة مخـططاتهـا. ففي المـرة الأولى التي ظهـرت فيهـا الـدعـوات الـلاساميـة في ألمانيـا، ظهرت إلى العلن لأول مـرة منظمـة يهـوديـة للدفـاع عن منجزات حـركة التنوير الهاسكالا، ولمعارضـة الاندمـاج. ومنذ عـام 1880 بدأت العلاقات بين الصهاينة واللاساميين تتعمق، وكان هذا التشابك دقيقـاً ومعقداً، مما يبيّن أن جذورهما مشتركة، ومصالحهما مشتركة أيضاً.

وبدلاً من معارضة اللاسامية أو مهاجمتها، اعتبرتها الحركة الصهيونية، وكتّابها الأوائل حالة صحية. يقول ناحوم سوكولوف:

«إن اللاسامية حالة صحية تؤكـد اهتمام الشعـوب بمصالحهـا، وهي ليست إطلاقاً دليلاً على إفلاس الأخلاق لدى الشعوب».

كما يردد هذا القول «مـوشي ليليبنوم»: «إن الـلاساميـة في ظل الحضـارة هي الـوجه الآخـر للمظاهـر الإيجابيـة في التاريـخ». ولـدى ظهـور مشكلة الضـابط درايفوس، قال هرتزل «اللاسامية أعادت القوة لليهود. . . إنها مفيـدة للحركـة الصهيونية»[35].

(35) الموسوعة الفلسطينية، الجزء الرابع، ص 8-11.

من هم اللاساميون الحقيقيون؟

إن اللاسامية في الايديولوجية الصهيونية سلاح لمواجهة كل القوى التي تـدين الصهيونية كنظرية عنصرية، أو تعارض مخططاتها وأطماعها التـوسعية ودسـائسها وجرائمها. وإذا كانت الصهيونية عام 1975، اتهمت الأمم المتحدة باللاسامية إثر صدور القرار رقم 3379 الذي يـدمغ الصهيـونية بـالفاشيـة العنصرية، فقـد استخـدم بن غوريـون اللاسـامية ليهـاجم اليهود العـراقيـين عـام 1951 الـذين تظاهروا احتجاجاً على عدم المساواة، وقال عنهم إنهم لاساميون إسرائيليون[36].

إن استعـراض تـاريـخ الحـركـة الصهيـونيــة يكشف لنـا بكــل وضـوح أن اللاساميـين الحقيقيين هم الصهـاينة. وهـذا ما يؤكـده «حاييم غـريتبرغ» رئيس تحرير مجلة «جويش فرونتير»، أنه لكي تكـون صهيونيـاً جيداً، يجب أن تكـون معادياً للسامية إلى حد ما[37]. بل إن الحديث عن شرور اليهـود ودونيتهم وعدم انضباطهم، وما إلى ذلك من أفكار كانت الصحافة اليهودية الصهيونية هي التي تنشرها، وهذه بعض الأمثلة.

* جـاء في نشرة منظمـة الحارس الفتي، «هـاشومـير هتسعـير» الصـادرة عـام 1917، التي أعيد نشرها عام 1936 ما يلي:

«إن اليهودي هو كاريكاتير للإنسان الطبيعي العـادي ماديـاً وروحياً وهـو كفـرد في المجتمــع، سينتفض ويلقي عنـه نـير الالـتزامـات الاجتماعية ولا يعرف النظام أو الانضباط»[38].

وفي عام 1935، أعلن الصهيوني اليميني المتطرف «بن فرومر»:

«أن الحقيقـة التي لا يمكن إنكـارهـا هي أن اليهـود بشكـل جماعي ليســوا أسـويـاء، وهم عصبيـون. وأولئـك اليهـود المهنيـون الـذين

(36) الصهيونية والعنصرية، بين الفكر والممارسة، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينيـة، دمشق، 1984.

(37) Chaim Greenberg, The Myth of the Jewish Parasitism, Jewish Frontiers, March 1942, p.20.

(38) Maurice Samuel. You Gentiles, p.195.

يجرحهم ذلك في الصميم وينكرون بسخط هذه الحقيقة[39]، هم أعظم أعداء لجنسهم لأنهم بذلك يقودونهم في سبيل البحث عن حلول زائفة».

ويقول الكاتب اليهودي «حاييم بيريز» عن اليهود: «إنهم أكثر من غجر وكلاب قذرة ومن غير البشر ومجرمون وكلاب»[40]. ويصف الكاتب اليهودي الروسي «موريس صموئيل» اليهود «نحن اليهود، نحن المدمرون، سنبقى مدمرين إلى الأبد»[41].

إن اللاساميين الحقيقيين هم الصهاينة الذين اتخذوا من اليهود وسيلة وذريعة بل أداة لخدمة مخططاتهم ومخططات أسيادهم. ففي عام 1938، أثبت ديفيد بن غوريون أنه لا يقلّ عداءً لليهود عن هتلر عندما قال:

«لو أنني أعرف أنه من الممكن إنقاذ كل الأطفال اليهود في ألمانيا بإحضارهم إلى انجلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى أرض إسرائيل، لكنت اخترت البديل الثاني فقط»[42].

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً، إلى عام 1933، تاريخ صعود النازية الهتلرية في ألمانيا، لوجدنا أن الصهاينة هم أكثر من رحب بهذه العملية وأيدها لأنها تخدم أهدافهم. والمثال على ذلك ما يقوله الحاخام «جواكيم برينس» رئيس المؤتمر اليهودي العالمي فيما بعد[43]:

---

(39) Qur Shomer Haohomer Hatzair, December, 1938.

(40) Ben Frommer, The Significance of the Jewish State, Jewisge Call, 1939, p.10-42.

(41) Yehezkel Kourfman, A discussion of Zionism and Anti-semitism, Issues, Winter 1967, p.106.

(42) Lenni Berner, Zionism in the Age of Dictators, Lawrence Hill-Groom Helm 1983.

(43) Prinz J. Wir Juden Berlin, 1934, pp. 15- 151 - 152 - 156.
مأخوذة عن المصدر السابق.

«إن أهمية الثورة الألمانية، في عام 1933 (أي صعود النازية إلى السلطة) لا تظهر إلا لمن ساهم في نجاحها، . . . أما بالنسبة لليهود، فأهميتها تنبع إلى: إن الخيار الليبرالي قد انتهى إلى الأبد. . . إن حياة الاندماج قد قضي عليها. . ولا يعرف إلا الأنبياء كم ستبقى حياة الاندماج في البلدان الأخرى. ويدرك المراقب الهادىء بارد الأعصاب أن ظواهر تتشكل في كل مكان تشير إلى نهاية الليبرالية. . . وتزداد أهمية مفهوم الأمة والشعب، وهذا مصدر سعادة لنا. . . لقد حاولنا عبثاً العمل ضد الزواج المختلط، التنكر. والآن جاءت ثورة عظمى لمساعدتنا وخلصتنا. . . لقد تم تدمير نظرية الاندماج. . . وبدلاً من ذلك يجب أن نرفع شعار الالتحاق بشعبنا اليهودي. إن الدولة القائمة على نقاء العرق فقط يمكنها أن تعطي الشرف لليهود الذين يؤمنون بهذا المبدأ وهذا يتطلب منا الاعتراف بتضخيم «نا» المطلق».

وفي عام 1938، وتحت تأثير ضغط الرأي العام في أوروبا الغربية، عقد في ايفيان في فرنسا، مؤتمر لاستيعاب اليهود الفارين من الاضطهاد النازي، ورفضت الحركة الصهيونية المشاركة في المؤتمر نهائياً[44]، واعتبر «بن غوريون» أن المهمة الأساسية هي تهجير اليهود إلى فلسطين، ويجب عدم الفصل بين يهود أوروبا وضرورة تهجيرهم إلى فلسطين حتى لا تتعرض الصهيونية للخطر[45]. ورفض «غرينباوم» مدير الإغاثة في الوكالة اليهودية، المساهمة بأية مبالغ لإنقاذ اليهود الذين لا يريدون الهجرة إلى فلسطين[46].

ويشعر المرء بنوع من الشماتة والفرح تغمر الصهاينة لدى وقوع كارثة أو

---

(44) C. Sykes. Cross Roads to Israel, Midland books, London Ni Dn. M77.

(45) The Organ of the youth Cadres of the Israeli labour party, No.Z. Winter, 1967.

(46) Y. Greenbaum Bi Meri Harbon. Taken From Uri Davis, Israel: Utopia Incorporated, Ibid.

مصيبة على رؤوس اليهود. لنستمع إلى ما يقوله يوري هراري، وهو كاتب صهيوني:

«عندما نسمع بمذابح تدبر ضد اليهود نتساءل أين كانوا؟ لماذا لم يهاجروا؟ ولكن وفي أعماقنا ينبعث شعور شرير بالفرح «إنهم يستحقون ذلك. لقد حذرناهم»»(47).

هل هذا نهج جديد في الصهيونية؟ بالطبع لا. فقد تعاون «هرتزل» مع «فون بليفي» وزير الداخلية الروسي المسؤول عن مذابح كيشينيف عام 1903 ضد اليهود. وقال وزير الداخلية الذي أسعده التعاون مع «هرتزل»:

«إن ذلك سيضع نهاية لنهج معين. . . لقد تطور الوضع نحو الأسوأ لأن اليهود كانوا يلتحقون بالأحزاب الثورية. . . لقد كنا متعاطفين مع الحركة الصهيونية طالما كانت تعمل باتجاه الهجرة. . .»(48).

لكن «بن غوريون» يذهب بعيداً، ففي 1952/7/11 قال:

«إنني لا أخجل من الاعتراف بأنني لو كنت أملك فقط الإرادة والقوة لانتقيت مجموعة من الشبان الأقوياء والأذكياء والوطنيين المخلصين لأفكارنا والمشتعلين بالرغبة في المساعدة على عودة اليهود إلى إسرائيل، ولأرسلتهم إلى البلدان التي اندمج فيها اليهود ليتنكروا ويكتبوا شعارات معادية للسامية. . . . وسأضمن بذلك تدفق الهجرات. . .»(49).

---

(47) مسؤوليتنا تجاه يهود الدول العربية. م. هراري، «يديعوت احرونوت»، 1968/2/9.

(48) Lenni Berner, Ibid.

(49) The Jewish Monthly, May, 1984.

الفصل الثالث

اليوتوبيا الصهيونية

لقد آمنت الفاشية، كما يقول موسوليني، بضرورة خلق الإنسان الذي يناسب أهدافها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ويكون قديساً ومحارباً في الوقت نفسه[1]. وتسعى الصهيونية لتحقيق الهدف نفسه بطريقتها الخاصة، وبالطبع، لخدمة أهدافها الخاصة أيضاً. وينبغي لهذا الإنسان أن يؤمن بالأنا المطلقة للصهيوني ويضعها خارج إطار كل القيم والمبادىء. وقد جسد هذا الاتجاه «فلاديمير جابوتنسكي» الذي يحمل لقب غاريبالدي، أو «فلاديمير هتلر» كما كان يحلو لبن غوريون تسميته.

يقول كاتب سيرة جابوتنسكي «جوزيف شيختمان» أنه سئل عندما كان صبياً في إحدى المناسبات: «من أنت؟» «فأجاب أنا ابن نفسي»[2]. وفي مناسبة أخرى قال «جابوتنسكي» مخاطباً أنصاره من الشبان:

«كل إنسان آخر على خطأ، وأنت وحدك على صواب. لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك، فهي غير ضرورية، وغير صحيحة، وليس بوسعك أن تعتقد بأي شيء في العالم، إذا اعترفت ولو مرة واحدة بأنه ربما يكون خصومك على صواب. . . . لا توجد في العالم إلا حقيقة واحدة، وهي بكاملها ملكك أنت. وإذا لم تكن واثقاً، فابق في بيتك. ولكن إن كنت واثقاً لا تتطلع إلى الوراء وستأتي في اتجاهك»[3].

وفي مقالة بعنوان «القومي» يقول «جابوتنسكي»:

«لقد أفسدت أبناءكم، وعلمتهم كيف يحطمون النظام، وحاولت أن أعلمهم أن الترجمة الصحيحة بـ Kamez Alef-O، لا تتعلم القراءة بل تعلم إطلاق الرصاص»[4].

(1) Fascist Components in the Political Thought of Vladimer Jabotinsky, Arab Studies Quarterly, vol. 6. p.304.

(2) Joseph B. Schechtmen, «Rebel and Statesman». The Vladimer Jabotinsky Story, Thomes Yoseloff, New York, 1956, pp.23-27.

(3) Vladimer Jabotinsky, The Story of the Jewish Legion, Bernard Ackarman, New York, 1945, p.63.

(4) Vladimer Jabotinsky, The National.

ويقول «مناحيم بيغن»:

«أنت بحاجة، لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية، إلى شعور، هو أكثر من مجرد استعمال الأسى والشفقة. إن أكثر الأمور ضرورة، هو الشعور الداخلي الذي يحوّل ما هو شرعي إلى غير شرعي، وما هو غير شرعي إلى شرعي ومسوغ. لقد كنا مقتنعين بالشرعية المطلقة لأعمالنا اللاشرعية»[5].

وفي مقدمة كتابه «الثورة»، يقول بيغن:

«لقد كتبت هذا الكتاب لشعبي، كي لا ينسى اليهود هذه الحقيقة: توجد أشياء أثمن من الحياة وأكثر فظاعة من الموت... إنه من النار والدموع والرماد قد خلق صنف جديد من البشر... إنه اليهودي المحارب... يقول ديكارت أنا أفكر إذن أنا موجود... وأنا أقول أنا أحارب إذن أنا موجود»[6].

وحتى لا يسيء أحد فهم أهدافنا، ويظن أن ما يعرف بالصهيونية التحريفية، وحدها، هي التي كانت معنية بخلق الإنسان الخاص الذي يناسبها، نوضح أننا إنما أوردنا الاستشهادات من أقوال جابوتنسكي وبيغن لأنهما أكثر دلالة ووضوحاً. وفي الحقيقة تبقى مهمة خلق الإنسان مسألة مركزية لدى كافة التيارات الصهيونية، بغض النظر عن تلوناتها السياسية والايديولوجية والدينية.

ولقد استعملت الصهيونية كل وسائل الدعاية والتربية لتنفيذ ذلك، من خلال التربية الفكرية الموجهة بشكل دقيق جداً، التدريب العسكري، التعبئة الاجتماعية لكافة القوى البشرية وزجها في الاتجاه الأساسي الذي يخدم أهداف الكيان الصهيوني في الاستيطان وبناء القوة العسكرية والعدوان والتوسع، وجعلت الحرب والعنف هما المظهر الذي يجتازه اليهودي كي يدخل اليوتوبيا الصهيونية.

---

(5) Menahem Begin, The Revolt, The Story of the Irgun, p.104.

(6) Menahem Begin, Ibid.

1

العنف

يعتبر العنف أحد المكونات الأساسية للأيديولوجية الصهيونية وهو نتيجة طبيعية للفلسفة الصهيونية القائمة على العنصرية مثل تفوق اليهود وتفردهم ونقاء دمهم. . . إلخ. والعنف هو الوسيلة التي تستخدمها الصهيونية لتحقيق أهدافها العدوانية التوسعية ولفرض سياستها المستمدة من مبدأ «مكيافيللي» القائل: «لا يمكن أن توجد قوانين صالحة إلا إذا وجدت أسلحة قوية، وحينما توجد أسلحة قوية، توجد قوانين صالحة»(7).

ولقد جسد «بن غوريون» ذلك في حديثه أمام عدد كبير من ضباط الجيش الإسرائيلي إثر العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 عندما قال: «لقد أثبتنا قوتنا في عمليات سيناء، أما الآن فإنه يجب أن نبرهن قوتنا للعالم أننا على حق»(8). بل أكثر من ذلك، إن مهمة وزارة الخارجية الإسرائيلية، تنحصر إلى حد كبير جداً، في شرح وتبرير أعمال وممارسات الجيش الإسرائيلي العدوانية تجاه الشعب العربي، وجعلها مقبولة لدى الرأي العام العالمي والإسرائيلي.

ولو استرجعنا في ذاكرتنا مخططات مؤسسي الحركة الصهيونية حول الكيفية

---

(7) مأخوذ عن حمد الموعد، العنف في الايديولوجية الصهيونية، مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، العدد الرابع، نيسان 1988، ص 35.

(8) Moshe Pearlman, Ben Gurion, Looks Back, New York, 1958.

التي يتم بها بناء المشروع الصهيوني في فلسطين، لوجدنا أنها قائمة على أساس تدمير الكيان القائم في فلسطين تمهيداً لإقامة الكياني الصهيوني. ولقد تطلب ذلك الاعتماد كلياً على القوى العسكرية التي أصبحت في الايديولوجية الصهيونية فكرة مطلقة. لقد استغلت كل وسائل الإعلام والتوجيه والتعليم والتربية لزرع هذه الفكرة في أذهان سكان الكيان الصهيوني، وأن لا خيار آخر للكيان الصهيوني للبقاء على قيد الحياة غير ذلك. والنتيجة الطبيعية لهذه التربية هي رفع مكانة العنف إلى أعلى الدرجات. أما انعكاساتها على الصهاينة أنفسهم فقد وصفها عالم الاجتماع «اريك فروم» على النحو التالي:

«إن اعتماد إسرائيل الكلي على القوة، تحوّل الناس إلى أشياء في سبيل ما يسمى بالتكيف والنجاح، إن هذه القوى هي رفض للإيمان بأي شيء حي»[9].

لقد أصبحت ممارسة العنف جزءاً لا يتجزأ من شخصية الإنسان الصهيوني بعد أن زرعت فيه أفكاراً عبّر عنها الكاتب الصهيوني «آرثر كوستلر» حيث قال:

«إن العنف ضروري جداً للتقدم الإنساني، وكلما ازداد اهتمام الإنسان بالقيمة الأخلاقية والروحية، كان عليه أن يحذر من الوهن والضعف، هذا على المستوى الفردي».

أما على المستوى الجماعي فتصبح الحرب تطهيراً، وجزءاً لا يتجزأ من عملية تحرير نفسه، وكما يقول الكاتب الصهيوني «دان سيفتاي» في صحيفة هآرتس:

«إن المقصود بالحرب هو إعطاء التنفس والتخفيف من حدة المشاعر بالخيبة والعجز... إن مجرد شن حرب مهما كانت نتائجها هو عمل بطولي يطهر الشعب من عاره»[10].

---

(9) قدري حنفي، تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، مركز الدراسات الاستراتيجية، الأهرام، القاهرة، ص 162-163.

(10) هآرتس 1973/10/9.

كما أن تمجيد العنف من خلال النصوص التوراتية التي تتحدث عن مجازر اليهود ضد الشعوب الأخرى، ورفع العنف إلى أعلى الدرجات وجعله في بعض الأحيان قيمة بحد ذاته، هو في طبيعة الحال أحد متطلبات عملية خلق وتكوين الإنسان الذي يتفوق على ذاته، كما يقول نيتشه الذي يعامل غيره من الكائنات البشرية على أساس أنها «غبار الأرض».

ولنأخذ مثالاً على ذلك، ما ورد في «الخروج» إحدى روايات الكاتب الصهيوني «ليون أوريس» المعروف بعدائه الشديد للعرب:

«لقد خلقنا جيلاً من الطرازانات ليدافعوا عن إسرائيل، إننا لا نستطيع أن نعطيهم غير حياة من دماء. . . إن الجيل الإسرائيلي يرفض الوصايا العشر. . . هنا أرادنا الله أن نكون على الجبهة. لقد أخبرني جنودي أنهم يريدون أن يعبروا إلى حدود جبل سيناء ليعيدوا الوصايا العشر إلى الله لأنها لم تعطنا إلا المصائب».

ومن جهة أخرى، إن عسكرة الحياة السياسية والاجتماعية وإقامة علاقات اجتماعية يسيطر عليها الشعور الدائم بالقلق وعدم الاستقرار وتوقع الحرب، وضرورة استمرار التدريب والاستعداد العسكريين، هو من أكثر الوسائل الفعالة التي تستخدمها الصهيونية لخلق الإنسان المستعد كي يسخّر لخدمة أهدافها بالشكل الأمثل، فهو يعيش في جو يعطي للقيمة العسكرية، وعلى رأسها النزعة العدوانية، المكان الأول. . . في جو يكون العرب فيه أعداء ألدّاء، وهو في الوقت نفسه يقدس الملوك رجال القبائل الأوائل الذين أخضعوا السكان الأصليين في أرض كنعان، وأخيراً إنه يريد أن يكون «أكثر شجاعة من هؤلاء الملوك وأشد قسوة»[11].

---

(11) إبراهيم العابد، العنف والسلام، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ص 41-42.

* تيودور هرتزل، الدولة اليهودية، الاقتباس مأخوذ عن «الفكرة الصهيونية» الصفحات من 100 إلى 116، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

2

اليوتوبيا الصهيونية

منذ نشأة الصهيونية تعد اليوتوبيا جزءاً لا يتجزأ من الايديولوجية الصهيونية، وسنحاول هنا تتبع تطور اليوتوبيا، وبشكل مختصر، منذ تيودور هرتزل وحتى بن غوريون.

يدعي تيودور هرتزل في كتابه «الدولة اليهودية» الصادر عام 1896، أن الدافع الأساسي وراء صدور كتابه هو تأليب العالم ضد اليهود، ويقول فيما بعد إن عمله هذا، ليس نوعاً من اليوتوبيا. لكنه سرعان ما ينسى ما قاله، خصوصاً عندما ينتقل إلى الحديث عن مراحل قيام الدولة، وبشكل مفصل.

ويؤكد في مقدمة كتابه أن الخطة التي يقترحها تتعلق بالقوى الفاعلة الموجودة في الواقع، وأنه لن يقترح أكثر من «البراغي والعجلات التي يقوم عليها النظام».

فيما يقول مرة أخرى: «إن الشعب في أي مكان هو طفل يمكن تثقيفه». وبدلاً من طرح أسس عملية التثقيف، كما هو متوقع، ينتقل هرتزل ليشرح وجهة نظره في القومية اليهودية التي «لا يمكن أن تنقرض... لأن الأعداء يقوونها»، وإن مركز المشكلة اليهودية هي الطبقة الوسطى، لأن البورجوازية اليهودية اندمجت سلفاً، وكذلك الأمر بالنسبة للبروليتاريا اليهودية.

ويحاول «هرتزل» أن يطمئن يهود العالم، أن الدولة اليهودية تتم بنقل اليهود

كلهم إلى فلسطين، وأن اليهود لن يتركوا الحضارة للسكن في الصحراء: «. . . . إن الأمر ليس هكذا. . . إذ أن كل شيء يتم في إطار الحضارة. . . لن نتخلى عن عاداتنا بل سنجددها». ولذلك يقرر «أن يذهب أولئك المعوزون، الذين هم في حالة بؤس ويأس، ومن ثم يتبعهم الفقراء وبعدهم يذهب الأغنياء، ومن ثم المتمولون».

وفي الفصل الثاني، نجد «هرتزل» يعبر عن رأيه فيما يتعلق بعملية تشكيل العقل عندما يقول: «إن عامة الناس لا يفهمون التاريخ». ولكنه مرة أخرى لا يحاول تعميق فكرته، وبدلاً من ذلك يناقش إمكانيات واحتمالات البقاء لدى «الشعب اليهودي»، وخصوصاً الطبقة الوسطى التي أصبحت في خطر تام، ولأن الأوضاع لن تتغير، وحتى ولو أصبح اليهود قريبين من قلوب الأمراء.

وبالنسبة للاحتمالات الموجودة، يناقش مسألة القيام بحركة استعمارية جديدة في بلد ما من العالم. ويستنتج، «أن ذلك قد يتسبب في إعادة اللاسامية إلى الحياة في ذلك البلد». . . لكنه يذهب بعيداً إلى حد القول «أن قيام دولة يهودية لن ينهي اللاسامية. . قد يقال إنه لن يكون لليهود في دولتهم أعداء. أتصور، كأي أمة أخرى، سيكون لهم أعداء كفاية». ولا يحدد الكاتب من هم الأعداء، وما علاقتهم بأصحاب الأرض الأصليين الذين سيقوم مشروع الدولة اليهودي على حساب حقهم في تقرير المصير. وأخيراً يلخص رؤياه الخاصة باليوتوبيا الصهيونية، فيقول:

> «اليهود لن يتحولوا إلى فلاحين على الطراز القديم. . . الدولة ستنشأ من الطبقة الوسطى، بينما الدول الحديثة الأخرى جاءت من طبقات أكثر فقراً».

وقد يفسر هذا حقيقة تاريخية يعرفها كل الباحثين في شؤون الاستيطان الصهيوني أن الموجة الأولى من المهاجرين، بقيت تعيش في مستوطنات معزولة تعتمد على العمل العربي، وتنتظر وصول المساعدات والصدقات، بينما استقرت

الغالبية الساحقة من هؤلاء المهاجرين في منطقة القدس ويافا وغيرهما من المدن الفلسطينية[12].

بيير ديشفسكي والتدمير والتعمير ـ 1900-1903 :

ميخا «جوزيف بيير ديشفسكي (1865-1921)»، من مواليد ميدزيبور، أوكرانيا، مهد الحركة اليشيدية في القرن الثامن عشر. من أسرة متدينة، درس الأدب التلمودي، وأصبح باحثاً مشهوراً في هذا المجال. قرأ فيها بعد أسرار حركة التنوير وتأثر بها.

ونجد في كتاباته تأثراً كبيراً بأفكار الفيلسوف الألماني نيتشه، حول «الإنسان الأعلى» ودعوته الرامية إلى إعادة تقييم جميع القيم، وحاول بيير ديشفسكي تطبيقها على الفكر اليهودي.

يشرح المؤلف أوضاع اليهود في مطلع القرن العشرين قائلاً:

> «جميع أسس وجودنا السابقة بدأت تفقد أهميتها وتتغير، ذهبت ولن تعود. وأيام جديدة، بظروف جديدة قد حلت محلها. لم نعد نقف على طريق واضحة. . شعبنا بلغ أوج أزمته. . الماضي يمنحني الحق التاريخي والاسم التاريخي كي أعيش في المستقبل. . . وتراثنا الماضي لم يكن لصالحنا دائماً، وكثيراً ما سبب لنا الخسائر. . . الانزواء والرجوع إلى الماضي والتعلق به كان سبباً في انقطاع تطورنا الاجتماعي والسياسي، وكاد أن يؤدي بنا إلى الفناء».

وينقسم اليهود في العالم، بالنسبة لبيير ديشفسكي إلى ثلاث مجموعات:

1 ـ فئة اندمجت وكرست خاماتها وروحها، وتلونت في تعايشها مع الشعوب الغربية.

2 ـ المتدينون المتحجرون في كنسهم المتعلقون بالماضي.

---

(12) ميخابيير ديشفسكي، التدمير والتعبير 1900-1903، الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 182-185.

3 ـ المستنيرون في الوسط، وهم رجال بوجهين، نصفهم غرباء، في حياتهم اليومية، ونصفهم يهود في كنسهم.

وبعد استعراض أوضاع اليهود في العالم، يصرخ المؤلف بصوت عالٍ:

«لا يمكن النصر بدون انقلاب كلي، أي بتغيير القيم التي كانت دليل حياتنا اليومية في الماضي. . إن ما نريده ليس الإصلاح، بل تغيير القيم. تغيير مجرى حياتنا، وأفكارنا ونفوسنا. . . فمن خلال تغيير أسس حياة إسرائيل الظاهرية، والباطنية، إن وعينا وانطباعاتنا، وأفكارنا، وإحساساتنا، ورغباتنا، وإرادتنا، وأهدافنا، ستتغير، وعندئذ، سنحيا ونقف راسخين كالطود»[13].

ويضع «بيير ديشفسكي» في مؤلفة أسس المجتمع الإسبارطي القادم الذي تعمل الصهيونية لإقامته في فلسطين. فبعد أن يتساءل عن صحة الحكمة القائلة أن السيف والكتاب هبطا من السماء في وقت واحد، يعلن:

«لكلٍّ زمانه. . . هنالك زمان للرجال، الأمم تحيا بالسيف، أي بقوة زنود أفرادها، وجرأتهم الحيوية، ومثل هذا الزمن هو زمن الشدة، زمن الحياة في معناها الجوهري، لكن الكتاب ليس أكثر في ظل للحياة. . . هو الحياة في شيخوختها»[14].

وغني عن التوضيح أن المقصود بالكتاب هو التوراة التي يؤيد مخالفتها فيما يتعلق بالقوة وحمل السيف.

وفي الفترة ذاتها، أي (1900-1903)، وضع مؤلفه المعروف «مسألة ماضينا» الذي طرح فيه رؤياه الخاصة بالتدمير والتعمير. حيث يقول:

«عندما نكافح من أجل خلق شيء جديد يناسب حياتنا المعاصرة،

---

(13) ميخابيير ديشفسكي، في الجاهين 1900-1903، الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

(14) ميخابيير ديشفسكي. مسألة ماضينا 1900-1903، الاقتباس مأخوذ عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

تطلعاتنا الحاضرة، عندما تكون قلوبنا ملآى بالأحلام، وفي داخلنا يحاك عالم جديد نشكله بأيدينا نحن، عندئذ يظهر فينا دافع لتدمير جميع العوالم التي سبقتنا، والتخلص من كل ضعف»[15].

أسطورة العمل العبري:

إن أول من نادى بالعمل العبري، أو كما اصطلح على تسميته «دين العمل» هو «لورنس أوليفانت»، وهو ضابط سابق في الجيش البريطاني، عمل مراسلاً لصحيفة «التايمز» اللندنية.. وكان على علاقة بحركة هاريس الأمريكية التي نادت بدين جديد قوامه العودة إلى الطبيعة، أي أن الخلاص الروحي يتحقق، كما تقول أيديولوجية هذه الجماعة، عن طريق العمل اليدوي، عن طريق علاقة مباشرة بين الإنسان والطبيعة[16]. وتشير كل الدلائل إلى أن «أوليفانت» كان يعمل لحساب الأجهزة البريطانية التي كانت تقف آنذاك، وبشكل مباشر، وراء المشروع الصهيوني وبدأت اهتماماته بفلسطين والاستيطان اليهودي فيها، فوقف إلى جانب تركيا في الحرب، وكان يرى أن أفضل طريقة لإعادة الحياة إلى تركيا وإمبراطوريتها، هي تحسين ظروف الحياة في أجزائها الآسيوية، وأولاً وقبل كل شيء في فلسطين. وفي عام 1878، تقدم بمذكرة إلى رئيس وزراء بريطانيا وغيره من المسؤولين البريطانيين يحثهم فيها على تأسيس شركة لتطوير فلسطين تحت رعاية بريطانيا.

وفي عام 1879، سافر لورنس أوليفانت إلى فلسطين وهو يحمل معه رسائل توصية من اللورد «سالزبوري» و«اللورد بيكونسفيلد» ووزير الخارجية البريطاني حينئذ «هنري ويدنغتون»، واختار منطقة تطل على نهر الأردن شمال البحر الميت للاستيطان فيها. ومن ثم، وفي عام 1880، كتب كتاباً يحمل اسم أرض جلعاد. التقى بزعماء إحياء صهيون في روسيا وحاول إقناعهم بضرورة توجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتقدم لورنس إلى السلطان عبدالحميد الثاني

---

(15) Joseph B. Schechtmen. Rebel and Statesman. The Story of Vladimir Jabotinsky. Ibid, 139.

(16) Encyclopedia Judica, Acla Project, Jerusalem, 1972, pp.1362, 1363.

بمشروع للاستيطان، ورغم موافقة حكومة الباب العالي في الآستانة عليه، رفضه السلطان عبدالحميد خوفاً من أن يكون مؤامرة بريطانية ثم استقر لورنس أوليفانت في حيفا، وبدأ بمساعدة المستوطنين الأوائل(17).

بعد لورنس أوليفانت، ظهر آرون د. غوردون (1856-1922)، وهو يعتبر الناطق الروحي باسم حركة العمل العبري التي نادى بها لتحقيق «الذات اليهودية». وقد نادى بخلق معتقدات وايديولوجيات، فناً، وشعراً، أخلاقاً وديناً، من حياة صحية تكون مرتبطة بهذه القيم، وبذلك نكون قد خلقنا علاقات إنسانية صحية، صلات حميمية، تربط الحاضر بالماضي.

وبعد غوردون، جاء دون بورخوف. وهو يعتبر مؤسس النظرية البورخوفية التي تروّج لها بعض الأوساط في إسرائيل والحركة الصهيونية في وقتنا الحاضر، وتحاول تضليل اليهود بواسطتها، بالادعاء زوراً وبهتاناً بوجود ما يسمى بالاشتراكية الصهيونية.

ويرى أن أساس القضية اليهودية هو انفصال اليهود كشعب عن أرضهم، فشعب بدون أرض، بدون قاعدة اقتصادية، ومقيد ضمن علاقات اقتصادية غريبة عنه، سوف يبقى أقلية قومية لا حول لها ولا قوة. إن مهمة الاشتراكية الصهيونية، كما يدّعي بورخوف، هي تجهيز الأرض الجديدة، أرض إسرائيل، بالجهود الطلائعية، وحشد جماهير المهاجرين. وهكذا يمكن وضع حد للتشرد الأبدي في البلدان الغربية، وخلق كيان اقتصادي يهودي. ويفسر بورخوف كون الشعب اليهودي مريضاً من الناحية الاجتماعية، بسبب انتشار اليهود في العالم. وقد صعبت عليهم الأعمال الاقتصادية الأولية كالزراعة والصناعات الرئيسية، واندفعوا بالتالي نحو المهن الهامشية، كالتجارة والوساطة والوظائف والصناعات الصغيرة، وهذه المشكلة سوف تجد حلاً لها بالعودة إلى صهيون(18).

ولم يكن بورخوف الصهيوني أقل عنصرية من غيره من زعماء الصهيونية، وذلك في نظرته إلى العرب في فلسطين، ويزعم قائلاً:

---

(17) Ibid, pp. 1954, 55, 56.

(18) The Other Israel, Anchor Books, New York, 1972, p.155.

«إن العرب الفلسطينيين يفتقرون إلى حضـارة خاصـة بهم، وليست لهم شخصية وطنية واضحة، وهم لذلك سوف يتـلاءمون وبسهـولة مع شخصية حضـارية أرقى منهم، ولن يستـطيعوا الاتحـاد لمواجهـة الأخطار الخارجية، كما أنهم لن يستطيعوا السـير في طريق التنـافس القومي»[19].

بن غوريون «والمستوطن الذي لا خيار له» - مجتمع إسبارطي:

انضـم بن غوريون في عام 1906 إلى الحركـة الصهيونيـة، وشارك في تـأسيس حزب «بوعالي تسيمون». وفي العـام 1918، أسس بن غورين حـزب «أحدوت هـاعفودا»، أي حـزب وحـدة العـمال. وخـلال الفـترة مـا بـين 1921 و 1935، استـطاع أن يمسك بـزمام المشروع الصهيـوني في فلسطين من خـلال كونـه أميناً عـاماً للهستـدروت ورئيساً للمنـظمة الصهيـونية العـالميـة، والمسؤول الأول عن الـوكالـة اليهوديـة. وفيما بعـد، أي في عام 1933، كـان القائـد الأعـلى لقـوات الهاغانا.

وبالنسبة لبن غوريون، تقـوم فلسفة الـدولة، أو اليـوتوبيـا الإسرائيلية، كـما يسميها يوري ديفيس، على استنساخ جمهورية أفلاطون:

«دولـة يسود فيهـا نـظام ويحكمهـا ملك فيلسـوف. . . وهي نمـوذج غربي لسيادة الـدولة، عميق الجـذور في الفلسفة الغـربية، بكـل ما فيها من تراث عرقي وحضاري وإثني»[20].

ويشكل الكيبوتس في اليـوتوبيـا الإسرائيلية القـاعدة التحتيـة التي تنشأ فيهـا طبقة الملوك والفلاسفة، وطبقة الجنود في الدولة المنشودة. ولقد بذلت الصهيونية جهوداً كبيرة جداً في الكيبوتس للحيلولة دون تشكل العـائلات، وكـانت عملية تربية الأطفال تتم بشكل جمـاعي، لأن تربيتهم تصرف اهتـمام الآباء عن المهمـة

(19) Uri Davis, Israel: Utopia Incorporated, Ibid.

(20) Yonina Talmon, Family and Community in the Kibbutz, United States, Harvard University Press, 1972, p.45.

الحقيقية. كما تميز نمط الحياة والتربية الاجتماعية في الكيبوتس بسيطرة الروح العسكرية والانضباط العسكري.

إهمال العائلة:

وتتحدث الكاتبة الإسرائيلية «يوفينا تالون» في كتابها: «المجتمع... الأسرة والكيبوتس»، أن التوجه الأساسي للكيبوتس هو الحياة غير العائلية. ويخشى الكبوتس كثيراً من فك ارتباط الأسرة مع العمل في الكيبوتس، خصوصاً أن النزعة لتشكيل العائلة تزداد قوة وتطغى على الاهتمام بالكيبوتس.

> «ومن الأشكال التي تحارب فيها النزعة العائلية في الكيبوتس تشجيع النزعة الفردية المطلقة لدى أعضائه وبتشجيع انصهار الفرد الكلي في المجموع بشكل يتجاوز العائلة»(21).

إن الطبيعة الاستغلالية للصهيونية استهدفت خلق مستوطن لا يملك شيئاً، ومن ضمن ذلك العائلة. يقول «مناحيم جيرسون» في كتابه «العائلة، المرأة والمجتمع»: «يعتقد البعض أن من بين الأهداف التي وجد الكيبوتس من أجلها هو القضاء على الحياة العائلية في المجتمع اليهودي». لقد ظهرت هذه الظاهرة في حياة المستوطنين الأوائل الذين اعتبر قسم منهم الحياة العائلية عقبة في طريق المحبة ومصدراً للاضطرابات والمشاكل. وكما تقول يوفيتا تالون: «أرادت الصهيونية أن تغرس في أذهان المستوطنين دحض فكرة، أن العائلة حالة لا يمكن للمجتمع أن يقوم بدونها»(22).

ويبرر الكتّاب الصهاينة إهمال الحياة العائلية في الكيبوتس لأن الحاجات الاجتماعية كان لها الأفضلية المطلقة على الحاجات الشخصية، وليس هناك حق للأمهات في إرضاع أبنائهن أثناء العمل. وفي الثلاثينات لم تظهر العلاقات

---

(21) Menahem Geverson, Family, Women and Socialization in the Kibbutz, Hoxirytron Book U.S.A. 1978, p.41.

(22) Psychological Study of Family in the Kibbutz in Israel, Freeman and Erikepadon.

العائلية بشكل واضح في الكيبوتس، فلم يكن الزوج والزوجة يشتركان معاً في تناول وجبات الطعام، ولا يشتركان في الاجتماع الأسبوعي، وكان ينظر إلى العلاقة العاطفية بين الزوجين باحتقار. لذلك، لم يكن المجتمع في الكيبوتس يتدخل إطلاقاً من أجل منع وقوع الطلاق، كما لم تكن هناك احتفالات زواج يشارك فيها الكيبوتس. واستمرت الحال على هذا المنوال حتى الأربعينات[23].

ربما يساعدنا على ما ذكرناه عن موقف الصهيونية من العائلة في العشرينات والثلاثينات من القرن الحالي في فهم طبيعة الإنسان الذي أرادت خلقه، فالمستوطن في الكيبوتس يعيش في معظم الأحيان بدون عائلة، وهو غير حر، لا يملك أي شيء، لا أرض له، ولا وسائل إنتاج، ولا حتى المنزل الذي يقيم فيه مع غيره من المستوطنين، وفي الوقت نفسه أعطيت صلاحيات كبيرة جداً للهستدروت.

يقول «بنحاس لافون»، الأمين العام للهستدروت عام 1960، في الذكرى الأربعين لتأسيسه:

> «لقد أصبح الهستدروت منذ تأسيسه القوة المركزية في المجتمع اليهودي، وعلى أوجه متعددة، فقد نظم القوات المسلحة، في بعض الأحيان بالتواطؤ مع بريطانيا، وفي أحيان أخرى ضد رغباتها، وأقام نظاماً للأمن الاجتماعي، وهو الوحيد في إسرائيل، وقد أصبح ذلك سلاحاً فعالاً في فرض السيطرة على الجماهير اليهودية، وفي تنظيم وتجميع اليهود تحت سيطرة الهستدروت، ونظم حق العمل، وكان له السيطرة الكاملة على الكيبوتس وعلى المزارع التعاونية في البلاد»[24].

ولزيادة سيطرة الهستدروت على حياة المستوطنين اليهود، كان لا يحق لأي عامل يهودي العمل إلا بعد إبراز بطاقة عضوية في الهستدروت، وهذه سابقة لم تعرفها المجتمعات البشرية ولا التنظيمات النقابية في تاريخها، وثمة سابقة

(23) The Other Israel, Ibid., p.122.

(24) Uri Davis Israel: Utopia Incorporated, Ibid., p.17.

أخرى، وهي أن الهستدروت شكل الذراع العسكري الخاص به، الهاغانا. وأصبح بذلك جهازاً إدارياً وسياسياً وقوة عسكرية لها سيطرة مطلقة على مختلف أوجه الحياة اليهودية.

أما الوكالة اليهودية فكانت، كما هو معروف، بمثابة دولة في الدولة، فقد تولت إدارة شؤون المستوطنين اليهود في فلسطين وذلك فيما يتعلق بالعلاقات مع الدولة الانتدابية، وتقديم المساعدات المادية، وتسهيل الحصول على الأسلحة، وأشرفت على عمليات التعليم في المدارس داخل الكيبوتس.

ولئن أصبح من البديهي الآن أن الهجرة والاستيطان هما وجها الصهيونية، فقد كان الاستيطان ولا يزال، وخصوصاً الكيبوتس، العامل الأساسي في إعادة تركيب المجتمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين كرابطة للروابط، وبالتالي سهّل وظيفة الوكالة اليهودية، والكيان الصهيوني فيما بعد، وهي الحفاظ على وحدة هذه الروابط وافتراس مجتمع غير متبلور من قِبل دولة كلية القدرة. ولا يستطيع الفرد في مثل هذه الظروف إلا التسليم والخضوع، وهذا ما كرره «بن غوريون» مرات عدة في خطاباته ومقالاته.

ونستنتج مما تقدم، أن الصهيونية تريد أن تزرع في أذهان يهود العالم أنها قدرهم المحتوم، وتطلب إليهم الاستسلام والخضوع بدون تذمر، وتدعي أن المشروع الصهيوني في فلسطين كان حتمياً وضرورياً، وتحاول جاهدة إخفاء كل الملابسات التي رافقت قيام المشروع.

3

من هو اليهودي المطلوب لليوتوبيا؟

إن التطبيق العملي لفلسفة التدمير والتعمير التي نادى بها «ميخا بيير ديشفسكي»، يعني تدمير كافة أشكال الحياة والنشاط البشري في فلسطين، أي إبادة الجنس، وإبادة الشعب. هذا بالنسبة للعرب، أما بالنسبة لليهود فهو يعني بالضرورة «العمل لإيجاد اليهودي الجديد الذي تحرر من عقدة الشتات»، وهذا يتطلب من الحركة الصهيونية أن تدمر الحياة اليهودية التقليدية في الشتات، وخصوصاً القاعدة التحتية ليهود أوروبا الشرقية، وبدون ذلك تشعر الصهيونية أنه لا مجال لتجنيد اليهود ولإنجاح المشروع الصهيوني في فلسطين[25].

وتأسيساً على ذلك، شنت الصهيونية حرباً منظمة متعددة الأشكال والوسائل ضد الشتات اليهودي، استخدمت في سبيل ذلك أقوالاً من التلمود مثل «من عاش في الغربة لم يعرف الإلّه الحق». وفي أحيان أخرى، روجت لأسطورة حنين اليهود الأبدي «لأرض إسرائيل»، وهذا ما نقرأه في مقالة الكاتب الصهيوني «شموئيل ايتنغر» (الشعب اليهودي وأرض إسرائيل)، يزعم الكاتب فيها أنه:

«في بابل أخذ المنفيون يتخيلون عودة مهيبة إلى صهيون، وينصب

(25) شموئيل اتينفر، الشعب اليهودي وأرض إسرائيل، مقال منشور في كتاب «من الفكر الصهيوني المعاصر»، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، لبنان، سلسلة كتب فلسطينية، رقم 1968، 11، ص 37.

بعد ذلك عشق إسرائيل على أرضه، وينهمك من جديد بمملكته، وبعد بناء الهيكل في دولة قائمة على العدل ومخافة الخالق، يتحول الوادي المزروع عظاماً ميتة إلى مدينة بين مدائن الملوك»[26].

وفي الفصل السابق، أشرنا إلى بعض مواقف عناصر الصهيونية من المنفى، وأوردنا بعض أقوالهم مثل «المنفى هو تزييف للحياة اليهودية... المنفى ليس جدير بالبقاء».... إلخ. بل إن أحد الصهاينة المعاصرين وهو «ر. ج. زفي فبربلونسكي»، بالغ في محاربته للشتات، فزعم في مقالة له بعنوان «بنو إسرائيل وأرض إسرائيل»: أن الشتات، أي الدياسبورا، هي أرض أعداء، وأن تجربة العيش في أرض الأعداء واللاسامية شكلتا الشريانين الأساسيين للصهيونية[27].

ويعدي «شموئيل اتينغر» أنه لم يكن من سبيل أمام اليهودي كي يعيش في المنفى سوى الانسلاخ من جلده، وكان على اليهودي، إذا تاق إلى رضا الآخرين، أن يتخلى عن عاداته ولغته وتراثه.

ورب سائل يسأل: ولماذا يهود أوروبا الشرقية بالذات؟! وللإجابة على هذا السؤال نقول إن دعاة الصهيونية بلا استثناء كانوا يعنون يهود أوروبا عندما كانوا يتحدثون عن يهود العالم. وقد أغفل معظمهم عمداً أيّ حديث عن يهود البلدان العربية والإسلامية، وأمريكا اللاتينية وإفريقيا. ففي خطابه الافتتاحي في المؤتمر الصهيوني الثاني، تحدث تيودور هرتزل عن يهود العالم وتفوقهم النوعي المزعوم وأسباب ذلك التفوق قائلاً: ربما أن مهارة الشعوب الجرمانية، ومرونة الشعوب الرومانية، والصبر الكبير الذي يتحلى به السلافيون، قد تركت أثراً ما علينا[28]. وهذه الشعوب التي يذكرها هرتزل هي شعوب أوروبا الشرقية

---

(26) ج. زفي فبربلوفسكي، بنو إسرائيل وأرض إسرائيل، مقال منشور في كتاب «من الفكر الصهيوني المعاصر»، المصدر السابق، ص 10-12.

(27) Theodor Herzl, Opening Address at the Second Zionist Congress, Zionist Writings, Essays ans Addresses, Vol.II., Thanslated from Germany, by Henry John, New York, Herzl Press, 1975, p.23.

(28) من كتاب ماكس نورداو إلى شعبه، نقلاً عن كتاب «الصهيونية، نظرية وممارسة»، تأليف مجموعة من الباحثين السوفيات، ترجمة يوسف سليمان، إصدار دار الطليعة، بيروت، 1974، ص 187.

والـوسطى، حتى إنـه لم يـرد ذكـر يهـود أوروبـا الغـربيـة، مثـل الفـرنسيـين أو الأنكلوساكسونيين. هل هذه صدفة؟ أم ماذا؟!.

ويهود العالم بالنسبة لليو بنسكر، ينتمون إلى عرق متقـدم، وليسوا زنـوجاً.. ويبدو أن بنسكر لم يكن يعلم بوجود الفلاشا والزنوج العبرانيين.

وتسيـطر سمة التفـوق العرقي العنصري عـلى فكر «مـاكس نورداو» صـديق «تيودور هرتزل»، وأحد أبرز مؤسسي الحركة الصهيونية. فاليهودي بالنسبة له:

«يتمتع بهمة كبـيرة، ومواهب عـالية تفـوق أي فرد أوروبي عـادي، ناهيك عن تلك الشعوب الإفريقية والآسيوية الخاملة»(29).

ولئن كان من المهم جداً التذكير أن الحركة الصهيـونية إنمـا جاءت، رداً عـلى حركة التنوير، الهاسكالا، وما رافقها من اندماج لليهود، وأن حركـة الهاسكـالا هذه نشأت وترعرعت في أوروبا الوسطى، فلا بد لنا من أن نـأخذ في الحسبـان أن يهـود أوروبا الـوسطى سيكـونـون وقـود الحملة الصهيـونيـة لـلاستيـطان في فلسطين، ومنهم تريد الحركة الصهيونية أن تنشيء بلداً يكون «عبـارة عن حصن منيع في وجه الهمجية»، كما يقول هرتزل.

وهؤلاء اليهـود هم المعنيون في خـطاب موشي هيس الـوارد في كتـابـه «رومـا والقدس»:

«الـذين يجب عليهم أن يكـونـوا حملة الحضـارة إلى شعــوب آسيـا البدائية، يجب أن يكونوا الـوسطاء بـين أوروبا وآسيـا البعيدة، وأن يفتحوا الطرق التي تؤدي إلى الهند والصين، تلك المنـاطق المجهولـة والتي لا بـد لهـا في النهـايـة من أن تفتـح أبـوابهـا عـلى مصراعيهـا للحضارة»(30).

(29) Moses Hess, Rome and Jerusalem, New York, Block Publishing Company, 1918 and 1945, pp.20 lz-as quoted in Stephen Herlbrook, The Class Origins of Zionist Ideology. Journal of Palestine Studies, Vol.II., Autumn 1972, p.89.

(30) Horace Mayer Kallen, Jewish Unity, The Zionist Idea, Arthur Hertzberg, ed, New York, Harper and Row, 1966, p.53.

ولا يتذكر أستاذ الفلسفة الصهيوني الألماني الأصل «هوراس مايركالن» أي شيء من تراث يهود العالم خارج أوروبا. ففي معرض حديثه عن التفوق العرقي المزعوم لليهود، يتحدث الكاتب عن يهود أوروبا فقط، ولا يذكر شيئاً عن سواهم، ويطالبهم بتأسيس روابط لليهود كيهود، وأن تكون قاعدة هذا الترابط واسعة بشكل كافٍ لإدخال ألبرت أينشتاين، وكذلك الحاخام جيرار، وبني ليونارد، وستيفن دايز، وليون تروتسكي، وكذلك هوراس مايركالن، بل يجب أن نجد مكاناً لسايروس أولم[31].

لقد فعلت الصهيونية كل ما في وسعها لتثبيت سيطرة اليهود الأوروبيين، وبالتحديد يهود أوروبا الوسطى، على كل أوجه الحياة والنشاط البشري العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي في إسرائيل، وذلك للحيلولة دون تحويل إسرائيل إلى دولة شرق أوسطية، كما قال بن غوريون أكثر من مرة، بفعل هجرة يهود الدول العربية والإسلامية إلى إسرائيل، وخصوصاً بعد عام 1948.

ويعترف أبا إيبان، وزير خارجية إسرائيل الأسبق، أن هدف الصهيونية من اليهود الشرقيين لم يكن استغلالهم للاندماج في الوطن العربي، بل على العكس من ذلك، دمجهم وعدم السماح لهم بتحويل إسرائيل إلى دولة شرقية[32].

وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على قيام الكيان الصهيوني أصبحت معاناة اليهود الشرقيين الآن والتميز الذي يتعرضون له معروفين للجميع، ونكتفي هنا بالإشارة إلى هذه الناحية وبشكل سريع جداً. فمن المعروف أن بن غوريون عامل اليهود اليمنيين بصلف وعنجهية عندما أمر بقص ضفائرهم قبل أن يصلوا إلى مراكز الاستيعاب.

ويلقى الزنوج العبرانيون الذين يعيشون في ديمونة، وعراد، ومتسبية ريمون

---

(31) A. Mack. Oriental Jews, Class Ethnicity and Ideology, as quoted in Uri Davis and Yuval Davis, Israel and Palestinian Arabs, Lonodn 1975.

(32) هذه الاقتباسات مأخوذة من بحث كاتب السطور، والمنشور في مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، العدد السادس، آذار 1987، بعنوان: «إسرائيل ويهود العالم»، الجزء الثاني، ص 15، 25، 50.

معاملة غير إنسانية ويعيشون مجردين من الحقوق العامة، وقد صدرت بحق كثيرين منهم أوامر طرد من قبل وزارة الداخلية الإسرائيلية.

ويواجه اليهود الحبشيون، الفلاشا، صعوبات كبيرة جداً في الاعتراف بهم كيهود، ويبدو أنه من الصعب على الإسرائيليين الاعتراف أو التصديق أن هؤلاء هم يهود. ويرفض سكان مدن التطوير استيعاب المزيد من أولاد هؤلاء اليهود والزنوج في مدنهم، لأن الفلاشا سيحتاجون إلى سنوات طويلة كي يتم تحويلهم مهنياً. وفي هذه الأثناء تصر الحاخامية اليهودية على ضرورة تعميدهم ولا تعترف بيهوديتهم[33].

ورغم أن اليهود الشرقيين الذين احتاجت إليهم الصهيونية بعد نكبة 1948 وطرد العرب ليكونوا قوة عاملة في المستوطنات، وكذلك الأمر بالنسبة للجيش، أصبحوا يشكلون الغالبية بين السكان في الكيان الصهيوني، ورغم ذلك لا تقدم الكتب المدرسية ما يكفي لمعرفة تاريخ اليهود الشرقيين، بل وكثيراً ما يتم تصويرهم في تلك الكتب على أنهم بدون ثقافة، ولم يكن التعليم عندهم يتجاوز المدارس الدينية، وأن حياتهم الثقافية كانت معدومة، وكانوا يعيشون في أماكن معزولة تفتك بهم الأمراض والأوبئة[34].

ولنتعرف على الهدف الذي تسعى إليه الصهيونية من وراء ذلك هذا الصحفي الإسرائيلي المعروف بصهيونيته «باروخ نادل» الذي يتذكره القراء العرب كمؤلف كتاب «وتحطمت الطائرات عند الفجر» يقول: «إنه من عادة الجماعات التي تستأثر بامتيازات أو حقوق زائدة على حساب فئات أخرى صياغة أيديولوجيا لتبرير هذه الامتيازات»، ويستشهد على ذلك بإقطاعيي أوروبا وخصوصاً في القرن التاسع عشر، وبالبيض في الولايات المتحدة. ويضيف قائلاً: «كل نظام يبني نظرياته على أن الزنجي غير قادر على امتلاك المشاعر

---

(33) Uri Davis, Israel: Utopia Incorporated, Ibid.

(34) باروخ نادل، مقال بعنوان «بعينين أشكنازيتين» كانون الأول 1977، وقد أخذ الاقتباس عن الصهيونية والعنصرية من الفكر والممارسة، إصدار مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق 1980، ص 152.

الإنسانية، ولذا فمن المسموح به سرقة الأولاد من أهلهم، وبيعهم كـالبهائم».
إن تبريرات التمييز العنصري في إسرائيل تنـطوي على تنـاقضات صـارخة حيث يتم تجاهل الإنجازات التاريخية ليهود اليمن، والأوضاع الاجتماعية ليهود العراق والمغرب، وكأنما جاء الاشكنازيون من أساس اجتماعي سامٍ، أما المهاجرون من البلدان الآسيوية، فهم من أساس اجتماعي وثقافي متدنٍ. إن هذا الكذب يكرر في الكتب المـدرسيـة وفي أجهـزة الإعـلام إلى درجـة دفعت حتى أبنـاء اليهـود العراقيين والمراكشيين لأن يصدقوا تفوق أبناء الطبقة الحاكمة[35].

الاستقطاب الطائفي ـ السياسي:

إن الاستقـطاب الطائفي ـ السيـاسي الذي اتسمت بـه الحيـاة السيـاسيـة في الكيان الصهيوني، وظهور قوائم انتخابية وأحـزاب سياسيـة على أسـاس طائفي محض، هـو نتيجـة طبيعيـة لفشـل دمـج الـطوائف اليهـوديـة داخـل المجتمـع الصهيوني، وهو تجسيد حي لتفاقم الأزمـة، واتساع الهـوة بين مختلف الـطوائف وتعمق التناقضات فيما بينها، الأمر الذي يتسبب في تحول الكيان الصهيوني، كما يقـول «ميكال شمـير» من قسم الدراسـات السياسيـة في جامعـة تل أبيـب، إلى «مجتمع غير متسامح، يميني جداً، بل وعنصري»[36].

ويعترف كثير من الكتّاب الصهاينة أن عمق الأزمة الطائفية ينبـع أساسـاً من عنصرية الحركة الصهيونية وموقفها إزاء الشعوب الأخرى، فمن هرتـزل إلى بن غـوريـون، ومن جـابـوتنسكي إلى بيغن وشـامـير، يصرون أن يكـون الكيـان الصهيوني مجتمعاً أوروبياً، غربيـاً، ليس كهويـة ذاتية فحسب، بـل وكتعبير عن رؤيا فكرية وسياسيـة وثقافيـة واقتصاديـة. ومن خشية هؤلاء من أن تـزول هذه الهوية عن الكيان.

وقد حذر «بن غوريون» من هذه «المخاطر» كما يتصورها، وأعلن:

---

(35) «عل همشمار» 1984/3/28.

(36) هاعولام هازيه 1984/6/10.

«إننا لا نريد أن يصبح اليهود عرباً، إن من واجبنا أن نحارب الروح الشرقية، لا أريد لثقافة يهود مراكش أن تكون عندنا هنا. . . لا أريد أية مشاركة يقدمها اليهود الإيرانيون، يجب أن نرسخ في أذهانهم العقلية الغربية»[37].

وقد عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على معاملة اليهود الشرقيين باعتبارهم أناساً من الدرجة الثانية، مما أدى إلى تفاقم الهوة بين الطوائف داخل الكيان الصهيوني في مختلف المجالات.

ففي المجال الاجتماعي، تقول دراسة كتبها الدكتور «يعقوب نهون» وأصدرها معهد الأبحاث في القدس، حول الوضع الاجتماعي والاقتصادي للطوائف داخل الكيان الصهيوني، ما يلي:

ـ الأشكنازيون يعملون في الوظائف، والسفارديم «الشرقيون» يعملون في مجالات الإنتاج والخدمات، ولم يتحسن الفرق بين الطوائف في مجال التشغيل في السنوات الأخيرة ومنذ الخمسينات.

ـ يشكل الغربيون 90% من أصحاب الياقات البيضاء، بينما 90% من العمال هم من الشرقيين، يحتل الغربيون 80% من الوظائف المرموقة، و59% من المهن العلمية والجامعية و70% من المهن الحرة، بينما يشكل الشرقيون 80% من العاملين في الخدمات، 55% من العاملين في الصناعة[38].

ـ في مجال الأعمال «غير النظيفة» يشكل الشرقيون الغالبية الساحقة، ولا مكان هناك للأشكناز. ويقول «رافي بيرنس» عضو لجنة العمال الأجراء في مقلع كفار جلعادي: «لن تجد في هذا المقلع أي اشكنازي، ولن يأتي أحد منهم لكي يعمل في هذا الغبار»[39].

---

(37) بقلم مجموعة من الكتاب اليهود، تحرير شالوم كوهين، إسرائيل الثانية، بيروت 1981، ص 122.

(38) «يديعوت أحرونوت» 1984/8/6.

(39) «هآرتس»، 1981/9/18، مسلسل بعنوان «تمييز طائفي شكل وواقع»، بقلم عكيفا ألدار، الحلقة السابعة.

ويربط الدكتور «شلومو سبيرتسكي» الأستاذ في جامعة حيفا، في دراسة له حول الأزمة الطائفية في الكيان الصهيوني بين الصراع الطبقي والصراع الطائفي، ويرى أن الصراع الطائفي هو أحد تجليات الصراع الطبقي في مجتمع معقد التركيب كالمجتمع الإسرائيلي. وتطرح هذه الدراسة المعطيات التالية للتدليل على وجهة نظرها:

- البورجوازية الإسرائيلية هي أشكنازية في الأساس.
- البروليتارية هي شرقية في الغالب.

في إسرائيل تقسيم عمل طائفي واضح يلعب فيه الشرقيون دور اليد العاملة، في حين يسيطر الأشكناز على الإدارة في كل فروع الاقتصاد[40].

وتحت وطأة الاضطهاد والظلم واللامساواة، تحوّل اليهود الشرقيون إلى مجموعات من البشر، يعانون من ندوب عميقة في نفوسهم، ومن الشعور بالدونية تجاه اليهود الغربيين، وأخذوا يبحثون عن هوية أو إثبات للذّات بأشكال مختلفة. وقد أكدت دراسة قامت بها الدكتورة «أوفيرا سيلنكر»، من جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة، حول أوضاع اليهود الشرقيين داخل الكيان الصهيوني، النتائج التالية:

1 - إن اليهود الشرقيين هم الأكثر فقراً، ولكنهم الأكثر يمينية وتعصباً في السياسة الخارجية، والأقرب إلى الشوفينية والأكثر عداءً للعرب، بل ويعتبرون أن العداء للعرب هو الأساس لإقامة وحدة وطنية.

2 - إن اليهود الشرقيين هم الأكثر تزمتاً وتعاطفاً مع الليكود، على الرغم من أن نسبة مشاركتهم في أعمال الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة لا تتعدى الـ 10%.

3 - اليهود الشرقيون هم الأقل تأثراً بالاجتياح الصهيوني للبنان، ويرفضون تقرير لجنة كهان ويعادون «حركة السلام الآن»[41].

---

(40) «يديعوت أحرونوت» 1981/7/17.

(41) «يديعوت أحرونوت» 1984/4/8.

وقد حاولت الدكتورة «أوفيرا سيلنكر» تفسير مواقف وسلوكية اليهود الشرقيين، ووضعت النظريات التالية[42]:

1 ـ نظرية الشخصية الهامشية:

يحاول أعضاء مجموعة بشرية تطوير مشاعر خوف وفقدان الثقة وكراهية الأجانب، وهؤلاء عاشوا كأقليات في بلدان أخرى، وبعد أن أصبحوا غالبية يريدون تعليم العالم ما هو معنى أن تكون أقلية.

2 ـ نظرية الادخار النسبي:

تتكوّن لدى فئات في المجتمع الصهيوني مشاعر إحباط وغضب وسخط، هذه المشاعر لا توجه إلى من هو السبب المباشر، بل توجه عرقياً ضد الأقليات.

3 ـ نظرية شارة التمييز:

بسبب الصعوبات التي يعانيها اليهود الشرقيون نتيجة إصرار ساسة إسرائيل أن تكون جزءاً من العالم الغربي، وفي حين يحاول الأشكنازيون إظهار خوفهم الدائم من أن تتحول إسرائيل إلى دولة شرقية بفعل أكثرية اليهود الشرقيين، ويبدون مخاوفهم من المزايا السلبية التي يمكن أن ينقلها اليهود الشرقيون إلى إسرائيل مثل الكسل والسكر وانعدام الحافز، والبدائية في التفكير، يحاول اليهود الشرقيون تمييز أنفسهم عن العرب من خلال التنكر والابتعاد والتعصب.

4 ـ نظرية الخلفية السياسية والثقافية:

اليهود الغربيون ذوو ثقافة أكثر ليبرالية واعتدالاً، أما الشرقيون الذين ترعرعوا في بلدان المشرق، فهم أكثر تطرفاً وشوفينية ويجسدون العدوانية تجاه الشعوب الأخرى.

---

(42) «يديعوت أحرونوت» 1984/2/22.

* لقد اعتمدنا في هذا الفصل على بحثنا المنشور في مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، العدد الرابع والعشرون، السنة الحادية عشرة، تاريخ 1984/9/7.

5 ـ النظرية الدينية ـ المقرائية:

الشرقيون أكثر تمسكاً بالدين اليهودي، وهذا ما يبرر تطرفهم ضد العرب.

وما يهمنا من هذا الاستعراض للوضع الطائفي في إسرائيل أن نبيِّن مصلحة القوى الحاكمة هناك في الحفاظ على هذا الشكل في العلاقات الداخلية بين الطوائف، الأمر الذي يسهل عليهم امتصاص نقمة اليهود الشرقيين والغربيين ويسمح باستغلالهم وتسخيرهم لخدمة أهداف السلطة الإسرائيلية التي تجد في الأوضاع الطائفية السائدة هناك أفضل الظروف المؤاتية لممارسة تأثيرها المباشر وغير المباشر في غسل أدمغة الغالبية الساحقة من اليهود، وتوجيه أنظارهم نحو أخطار خارجية موهومة وغير حقيقية وإغفال الأسباب الحقيقية في الأزمة، رغم أن استمرار هذا الوضع يجعل إسرائيل مهيأة للفاشية، وهذا ما يتحدث عنه الدكتور «زئيف شترنهل»، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية عندما يقول:

«إن المجتمع الذي يعاني من نزاع وطني خطير، يكون عرضة للفاشية، وهذا تجسيد متطرف للتعصب القومي العنيف في آن واحد. والمجتمع الذي يعطي شرعية متزايدة للعنف، كالمجتمع الإسرائيلي، هو مجتمع يجتاز تحركاً فاشياً، والمجتمع الإسرائيلي يطور الآن عبادة القوة بشكل لم يسبق له مثيل. والافتراض بإمكانية حل المشكلات الأساسية بالقوة، يؤدي بصورة حتمية إلى الفاشية. لكن لعل من أهم أسباب الفاشية في إسرائيل هو فقدان الحركة العمالية الثقة بالنفس»[43].

وتكمن أهمية هذه الفقرة التي استشهدنا بها من أقوال الدكتور «زئيف شترنهل» بأنها تؤكد ما قلناه في مكان سابق، وهو أن الجوهر الأساسي في التربية الفكرية في إسرائيل هو زرع مفاهيم العنف، وخلق الإنسان السوبرمان الذي ينظر إلى غيره وكأنه غبار على الأرض، وينظر إلى العالم وكأنه كرة بين يديه وجدت للاستجابة لأهوائه ونزواته.

(43) «عل همشمار» 1984/4/1.

وفي خضم عملية التثقيف في إسرائيل والتي ترمي إلى صهر اليهود القادمين من شتى أصقاع الأرض والذين يحملون ثقافات ولغات وتيارات دينية وسياسية واجتماعية مختلفة في بوتقة واحدة، ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أنه من المطلوب تكريس الفجوة الطائفية، وفي الوقت نفسه إعطاء اليهود في إسرائيل الحد الأدنى الممكن من العادات والتقاليد والمشاعر المشتركة، والأهم هو زرع قيم إيديولوجية ودينية توحد هذا الخليط العجيب من الأجناس البشرية. وتتم عملية التثقيف هذه وفق رؤيا اليهودي الأوروبي وتصوراته ومعتقداته وقيمه الأيديولوجية والاجتماعية. لأن اليوتوبيا الصهيونية لا تتسع إلا لليهودي الأوروبي، وقد تسبب مجيء يهود إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية إلى إفساد هذه اليوتوبيا وتحويلها إلى فوضى.

ولما كانت عملية التثقيف أو تشكيل العقلية هذه تشكل أساس هذا الكتاب، فسنحاول تتبع هذه العملية، وبالتفصيل، في مختلف أشكالها وميادينها: الدين اليهودي، الايديولوجيا اليهودية، التربية والتعليم، الأدب الصهيوني، الإعلام وتشكيل الرأي العام. وبالطبع، لن نغفل دور الجيش الإسرائيلي في هذه العملية لأن دوره متميز جداً، نظراً للتأثير الكبير الذي يمارسه الجيش في حياة الكيان الصهيوني ومختلف أوجه النشاط السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي والديني.

وليس بخافٍ على أحد أن عملية تشكيل العقل هذه التي تصل في أحيان كثيرة إلى درجة الاستعمار الروحي للإنسان اليهودي، شرقياً كان أم غربياً، هي عملية متكاملة، لا يمكن الفصل بين ميادينها وأدواتها فصلاً آلياً. ويعرف المتخصصون بشؤون الكيان الصهيوني أن ثمة تداخلاً كبيراً في مهام كل من الدين والجيش والتعليم والايديولوجيا.

الفصل الرابع

الدين الأمني

1

الدين الامني

يقول فرويد: «من السهل ربط الناس بصلات محبة طالما كان هناك أشخاص نستطيع أن نصب عليهم مشـاعرنـا العدوانيـة». فلقد وجـدت هذه المقـولة من يطبقها بنجاح لم يكن فرويد نفسه يتـوقعه. فـالكيان الصهيـوني، ذلك التجمـع الاستيطاني الزاخـر بالمتنـاقضات في شتى الألـوان والأنواع، سيـاسية واقتصـادية ودينية وعرقية، هذا الكيان لا يربط بين أفراده سوى مسألـة الأمن التي أصبحت القاسم المشترك الأعظم والقوة الـواحدة والـوحيدة التي تستـطيع أن تـوحد هـذا البحر الزاخر بالمتناقضات.

ولئن سعت الحـركـة الصهيـونيـة، ومنـذ الأيـام الأولى للمشروع الصهيـوني الاستيطاني في فلسطين، لجعل مسألة الأمن الجماعي والفردي للمستوطنـين تحتل مكـاناً بـارزاً في هويـة التجمـع الاستيـطاني، وذلـك من خـلال الادعـاء «بحق التجمـع اليهـودي في الـوجـود» واعتبـارهـا مشكلة وجـوديـة في صلب نـظام الاستيـطان[1]، فقد كـان على الاستيـطان تطويـر الآلية الكفيلة بـإيجاد الأجـوبة المنـاسبة لـلأسئلة المتعلقة بحق السيـطرة على الأرض. وإحـدى هـذه الآليـات

(1) Israeli Society and Its Defense Estblishment, The Social and Political Impact of a Protacted Conflict, edited by Moshe Lissak, Frank Cass and Company Limited, Grains Borough House, Gainrs Borough Road, London, England, 1984, p.21.

تعميق شعور الفرد والجماعة بالافتقار للأمن، والاعتماد على المصطلحات العبرية واليهودية، بما في ذلك استخدام رموز من التاريخ اليهودي القديم والحديث، خصوصاً مسألتي المسادا والكارثة، الهولوكوست، لإعطاء مسألة الحق في الوجود، أو الأمن بالمفهوم الصهيوني، تجسيداً مادياً[2].

ولقد أصبح الأمن بالمفهوم الإسرائيلي ديناً قائماً بذاته، يوازي في أهميته ودوره الدين اليهودي، بل إن الأخير كثيراً ما يستخدم لخدمة أهداف الدين الأمني الذي يستخدم كثيراً وبشكل خاص، في الخطاب السياسي الموجه إلى من يطلقون على أنفسهم لقب العلمانيين، أو اللامتدينين، وهؤلاء معظمهم من أصول أشكنازية، لا يراعون حرمة السبت ولا يؤدون الشعائر والفرائض الدينية، لكنهم لا يستطيعون تخطي دين الأمن[3].

وللمرة الأولى في تاريخ البشرية، تصبح قضية الأمن في تجمع بشري ما قضية إيمانية محضة، لا تعتمد على المحاكمة العقلانية أو التصديق، بل تقوم على التسليم السلفي، وترتفع بحيث تصبح قيمة فوق كل القيم المادية والروحية والاجتماعية.

وغدت كل المسائل المطروحة للنقاش العلني داخل الكيان الصهيوني وخارجه تنطلق من منطلقات أمنية بحتة. فالقضايا الأمنية تطغى على حياة المجتمع، ولا يستثنى من ذلك أية بقعة في إسرائيل. فمشاريع التنمية تقوم أساساً على اعتبارات أمنية، ولعل أكبر مثال على ذلك، مسألة التوزيع الديمغرافي في إسرائيل، وبناء مدن وبلدات التطوير في الخمسينات والستينات من هذا القرن، وكذلك إقامة مجموعات المستوطنات المترابطة فيما بينها، والمتصلة بالتجمعات

---

(2) Eliezer Schweild, The Endurance of Israeli Society, in the Works of Amerson Cohen and Ari Carmen, eds, In the Wake of the Yom Kippur War, Haifa University Press, 1976, p.60, Hebrew, Taken From Israeli Society and Its Defense Foreces, Ibid.

(3) ر. ج زفي فيربلوفسكي، بنو إسرائيل وأرض إسرائيل، من الفكر الصهيوني المعاصر، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت ـ لبنان، سلسلة كتب فلسطينية، 1968، رقم 11، ص 10.

السكنية الكثيفة في المنطقتين الساحلية والوسطى(4). وتعتبر الخدمة الإلزامية هي التجربة الأساسية للفرد في المجتمع الإسرائيلي الذي يتأثر بالجيش والخدمتين الإلزامية والاحتياطية، كما يشكل الشعور بانعدام الأمن «حاجزاً بين اليهود وغير اليهود في إسرائيل» لأن معظمهم لا يؤدون الخدمة الإلزامية التي تعتبر في الوقت نفسه أحد الشروط الهامة لاستلام أي منصب مهم. ومن لا يخدم في الجيش لا يعتبر مؤهلاً لذلك، بغضّ النظر عن كفاءاته الأخرى(5).

والدين اليهودي بالنسبة لإسرائيل، ليس مجرد عبادة، وتلاوة نصوص وحفظها، وهو ليس مجرد رابطة عاطفية بالماضي وتمسّك بتقاليد روحية معينة بقدر ما هو إضفاء الشرعية على مطالب توسعية في الوقت الحاضر، استناداً إلى نصوص أو مفاهيم أو مقولات دينية توراتية أو تلمودية. ولهذا الدين كتبه وشعائره وأعياده ومواكبه.

أما الدين الأمني، فهو خليط غريب من الرموز الدينية والايديولوجية، ومن جملة الاعتبارات التي تتسم ظاهرياً بالعقلانية والواقعية، ويقوم على المزج بين «يهوه» الإله المتعطش دائماً للدماء والحرب، وجيش إسرائيل الذي يحمي مجتمع المستوطنين ويقوم بدور الرب على الأرض. فضباطه وقادته لهم مكانة تفوق مكانة رجال الدين، وأوامره ورغباته مطاعة، وحاجاته لا بد من تلبيتها، ولو أدّى ذلك إلى أن يقتطع 60% من الناتج الإجمالي العام للعبء الأمني(6).

ويسمح للقوى السياسية والاجتماعية أن تختلف فيما بينها على كل شيء، إلا المسألة الأمنية، فهي دائماً لا خلاف عليها، بل وتحظى بالإجماع تقريباً لدى كل القوى، بغضّ النظر عن انتماءاتها السياسية والاجتماعية. لأن المسألة الأمنية هي التي تتكفل بتأمين الأسس اللازمة لقبول الأفراد أو رفضهم استناداً إلى مدى

---

(4) راجع بحثنا «مدن وبلدات التطوير في إسرائيل» مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، عدد 1983/9/21.

(5) Aaron S. Kliemons, Israel and the Worl Afcter 40 years; Pergman Brassy International Defense Publishers, New York, 1990. pp.18-20.

(6) Asher Arion, Ilan Talmud, Tamer Herman, National Security and Public Opinion, Israel, The Jaffee Center For Strategic Studies, No.9, Tel Aviv University Press, 1988, p.49.

الـتزامهم. فالـذين يعارضـون مبادىء الأمن أو يكفـرون بها مـرفوضـون، وهم متخاذلون ومعادون لإسرائيل. وفي كل مناسبـة من المناسبـات، يقوم جنـرالات الجيش الإسرائيلي باحتـلال أمكنة كهنـة المعبد، ليس في مجـال تلقّي التبريكـات والتهاني والتأييـد، بل ويحـددون العقائـد والشرائع الأمنيـة التي يتوجب اتبـاعها دون تذمر، ولـو كان ذلـك يعني شن حرب أو مجمـوعة حـروب. وخلافـاً لكل التجمعات البشرية الأخرى، يحرص السـاسة الإسرائيليـون دائماً عـلى الاحتفاظ بعنصر رئيسي من عناصر التكوين النفسي الإسرائيلي المعاصر، وهـو الافتقار إلى الأمن، وأنه لا مكانة في ذلك التكـوين ليهودي منتصر، بـل هنالـك فقط مكان ليهودي مهدد بالاعتداء عليه، أو يستعد لحماية نفسـه من الاعتداء. ولـو لم تكن هنالك في الواقع ثمة اعتداءات أو تهديدات بالاعتداء، يكون من المحتم الإيهام بكـل ذلـك حتى تـذوي سريعـاً صـورة اليهـودي المنتصر، وتحـل محلهـا صـورة اليهودي المعرض دائماً للاعتداء.

واستنـاداً إلى ما تقـدم، تحولت الحـرب إلى ظاهـرة تلازم الفـرد اليهـودي في مختلف مراحل حياته... إنها مسألة وجود بالنسبة له، ترافقه حيثما يذهب.

تقول عالمة النفس الإسرائيلية الدكتورة «عاميا ليبليخ»:

> «إن الحرب في إسرائيل جزء من الماضي ومن الحاضر والمستقبل. إن الأسئلة المعتـادة في حيـاتنـا: مـا هـو الـوقت البـاقي حتى الحـرب القادمة»؟.

وتمضي قائلة:

> «إن التعايش مع الحرب... أي الحياة على خط النهاية.. كان ولا يزال جزءاً من حياتنا. لكن الخوف من الهزيمـة الذي معنـاه الموت، مـوت الأعزاء علينـا وربما أكـثر من ذلك، قـد زاد بعد حـرب يـوم الغفران... لقد أصبحت الحرب نتيجة لذلك بمثابة المحـور الزمني الذي تتحرك إسرائيل وفقاً له في كل المجالات في حياتها الاجتماعيـة

(7) Ibid.

والسياسية والاقتصادية والفكرية. ويتم تقسيم التاريخ الأدبي والفكري والاقتصادي نسبة للحروب»[8].

أما الدكتور «أمنون روبنشتاين»، فيقول: «لقد نما في دولة اليهود جيل أصبحت الحرب جزءاً من حياته: لقد آمن جيل عام 1948 أن حربه هي الأخيرة». أما «حاييم حيفر» في قصيدته «كانت أيام» (هايويايميم)، فيرى أن الحرية هي جزء من ماضٍ انتهى لأنه «بدلاً من اليافطة توجد الآن مدينة». والأديب الإسرائيلي ساميخ يزهار ينهي روايته «أيام صقلاج» (يمي صقلاج) متسائلاً: «هل أنهينا كل شيء؟! ويكون هناك شيء في مكان ما». ولكن الكتاب ينتهي بعلامة الهدوء والسكينة. والأبطال «الصباريم» يتمددون دون خوف ولا يركعون تحت الخوف، ولكن أبطال يزهار ـ يكبرون بإحساس الفزع من الحروب التي لا نهاية لها، وكان الإحساس التراجيدي لأبناء هذه الأجيال هو أن الحرب قد فرضت عليهم دون أن يعطى لهم خيار[9].

وما يستخلص من هذا هو أن الحروب أصبحت بالنسبة للوجدان الإسرائيلي حقيقة وجودية، أو كابوساً وجودياً لا مفر منه. ومن هنا، فإن المجتمع الإسرائيلي قد تحول بفعل هذا الإدراك إلى ثكنة عسكرية تعطى فيها للقيم العسكرية، وعلى رأسها النزعة العدوانية، المقام الأول وفي جو يكون فيه العربي هو العدو اللدود.

ومن جهة أخرى، يقول «موشي شمير» الأستاذ الجامعي والدبلوماسي المعروف الذي عمل في القاهرة في النصف الثاني من الثمانينات:

---

(8) عاميا ليبليخ، جنود الصفيح على شاطىء القدس، ص 9، مأخوذة عن د. رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، رقم 102، الكويت، حزيران/ يونيو 1986، ص 242.

(9) أمنون روبنشتاين، لنكن شعباً حراً، ص 128، مأخوذة عن د. رشاد الشامي، المصدر السابق.

«إنني أعرف شيئاً واحـداً فقط، وهو أنـه طوال نصف القـرن الذي عشته لم يغادر الخوف من الموت منزلنا»[10].

كما نلمس هذا الإحساس، أي افتقار الأمن وحتميـة الحرب بـالنسبة لأفـراد التجمع الصهيوني، في مجال العمل الأدبي أيضاً.

---

(10) د. رشاد الشامي، ص 151.

2

الحرب والصراع

يقـول باروخ كيمـيرلينج، وهـو دكتـور في علم الاجتـماع والانـثروبـولـوجيـا الاجتماعية في الجامعة العبرية، وصـاحب عدد كبـير من المؤلفات في ميـدان علم الاجتماع، والصهيونية، والصراع العربي ـ الإسرائيلي:

«إن الحـرب ظاهـرة مؤقتة بـالنسبة لأي مجتمـع، لأنها تتطلب تعبئـة استثنـائيـة للمـوارد البشريـة والمـاديـة، وتعمـل عـلى وقف التـطور الـطبيعي. وقد تكـون النتائـج المادية للحـرب مـدمـرة وكـارثيـة، خصـوصاً في حـال الهزيمـة الشـاملة. أمـا الصراع، فهـو يعني كـل النشـاطات الحـربية بـين إسرائيل وإحـدى الـدول العـربيـة، وكـل الفترات التي تكون فيها غالبية الاحتياط الإسرائيلي في حالـة تعبئة. أي أن الصراع يتضمن كـل فترات الحـرب وفترات الهـدوء ما بـين الحروب حيث لا توجد بالضرورة عمليات حربية»[11].

وبكلمة أخرى، تعني كلمة الصراع بالتعريف الوارد ذكـره أعلاه أنها تنـطبق على تاريخ المشروع الصهيوني في فلسـطين، منذ أيـامه الأولى وحتى الآن. فلماذا حـولت الصهيونيـة الصراع من ظاهـرة مؤقتة في حيـاة التجمعـات البشريـة إلى ظاهرة دائمة في حياة المجتمع الإسرائيلي؟

(11) Israeli Society and Its Defense Establishment, Ibid., pp.13-45.

قد تكون الإجابة على هذا السؤال، هي أن الصهيونية لا تقدر على السلام، ولا يمكنها الموافقة عليه، لأنه يتناقض ويشكل تناحري مع جوهرها وطبيعتها، ومشروعها الاستيطاني وأهدافها التوسعية، وارتباطاتها بالإمبريالية العالمية، ووظيفتها الناجمة عن تلك الارتباطات. وهذا يذكرنا بما قاله «بن غوريون» في مارس 1970:

«إن أسوأ مقلب يمكن أن يفاجئنا به العرب هو أن يوافقوا على عقد الصلح»[12].

هذا صحيح، ولكنه في الواقع لا يعبر سوى عن نصف الحقيقة، أما نصفها الآخر فنجده مجسداً باستغلال الصهيونية لحالة الصراع في تكوين المجتمع المنشود، والحيلولة دون تفجره من الداخل بسبب الصراعات السياسية والطائفية التي يمكن أن تتطور إلى حروب أهلية.

يقول «أمنون روبنشتاين» أحد أعضاء حركة التغيير، شينوي:

«ربما يمكن القول أنه لولا العداء العربي، لكان قام شعب عبري على النمط الكنعاني، ولكنّ هذا العداء، سواء كان هو ذاته جزءاً من المصير اليهودي أم لا، فهو الذي حدد الحقائق، هذه الحقائق التي لا يمكن تجاهلها، وهي تطرح للمناقشة مسألة يهودية دولة إسرائيل»[13].

وتفوح رائحة العنصرية في حديث «أمنون روبنشتاين»، لأن المقصود بشعب عبري على النمط الكنعاني، هو أن تتحول إسرائيل إلى دولة شرق أوسطية، وهذا ما حذر منه بن غوريون مراراً، كما أشرنا إليه من قبل.

أما الأديب الإسرائيلي المعروف «ا. ب. يوشع»، فهو يشير إلى ناحية مهمة جداً عندما يقول:

---

(12) رصد إذاعة إسرائيل، 1970/3/2.

(13) أمنون روبنشتاين، لنكن شعباً حراً، مأخوذة عن د. رشاد عبدالله الشامي، مصدر سابق، ص 131.

«إن النزاع المتواصل قد خلق في إسرائيل مجتمعاً متقارباً ومتضامناً. وهاتان القيمتان الموثوق فيهما جداً نتجتا بسبب الصراع المتواصل.. إن صراع الأقلية ضد الأغلبية قد أجبر الإسرائيليين على أن يخلقوا فيما بينهم تضامناً غير مشروط، على صورة أن كل واحد متداخل ومترابط مع الآخر»[14].

ما هي انعكاسات الدين الأمني على السياسة والدولة والمجتمع والأفراد في إسرائيل؟

1 ـ في المجال السياسي:

استغلت مسألة الأمن لتبرير أعمال إسرائيل العدوانية ضد الدول العربية، فقد وضعت إسرائيل تعريفات عامة جداً للأمن، وتركت لنفسها حرية التصرف بالشكل الذي يتناسب مع مصالحها وخططها.

يُعرّف الأمن بشكل عام:

«الحرية النسبية من التهديدات المؤذية، وهو أيضاً سلامة الأمة بشكل حقيقي وعدم تعرض أرضها للعدوان، وعدم المساس بسيادتها. ويعتمد الإحساس بالأمن على تقدير الأخطار الخارجية، والاستقرار الداخلي والإمكانيات الذاتية، ونظام القيم السائد في أي مجتمع من المجتمعات. ويرتبط تحديد معنى الخطر إلى حد كبير جداً، بالخلفية التاريخية والتركيب النفسي للأمة أو المجتمع»[15].

ويمكننا أيضاً إضافة بعض التعريفات الأخرى للأمن:

ـ الأمن هو الحرية النسبية من تهديدات عسكرية كبيرة، مواجهة عسكرية شاملة، وضمان سلامة الشعب وأملاكه والمؤسسات الحكومية.

---

(14) د. رشاد عبدالله الشامي، مصدر سابق.

(15) John Edwin Aroz, Beyond Security, Pergamen Press, New York, Oxford, 1980, p.105.

ـ الحرية النسبية من الأخطار العسكرية الثانوية: مواجهات عسكرية شاملة قصيرة الأمد.

ـ الحرية النسبية من التهديدات غير العسكرية، تغيير مواقف قوى خارجية فيما يتعلق بنفوذها ودعمها لحكومة بلد معين[16].

أما إسرائيل، فقد حددت مفهومها الأمني بشكل عام جداً: «الأمن يعني كل شيء: الاقتصاد والقانون، المصالح الأساسية».

ووضعت الحكومات الإسرائيلية ذرائع حرب يحق للحكومة الإسرائيلية أن تشن عمليات حربية ضد أي من الدول العربية المجاورة لها، أو غير المجاورة، استناداً إلى تلك الذرائع. ومن هذه الذرائع:

★ تغيير موازين القوى في المنطقة بشكل يؤثر على تفوق إسرائيل النوعي، أو يحد منه، أو يؤدي إلى تضييق الردع الإسرائيلي وشل فاعليته.

★ تغيير أنظمة الحكم في الأردن ولبنان بشكل يزيل الطابع الحالي للنظام السياسي في هاتين الدولتين العربيتين.

★ تعتبر مسألة المصادر المائية العربية في جنوب لبنان وهضبة الجولان والأردن، مصالح حيوية لإسرائيل، وتحويلها بشكل يحرم إسرائيل من الاستفادة منها، هو ذريعة حرب. وتدعي إسرائيل أنها عرضة لأعمال عدائية قد تقع ضد مصادرها المائية، لأن قسماً كبيراً منها يقع في أماكن قريبة من الحدود، وهي تتضمن نهري الحاصباني وبانياس اللذين ينبعان من مرتفعات الجولان. وفي حال استرجاع سورية السيطرة على الهضبة، يمكن تحويل النهرين إلى الليطاني في لبنان، واليرموك إلى الأردن، أو يمكن تلويثهما عند النبع.

★ الحدود الآمنة، وقد طرح هذا المبدأ بعد عدوان يونيو 1967 واستيلاء القوات الإسرائيلية على الأراضي العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان، وفيما بعد جنوب لبنان.

---

(16) John Edwill Aroz, Ibid., p.105.

وتحت شعار «الحدود تساوي الأمن» تتم عملية مصادرة الأراضي في الضفة والقطاع لبناء المستوطنات عليها. ويتحدث الإسرائيليون عن الأمن النفسي الذي تحقق بعد استيلائهم على المناطق المحتلة، ويزعمون أن التخلي عن هذه المناطق لن يكون مقبولاً بالنسبة لهم، لأن 65% من السكان و50% من الصناعات ستكون تحت رحمة أي هجوم مدرع يمكن أن يحدث من الناحية النظرية، ومن عدة محاور.

ومن جهة أخرى، وتطبيقاً لمبدأ الردع المرن، تعطي إسرائيل لنفسها حق القيام باعتداءات ضد الدول العربية بحجة توجيه ضربات لإجهاض جهود العرب في المجال العسكري، أو القيام بعمليات انتقامية، بهدف رفع المعنويات لدى المستوطنين، وتوفير قاعدة الإجماع القومي بدون الدخول في حرب شاملة، وحماية النخبة السياسية من الانتقادات الداخلية واتهامها بالتقصير. وأخيراً، تعتبر العمليات الانتقامية أداة في إدارة الصراعات السياسية الداخلية من خلال خلق تناقضات خارجية تغطي تناقضات داخلية، أو تحرف أنظار الرأي العام هناك. ويعترف عدد غير قليل من المسؤولين الإسرائيليين أن الحرب تخلص إسرائيل من مشاكلها[17].

2 ـ أما فيما يتعلق بانعكاسات الأمن على الدولة:

فهي واضحة جداً. بل لعل الكثيرين يؤيدون الرأي القائل أن إسرائيل جيش وله دولة، وأن الأفراد في المجتمع الإسرائيلي هم جنود إجازة لمدة أحد عشر شهراً أو أقل من ذلك، ونلمس أيضاً تلك الانعكاسات من خلال المكانة التي يحتلها ضباط الجيش في مختلف أجهزة الدولة، والتحالف القائم الآن بين المجمع العسكري ـ الصناعي الحالي الذي يلتهم القسم الأكبر من موارد إسرائيل الاقتصادية والمساعدات المباشرة وغير المباشرة التي تتدفق عليها.

ويمكن للإنسان أن يلاحظ انعكاسات مسألة الأمن على الدولة وعلى مختلف الأصعدة، ومنها:

---

(17) Israeli Society and Its Defense Forces, Ibid., p.23.

★ في مجال السياسة الخارجية:

نذكّر فقط بما قاله «موشي دايان»: «إن الدول الصغيرة لها سياسة أمنية وليس سياسة خارجية»، وطوال الفترة منذ عام 1948 حتى تاريخنا هذا، كانت مهمة وزارة الخارجية الإسرائيلية تنحصر في تبرير أعمال الجيش الإسرائيلي والدفاع عنها.

وتتجلى عسكرة السياسة الخارجية بشكل واضح ولا لبس فيه من خلال ما يلي:

1 ـ الناحية الأمنية هي أهم وظائف الدولة، وتلقى في هذا المجال الدعم الكامل من قِبل التجمع الاستيطاني، الذي استطاع بفعل الهاجس الأمني المستمر أن يطور درجة عالية جداً من الاستعداد الدائم لتعبئة الموارد البشرية والمادية.

2 ـ المهام السياسية والدبلوماسية لها مكانة ثانوية بالمقارنة مع الأهداف العسكرية، ويميل متخذو القرارت الإسرائيلية، على مختلف مراتبهم، إلى عدم الاهتمام بالمحاولات الدبلوماسية، أو الإشكاليات القانونية، أو الاعتماد على حسن النوايا لدى الطرف الآخر، ويفضلون العمل المباشر ومن جانب واحد.

3 ـ في بعض الأحيان تتجاهل إسرائيل كل المجالات الدبلوماسية وتعتبرها مضيعة للوقت.

4 ـ تلعب وزارة الخارجية دوراً ثانوياً في رسم السياسة الخارجية، وذلك بالمقارنة مع دور وزارة الدفاع(18).

(18) لمزيد من التفاصيل في هذا المجال، راجع الفصل الأول من كتابنا: إسرائيل والمتغيرات الدولية.

★ في المجال الاقتصادي:

يلعب الجيش دوراً كبيراً جداً، وهو يعتبر ثالث أكبر رب عمل في إسرائيل بعد الهستدروت والحكومة الإسرائيلية، وتخضع لسيطرته المباشرة الصناعات العسكرية والجوية، وتساهم الصادرات الأمنية بأكثر من 40% من إجمالي الصادرات الإسرائيلية سنوياً.

★ في المجال الإداري:

يتولى الجيش وبشكل مباشر إدارة شؤون المناطق المختلفة وإدارة شؤون اليهود في المستوطنات الحدودية. وقبل عام 1964، كان الجيش يسيطر على الحكم العسكري للمناطق العربية المحتلة عام 1948.

★ في المجال التعليمي:

يعتبر الجيش واحدة من أكبر المؤسسات التعليمية، نظراً للعدد الكبير من المدارس والمعاهد والكليات العسكرية التابعة له. وفيه أيضاً مؤسسة تعليمية يشرف عليها ضابط تعليم يحمل رتبة عميد، وتضمن هذه المؤسسة للعسكريين إمكانية الحصول على الشهادة الثانوية من خلال الجيش، وهناك برامج تعليمية خاصة ببعض الفئات التي تخدم في الجيش. كما يعمل الجنود معلمين في المدارس الموجودة في المستوطنات الحدودية، ويعملون أيضاً ضمن جماعات الشبيبة، ويجرون الدورات الخاصة في المعاهد التعليمية.

★ في المجال الإعلامي:

يملك الجيش وسائله الإعلامية الخاصة، المقروءة والمسموعة والمرئية. وهي تتخطى دائماً الأهداف الأساسية التي أقيمت من أجله وهي تقديم المعلومات والمواد الإعلامية والثقافية للجنود في الوحدات العسكرية. ويشكل الضباط الاحتياط جزءاً كبيراً من الباحثين والمحاضرين والأساتذة والجامعيين، والمراسلين الصحفيين، والعاملين في مراكز البحث العلمي. ويشغل قسم منهم مناصب إدارية عليا في عدد كبير من المنشآت الاقتصادية.

★ في المجال الديني :

استطاع الجيش أن يوحد كافة التيارات الدينية اليهودية من خلال الكنيس اليهودي الموحد الموجود في الجيش، وكذلك كتاب الصلاة الموحد. كما استطاع الجيش أن يقيم تحالفاً مع المؤسسة الدينية اليهودية لا مثيل له في المجتمعات الأخرى. وتقوم المؤسسة الدينية بالإشراف على تربية الجنود فكرياً بالشكل الذي يتناسب مع أهداف الجيش، ويسهل عليه أداء وظيفته.

3 ـ وبالنسبة للمجتمع ،

يلمس المرء انعكاسات الناحية الأمنية في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية. لكن ما يهمنا هو تلك النتائج المتعلقة بآلية عمل المجتمع وتطوره. وهذا يتجسد من خلال ما يلي :

★ تطوير ذهنية تفهم الصراع كشرط دائم، أو مصير المجتمع وتوحيد المجتمع ككل، من خلال تصعيد الحديث عن المصير المشترك، لأن الخسارة القومية تعتبر خسارة لكل اليهود، وهي خسارة عامة، وكذلك الأمر بالنسبة للهدف المشترك، لأن التعاون تحت ظل استمرار الصراع يعتبر قيمة ضرورية وشرطاً للبقاء بالنسبة لليهود، وأخيراً توجيه أفكار المستوطنين وغسل عقولهم بحيث تصبح عملية الاندماج في حرب عدوانية تجسيداً للإجماع القومي. ولعلنا نجد في هذا القول لموشي دايان أثناء تأبينه لأحد الجنود الإسرائيليين في مارس 1956 خير دليل على ذلك :

«نحن جيل من المستوطنين. . . . لن يكون بإمكاننا زراعة شجرة أو بناء بيت بدون الشعور بالخوف. . . . ينبغي لنا ألا نخاف منهم، من العداء الذي يودي بحياة الألوف من العرب حولنا. . . . ينبغي لنا ألا نحول أبصارنا، لئلا تضعف أيادينا. . . . هذا هو مصير جيلنا. . . . إن الخيار الوحيد لنا هو أن نبقى أقوياء ومصممين. . . . وإلا سيقع السيف من أيدينا وسينقطع خيط حياتنا»[19].

(19) «دافار» 1956/5/12.

★ خلق آلية داخلية وترتيبات مؤسساتية للتعامل مع الصراع بأعلى قدر ممكن من الفعالية، وبأقل قدر ممكن من التكلفة. وهذا نابع من المشكلة الرئيسية للنظام الاجتماعي الإسرائيلي، كما يحدده «اليعازر شويد»:

«كي نبقى على قيد الحياة، ينبغي لنا أن نعبىء كل قوى الوجود، ولكننا إذا كنا سنعبىء كل القوى فقط لندافع عن وجودنا، فلن يكون ذلك كافياً كي نبقى على قيد الحياة. كيف يمكننا التعامل مع الصراع لأجل الحيا، واستخدام كل الموارد الاقتصادية والاجتماعية والروحية للمساهمة الخلاقة في ذلك. يمكن للصهيونية أن تفخر لأنها تصدت لهذه المهمة بشكل مثالي».

★ خلق المقدرة الذهنية والمؤسساتية على وقف النظام الاجتماعي، لأن المجتمع الإسرائيلي يتألف من جزأين اثنين، أحدهما روتيني متقطع، والثاني يتوقف بشكل كلي أثناء العمليات الحربية، وهو يشمل كل العمليات الاجتماعية والمصالح المتناقضة. وتجري عملية إعادة ترتيب المؤسسات لخدمة هدف واحد، وهو «المجهود الحربي»، أو «حماية المجتمع من خطر محدق». ففي حال تعبئة الموارد المادية والبشرية وتعبئة الاحتياط، توضع كل وسائل النقل تحت تصرف الجيش، كل الأسرّة في المشافي تخصص للحرب، وعند انتهاء العمليات الحربية، يعود المجتمع إلى وضعيته السابقة[20].

إن أهم وسيلة لمواجهة هذه الظروف هي اقتصاد الطوارىء، ومهمته إعداد المجتمع أن يعتاد على نقص المواد الأساسية ولفترات طويلة، وتوزيع المواد الأساسية على السكان أثناء العمليات الحربية.

لقد جعلت السمات المذكورة أعلاه المجتمع الإسرائيلي مجتمعاً حربياً من نوع خاص حتى في ظل فترات الهدوء النسبي طويلة الأمد، وهذا المجتمع الذي اعتاد حياة الحرب والاستجابة لمتطلباتها، قد يجد أنه من الصعب عليه التعامل مع الحياة بعد انتهاء حالة الحرب وتوقف الصراع، إذا ما تم التوصل إلى سلام ما. وهذا ما يؤكده «يغال يادين» نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق،

(20) Israeli Society and its Defense Forces, pp.20-21.

وأحد أبرز رؤساء الأركان الإسرائيليين، وهو الذي وضع خطة الخدمة الاحتياطية في الجيش الإسرائيلي، قائلاً:

«خلف الأبعاد الأمنية الفعلية للصراع، تكمن اهتمامات غاية في الأهمية، ولا تطفو على السطح كثيراً، وبعضها يتمثل بالصعوبات المحتملة التي قد تترافق مع عملية السلام. كيف يمكن لمجتمع حارب طيلة ثلاثين سنة، وطوّر نظاماً أمنياً واعتبره قيمة القيم، أن يتعايش مع السلام؟»[21].

بل إن الأبعاد الأمنية للصراع العربي - الإسرائيلي تساعد السلطة الإسرائيلية في مجال التحكم بالتناقضات الداخلية:

1 - بين اليهود الشرقيين والدولة باعتبارها مؤسسة، إشكنازية يسيطر عليها اليهود الأوروبيون والأمريكيون.

2 - بين العناصر اليهودية العلمانية والمتدينة.

3 - بين المتطرفين والمعتدلين في الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية.

4 - بين العرب واليهود في فلسطين.

5 - أصبح الصراع العربي - الإسرائيلي مسرباً للعدوانية، لأن المشاعر العدائية تصبح في ظل استمرار الصراع مبررة أخلاقياً من قبل بعض الأطراف في المجتمع.

6 - ثمة ميل يتزايد اتساعاً داخل المجتمع الإسرائيلي لاعتبار الحرب بالنسبة لإسرائيل جزءاً لا يتجزأ من النظام العالمي، أو حتى من الطبيعة ذاتها.

---

(21) Aaron Kliemons, Ibid.
Paradoxes of Israeli Civilian - Military.

3

عسكرة المجتمع

لقد عمل بن غوريون على ترسيخ مكانة الجيش الإسرائيلي في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إسرائيل. وكان دائماً يطري عليه ويمتدحه قائلاً: إنه يجسد الكفاءة والإخلاص والإحساس العالي بالمسؤولية القومية.

وخلال فترة ما قبل قيام الكيان، كانت الوكالة اليهودية والهستدروت والهاغانا هي الركائز الثلاث للمشروع الصهيوني في فلسطين، وكان من الصعب الفصل بين أي منهم، لأن عملهم كان متكاملاً.

وعندما تسلم بن غوريون رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع عام 1948، صاغ علاقات الجيش بالمؤسسات المدنية بشكل يمكّنه هو وحده، باعتباره رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع، أن يشرف على كافة الشؤون العسكرية، ومن خلاله فقط تتم الصلات بين الجيش والمؤسسة المدنية. وبذلك، استطاع «بن غوريون» استغلال الجيش للضغط على «موشي شاريت» عندما تسلم الأخير رئاسة الوزارة وأجبر «موشي شاريت» على الاستقالة، وأُخرج نهائياً من الحياة السياسية الإسرائيلية.

ولدى تسلُّم ليفي أشكول رئاسة الوزارة، تزايد دور الجيش وتوطدت علاقاته بالمؤسسة المدنية. ولقد لعب يتسحاق رابين، كرئيس للأركان، دوراً بارزاً في ذلك. وأصبح رئيس الأركان يحضر اجتماعات لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، واجتماعات الحكومة أحياناً.

وفي عهد أشكول تطورت الصناعات العسكرية، وخصصت لها موارد مالية ضخمة جداً، ورغم التبعية الظاهرية للجيش بالنسبة للمؤسسة المدنية، إلا أن العلاقات بين الطرفين كانت بين طرفين متساويين.

وبعد عدوان حزيران/ يونيو 1967، أصبح الجيش هو القناة الرئيسية لحمل الأشخاص لاحتلال المناصب العليا في الحكومة. وكان لهذا تأثير واضح في الحياة السياسية عشية حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام 1973، ووصلت العلاقات بين المؤسسة العسكرية والحكومة درجة غير عادية من الإخلال بالتوازن حتى بالمعايير الإسرائيلية ذاتها، وذلك بسبب تزايد الاتصالات بين كبار الضباط والوزراء، ومحاولات الضباط التأثير على الوزراء وأعضاء الكنيست.

وبعد تسلم الليكود ازداد دور الجيش، أصبح رئيس الأركان مثلاً ليس مسؤولاً فقط عن العمليات الحربية، بل في بعض الأحيان ناطقاً باسم المؤسسة العسكرية بأكملها، وامتد تأثيره ليشمل مجالات السياسة الخارجية والاقتصاد وحتى التربية. أما وزير الدفاع، فهو الشخصية الثانية في الحكومة بعد رئيس الوزراء[22].

ومن جهة أخرى، يتبلور في إسرائيل تجمع توليتاري تطغى عليه الصبغة العسكرية، وتعطى للمصالح العسكرية في هذا التجمع الأولوية وذلك مقابل تقليص الخدمات الأخرى مثل الصحة، التعليم، الرفاه الاجتماعي، الإسكان... إلخ. وتفرض على الناس أعباء ثقيلة لا مثيل لها في أي مكان آخر في العالم. إذ يدفع كل شخص ضريبة أكثر من 50% من دخله.

وقد أشار الدكتور «موشي ليساك» إلى مسألة تزايد العسكرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وقال: إن الحدود الفاصلة بين القطاعين المدني والعسكري آخذة بالتضاؤل والاضمحلال لصالح القطاع العسكري.

أما الدكتور «دان هيروفتش»، فيقول في كتابه «قوات الدفاع الإسرائيلية، جيش مدني في مجتمع عسكري جزئياً»:

(22) Relations: An Introduction. By Moshe Lissk, Israeli Society and its Defense Establishment.

«ثمة ميل نحو تحويل النظامين المدني والعسكري في المجتمع الإسرائيلي على الأسس التالية[23]:

1 ـ أنماط العمل التنظيمية (الخصوصية) اللاإستبدادية.

2 ـ تصور نخبوي للظروف الدولية.

3 ـ ثقافة سياسية سائدة.

4 ـ عسكرة محدودة لبعض المؤسسات المدنية، وتحويل بعض المؤسسات العسكرية إلى نمط قريب من المؤسسات المدنية».

4 ـ بالنسبة للأفراد في المجتمع:

تعتبر الخدمة العسكرية أكبر تجربة حياتية يعرفها الإنسان في التجمع الاستيطاني، فهو يمضي الفترة ما بين الثامنة عشرة وحتى الحادية والعشرين في الخدمة الإلزامية، فيما تمتد خدمة النساء مدة سنتين اثنتين فقط. وبعد ذلك يطلب إلى الفرد أن يخدم في الاحتياط مدة 40 يوماً سنوياً حتى يبلغ الخامسة والثلاثين، ومن ثم تخفض المدة إلى شهر كامل سنوياً حتى يبلغ الخامسة والخمسين من العمر. أما الخدمة الاحتياطية للنساء، فهي انتقائية وتتوقف بعد مجيء المولود الأول.

وخلال هذه الفترة من حياة الفرد، أي ما بين سن الثامنة عشرة والخامسة والخمسين، يتلقى الفرد كماً هائلاً من مقولات الدين الأمني الإسرائيلي، مثل «إسرائيل تعيش حالة صراع طويلة حول شرعية الوجود... وثمة تهديد فعلي بتدميرها... وهذا التهديد ليس موجهاً لنظام الحكم، بل لكافة المؤسسات الداخلية، إن لم نقل إلى الكيان ككل...»[24].

ولو أضفنا إلى ذلك، ما تلقاه الفرد أثناء وجوده على مقاعد الدراسة من مفاهيم تربوية عنصرية مستمدة من التوراة والفكر الصهيوني توظف لتوجيه

(23) Dan Horowitz, The Israeli Defense Forces, A Civilized Military in a Partially Militarized Society, a chapter in Israeli Society and Its Defense Forces, Ibid.

(24) المصدر السابق.

حقد الفرد في المجتمع الإسرائيلي على العرب باعتبارهم مصدر الخطر المحدق بإسرائيل، لأدركنا سبب تزايد الظواهر في إسرائيل، ومن بينها: تزايد مظاهر الفاشية في المجتمع الإسرائيلي ككل، سواء من خلال الانتساب أو التأييد للعصابات والأحزاب الفاشية مثل كاخ، غوش إيمونيم، هتحيا، موليدوت، تسومت، والحركات الفاشية السرية الأخرى التي تلقى الدعم والتأييد من الجيش الإسرائيلي بشكل خاص.

ويوفر احتلال إسرائيل للأراضي العربية المحتلة التربة الخصبة لنمو الفاشية، إذ يتدرب الجنود يومياً على عمليات القتل والاعتقال والتعذيب وهدم المنازل، وذلك بإشراف مباشر من الضباط والقادة الذين يصدرون الأوامر اليومية بهذا الصدد، بهدف خلق جيل من المحاربين يجد في العنف تجسيداً لحياته ووجوده.

لقد تحدث عن هذه القضية موشي دايان، وزير الحرب الأسبق فقال:

«إن إسرائيل مرتكزة على السيف، هذا هو قدر جيلنا. . . . خيار حياتنا، أن نكون مستعدين ومسلحين، أقوياء وغلظاء، وإلا سوف يسقط السيف من قبضتنا وحينئذ تنتزع حياتنا».

ولخلق الكراهية تجاه العرب يبرر الإسرائيليون أوامرهم الصريحة بارتكاب الفظائع بالقول: «إن العرب ليسوا بشراً بل أشياء تجب إزالتها. . . العرب حشرات»، هذا ما يقوله «ارئيل شارون». أما «روفائيل إيتان» رئيس الأركان السابق، ورئيس حركة تسومت:

«العرب يجب ألا يكونوا أكثر من حشرات مخدرة لا تستطيع أن تتجاوز عنق الزجاجة للخروج منها».

ويقول قائد قطاع غزة السابق:

«العرب بكتريا محلية. . . اضربوا العرب كبيراً وصغيراً، أطلقوا النار على اليد التي تلقي الحجارة. . .».

ويجري تدريب الجنود على عمليات الانتقام، لأنها:

«تشكل الأعمال الانتقامية بالنسبة لسياستنا الخارجية ما تشكله البلازما بالنسبة للدم، فهي قبل كل شيء تساعدنا على إبقاء المواطنين والجيش على درجة عالية من الاستنفار».

ولعلنا نجد في الشهادة التي أدلى بها أحد الجنود الذين شاركوا في قمع مظاهرة بمدينة رام الله يوم 18-2-1981 وقد أوردها الدكتور «إسرائيل شاحاك» في أوراقه تقول الشهادة:

«قام ضابط العمليات في الوحدة بإعطائنا التعليمات باستخدام الحد الأقصى من العنف. ثم انتقل إلى كيفية استخدام الهراوات لتكسير الأيدي والأرجل. ولما كان في الوحدة بعض العناصر حديثي الخدمة، قام الضابط بتمثيل حركات عملية تكسير العظام بدقة، وحدد العظام التي يجب أن تكسر، ثم أعطى جنوده أوامر صريحة بضرورة تكسير عظام المتظاهرين».

ومن الطبيعي جداً أن يزداد التوتر الذي يشعر به الفرد نتيجة لإحساسه بفقدان الأمن الفعلي واليقين فيما يتعلق باستمرار بقاء الكيان الصهيوني ككل، ويتم التعبير عن هذا القلق والتوتر من خلال تزايد مظاهر العنف داخل المجتمع الصهيوني ذاته، سواء من خلال انتشار الجريمة الفردية، أو الجريمة المنظمة، أو حالات الانتحار والإصابة بالأمراض النفسية. وفي هذه الأثناء تتحول بعض الأشياء إلى نقيضها؛ فاندماج الفرد بشكل كلي بمجتمعه ظاهرياً قد يتحول إلى مزيد من عزلته وانطوائه على نفسه، وعندما يراد من الأمن أن يكون كل شيء، فقد يصبح لا شيء.

وكما أوضحنا، فإن الدين الأمني ليس شيئاً طارئاً أو وافداً بالنسبة للصهيونية، بل هو جزء لا يتجزأ من بنيتها، وهو كذلك تعبير عن نظرتها العرقية والعنصرية تجاه الشعوب الأخرى، وتفعل ذلك، استناداً إلى أنهم «شعب الله المختار»، ولذلك يتصرفون بالعالم وكأنه لعبة في أيديهم، لأنهم يزرعون في عقول يهود العالم أن كره العالم لهم لا نهاية له، وأنه لا سلام لهم على هذه الأرض.

أما بالنسبة للعرب، فالحرب الصهيونية ضدنا، كما تقول الصهيونية وتعترف على لسان مسؤوليها، لن تنتهم حتى ولو وقّع العرب أكثر من معاهدة صلح مع الكيان الصهيوني. يقول مناحيم بيغن في مقدمة كتابه «الثورة» قصة الأرغون:

«لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيلي ولا في أرض إسرائيل، ولن يكون هناك سلام للعرب ولا في أرض العرب، وسنستمر في تحرير وطننا من نير العرب لإنقاذ أرضنا كلها من نيرهم، وستستمر الحرب بيننا حتى ولو وقّع العرب معنا معاهدة صلح»[25].

---

(25) Menahem Begin, The Revolt, The Story of The Irgun, Ibid.

الفصل الخامس

الحاخامية في خدمة
العدوان والتوسع


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

1

الحاخامية في خدمة التوسع والعدوان

لئن كانت الرأسمالية تحاول أن تعيد نظام العبودية بدون مالكي العبيد، كما يقول «أدولف فاغنر»، فإن الصهيونية تحاول أن تبعث من القبور مقولة «القديس المحارب»، وهو النموذج والمثل الأعلى للإنسان الذي تريد أن تخلقه من خلال الاعتماد على الأساطير والمقولات الدينية المستمدة من التوراة والتلمود والمشنار؟. . . . إلخ[1]، والتي تعود إلى فترات مغرقة في القِدم، حين كان اليهود عبارة عن مجموعات تنضوي تحت أطر تنظيمية شبه عسكرية، قوامها الفلاحون ومربو الماشية، الذين لم تكن ثمة علاقة تربطهم بالبداوة التي وصلت إليهم في فترة لاحقة ومتأخرة بعد احتكاكهم بالشعوب التي وقفت تدافع عن نفسها في وجه الغزو اليهودي، ولم تكن القوانين اليهودية في ذلك الوقت قوانين صحراوية، بل هي مستمدة من القوانين البابلية وتشريعات حمورابي، وفي تلك الحقبة من التاريخ، لم يكن لدى اليهود هيئة قضاء رسمية، وبدلاً من ذلك كان بعض الأبطال الذين تحيط بهم هالة من التبجيل والتمجيد، ويساعدهم عدد من الواعظين، هؤلاء كانوا يقومون بمعاقبة من يخالف قانون الحرب أو تعاليم

---

(1) Max Weber, Ancient Judaism, Translated into English and Edited by Hans H. Gerthand and Don Martin Dale, The Free Press, Glencoce, Illinois, U.S.A, 1952, p.XI.

يهوه وطقوسه، والتي تقضي بتصفية كل من يخالف تعاليم «يهوه»[2].

ولما كانت القبائل اليهودية تشكل جماعات من الغزاة، فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على الجنود المقاتلين الذين شكلوا الجيش «جداع»، وهؤلاء المقاتلون كرسوا أنفسهم لخدمة يهوه القائد الفعلي للحرب، الذي يضفي مسحة قدسية على كل حرب تخوضها قواته. ولدى تقسيم الغنائم، كان يشترط تقديم جزء من الأسرى أضاحي بشرية يذبحون لإرضائه[3].

نشوة المقاتل:

وعندما تندلع الحرب، تصيب المقاتل اليهودي النشوة، وهي في الواقع جزء لا يتجزأ من نشوة الجماعة اليهودية المقاتلة، وكانت تتم فيها بعض طقوس الحرب اليهودية، مثل أكل اللحم البشري النيّء وشرب الدم. وبعد ذلك، يندفع المقاتل وهو يقفز بين الأعداء، وفي غمرة الهيجان والتعطش للدم يقتل أكثر من نصفهم، وهو لا يدرك ذلك. والمثال الحسي الملموس لهذا المقاتل اليهودي الأسطوري، شمشوم، «أسطورة الشمس»، فعندما كانت تسكنه روح الرب يهوه، كان يقتل الأسود، يحرق الحقول، يدمر المنازل، وبأية أداة تلتقطها يده، يذبح أعداداً هائلة من البشر، وفي هذه الأثناء تسيطر عليه حالة من الغضب الأعمى[4]. وتذكر التوراة أن شمشوم قتل مئة من أعدائه بواسطة فك حمار!!

ويُنتقى المقاتل من بين أفراد الأسرة، وكثيراً ما يكون أكبرهم، وقد وجدت عادة لدى اليهود أن تقوم الأسرة بتقديم كبير أبنائها قرباناً للآلهة، وبعد ذلك بفترة وجيزة أصبحت كل عائلة تكرس أكبر أبنائها ليكون مقاتلاً. وكان هؤلاء المقاتلون يتدربون في معسكرات خاصة يكرسون أنفسهم للحرب، وهم ممنوعون من تعاطي الخمرة ومعاشرة النساء[5].

---

(2) Ibid., p.XVII.

(3) Ibid., p.XXII

(4) Ibid., pp. 127-128

(5) Ibid.

ومن هؤلاء الجنود كان قادة القبائل اليهودية ينتقون، ولم يكن الأنبياء الأوائل بعيدين عن الجنود، إذ كانت مهمتهم تنحصر في تحريض الجنود على الحرب والغزو ووعدهم بالنصر. وتتحدث الكتب الدينية اليهودية عن شاؤول الذي انهمك في صراع مرير مع داوود. وعندما سكنت شاؤول روح الرب يهوه، وجد نفسه فجأة نبياً. فتملكته النشوة، وخلع ملابسه، ومشى عارياً وتحدث كالمجنون مدة يوم كامل قبل أن ينهار. وعندما تناهت إليه أنباء حافيتش ومفاوضاته حول الاستسلام لداوود، دخلت شاؤول مرة أخرى روح يهوه، وسيطر عليه غضب مقدس، فقطع الثيران إرباً إرباً، ودفع إسرائيل كلها لخوض غمار حرب مدمرة[6].

وتتحدث التوراة عن إيليا، وهو نبي يهودي في القرن التاسع قبل الميلاد، فقد كان الملك «أجاب» يصفه بأنه صانع الشر ومدمر الشعب، وبعدما سكنته روح يهوه، استطاع إلحاق الهزيمة بكهنة بعل. ويعرّفه التاريخ التوراتي بأنه تصارع مع الإله يهوه ذاته وتمكّن منه ووبّخه. ويعترف الإله يهوه بهذا الشيء، وأصبح إيليا جديراً بعيد الطهارة، أو الغطوس، تماماً مثل موسى، وهو في الوقت نفسه أحد أعظم السحرة، وقد اصطحبه يهوه معه في رحلته إلى السماء.

هذه هي باختصار أسطورة القديس المحارب والتي استخدم الدين اليهودي لتجسيدها، ومن خلال ذلك وضعت المؤسسة الدينية اليهودية كل ما لديها من إمكانات لخدمة أهداف الحركة الصهيونية، وخصوصاً مواجهة يهود العالم، وممارسة مختلف أشكال القمع ضدهم. ومن خلال ذلك تجسد التحالف بين المؤسسة الدينية والقيادة الصهيونية، وبشكل خاص مع أداة العدوان والتوسع، الجيش الإسرائيلي الذي يعتبر المؤسسة الدينية والأحزاب الدينية من أكبر مؤيديه على الدوام.

---

(6) انظر سفر التثنية 33:16، وسفر الأعداد 7، وكذلك سفر صموئيل 1:10، بصدد مسألة النبي إيليا.

2

المؤسسة الدينية

وسياسة انتزاع التنازلات

لن نحاول الولوج في الجدل الدائر الآن حول أصول التوراة ونشأتها، ومكان ظهورها، وجغرافيتها، سواء كانت فلسطينية أم من بلاد عسير، كنعانية أم بابلية، وبدون تقصي تأثيرات حضارة بلاد ما بين النهرين وتشريعات حمورابي على التوراة: ما مدى صلة القرابة حضارياً بين شخصيتي جلجامش وشمشوم؟ لماذا اقتصرت التوراة في علاقتها مع الإنسان على فرض الطاعة، طاعة الفرد والجماعة للرب يهوه اتقاءً لغضبه وطمعاً بمرضاته وثوابه، وحصرت عمليات الثواب والعقاب والخلاص الروحي في العالم الدنيوي، ولم تتطرق إطلاقاً للآخرة؟ ولا نظن أن أحداً من الباحثين في التوراة عثر على أي نص يشير، بهذا الشكل أو ذاك، إلى الآخرة، من قريب أو بعيد.

ورغم الأهمية القصوى لهذه المواضيع، لما تلقيه من ضوء على كثير من الأمور التي لا تزال حتى تاريخنا هذا مبهمة، أو غير واضحة، شأنها شأن الكثير من جوانب تاريخ منطقتنا القديم والوسيط والحديث، سنتوقف عند ناحية مهمة جداً تستوقف كل الباحثين في شؤون الكيان الصهيوني، وهي أن للدين مكانة غير عادية، لا مثيل لها في أية دولة أخرى. بل خلافاً لكل الدول، تزداد قوة الدين والمؤسسة الدينية والأحزاب الدينية يوماً بعد يوم، وتستطيع أن تعكس تزايد قوتها المضطردة باستمرار من خلال فرض المزيد من التنازلات لمصلحتها من قِبل الأحزاب الإسرائيلية الكبرى، المعراخ والليكود، التي تدعي أنها علمانية.

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل، شاركت الأحزاب الدينية وعلى رأسها المفدال بكافة الائتلافات الحكومية سواء مع المعراخ أو مع الليكود. ومنذ البداية اتسمت الأحزاب الدينية بالعمل على زيادة نفوذها، وانتزاع المزيد من التنازلات من الأحزاب الصهيونية الأخرى، ويمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:

★ أثناء الحكومة المؤقتة التي شكلها «بن غوريون» في أيار 1948، استطاعت الأحزاب الدينية انتزاع قانونين هما: قانون أيام العطل الذي اعتبر السبت والأعياد اليهودية أيام عطل في الدولة، وقانون الطعام الحلال للجنود في الجيش الإسرائيلي.

★ في 1949/8/10، صدر قانون الكنيست الذي نظم ميزانية الخدمات الدينية اليهودية، ويقضي «أن تتحمل الدولة ثلث النفقات، أما الثلثان الآخران فتتحملهما السلطات المحلية».

★ في 1949/9/21 ، حصلت الأحزاب الدينية على حقها في الإدارة الذاتية الكاملة فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية التابعة لها.

★ في 1951/5/15، أكّد القانون الصادر عن الكنيست أن يوم السبت هو يوم العطلة، وأجاز القانون لوزير العمل، إذا رأى ضرورة تتعلق بحماية أمن إسرائيل والدفاع عنها، أو ضرورة حماية الاقتصاد وما شابه ذلك، الطلب إلى العمال أن يعملوا يوم السبت.

★ في 1952/6/27، أقرّ الكنيست قانون المحاكم الحاخامية، وفي 1953/8/26، لم تستطع الأحزاب الدينية استصدار قانون يمنع تشريح جثث الموتى، فقد تضمن القانون إمكانية القيام بذلك إذا توافرت موافقة خطية من المتوفى بالذات.

★ وفي 1953/8/16، صدر قانون الخدمة الوطنية للنساء المتدينات الذي نص على ضرورة الخدمة 22 شهراً.

★ في 1955/5/16، صدر قانون المحاكم الحاخامية الذي تضمن الطلب إلى رئيس الحاخامية تأييد دولة إسرائيل وسياستها طيلة فترة بقائه في منصبه.

وفي هذه الفترة استغلت الحكومة الإسرائيلية المؤسسة الدينية لإثارة الهستيريا الدينية لمواجهة تصاعد النضال الطبقي، وخصوصاً بعد المظاهرة التي شهدتها تل أبيب، والتي اشترك فيها 10 آلاف عامل يحملون شعارات «نريد الخبز. . . العمل. . . السلام». وفي الفترة ذاتها أيضاً، بعد الكنيست الثالث، صعّدت الأحزاب الدينية الدعوة للقيام بأعمال عدوانية ضد الأردن، وخصوصاً مذبحة قبية، والهجمات على مواقع الجيش السوري في طبريا، وكذلك التحضير للعدوان الثلاثي على مصر.

وأثناء الكنيست الرابع، تعهد حزب أغودات إسرائيل، لقاء تعاون «بن غوريون» معه، أن يسعى لزيادة المهاجرين إلى إسرائيل من الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية. وفي الفترة ما بين (1965-1966)، وإزاء ارتفاع نسبة البطالة التي وصلت إلى 30 ألف عاطل عن العمل، وبلغت النسبة في بلديات ومدن التطوير نحو 60% في هذه الفترة، عملت الأحزاب الدينية على تأجيج روح التعصب الديني، فأعلن وزير الأديان «إسحاق رافائيل» أن الهدف هو جعل إسرائيل دولة التوراة ويوم السبت. وإبان التحضير لعدوان يونيو 67، الذي باركته الأحزاب الدينية جميعها بلا استثناء، ازدادت المساعدات للأحزاب الدينية، وقدمت حكومة «ليفي أشكول» مساعدات إضافية للمدارس الدينية التي كان يدرس فيها حوالى ثلث الطلاب في إسرائيل، حتى أصبحت وزارة الأديان كما يقال «دولة ضمن الدولة».

وفي مايو 1969، عندما لم تستطع «غولدا مائير» إحراز الأغلبية المطلوبة لتشكيل حكومتها إلا بالائتلاف مع الأحزاب الدينية، اشترط حزب المفدال منع البث التلفزيوني مساء يوم السبت، واضطرت غولدا مائير للرضوخ أمام هذا الطلب، فأرسلت إلى هيئة التلفزيون الإسرائيلي تعلمهم أن القانون الذي أصدرته الحكومة الإسرائيلية حول البث التلفزيوني أثناء الانتخابات قد ألغي، وأنه بدءاً من تاريخه يعمل بالقانون الجديد. ولكن بعد فترة وجيزة، أعيد البث التلفزيوني، وذلك مقابل إصرار المفدال على احتلال منصب نائب وزير التربية[7].

(7) لمزيد من المعلومات راجع بحثنا «الدين والدولة في الكيان الصهيوني»، المنشور في مجلة الأرض=

وعشية انتخابات الكنيست العاشر عام 1981، استطاعت الأحزاب الدينية، من خلال الاتفاق الائتلافي الذي وقعته مع الليكود أن تفرض قدراً كبيراً من شروطها، حيث تضمن هذا الاتفاق أكثر من 50 مادة من أصل 83 مادة، تتعلق بمطالب الأحزاب الدينية. وقد نصت المادة الأولى من هذا الاتفاق على:

«اعتبار بنود الاتفاق الائتلافي للكنيست التاسع سارية المفعول، ويتضمن الاتفاق المذكور ثلاثاً وأربعين مادة، سبع وثلاثون منها تعطي الهيمنة الكلية للأحزاب الدينية، وتخولها فرض ما تؤمن به على غيرها، وتلزمها التقيد به. إن أقل ما يقال عن هذه البنود السبعة والثلاثين أنها «تريد تحويل إسرائيل إلى غيتو»[8].

ولقد اشترطت بقية المواد في الاتفاق الائتلافي الجديد عدم التمييز بين المتدينين وغيرهم في الخدمات والميزانية والتعليم (المادة الثانية)، والحرص على تطبيق القانون الديني في المسائل التي سيتم دمجها بقوانين السلطات المحلية (المادة الثالثة).

كما احتل التعليم مكانة مميزة في الاتفاق الذي طالب بتشكيل لجنة حكومية للتخطيط والموازنة والإشراف على المدارس الدينية، وتطبيق شروط المدارس الداخلية العسكرية والعامة على المدارس الدينية العسكرية، والسماح للرياضيين المتدينين بالاشتراك بالمباريات مع مراعاة حرمة يوم السبت، والاعتراف بمؤسسات ومدارس التلمود من قبل وزارة المعارف، وإعفاء مدارس التبشير الديني من تطبيق إلزامية التعليم، ومساواة طلاب المدارس الدينية مع غيرهم، وأخذ متطلبات أغودات إسرائيل بشأن التعليم في الحسبان. وفي انتخابات الكنيست الثانية عشرة التي جرت في أواخر عام 1988، أثبتت الأحزاب الدينية قوتها، وقد علق موشي إيشون، في صحيفة هاتسوفيه الناطقة بلسان حزب المفدال قائلاً: «إذا كان هناك فائزون في معركة الانتخابات التي جرت، فإن وسام الفوز هو من نصيب الأحزاب الدينية. وإذا كان هناك خاسرون، فإن

= للدراسات الفلسطينية، السنة التاسعة، العدد الخامس، 1981/11/21، ص 29-30.

(8) David M. Zohar, The Political Parties in Israel, New York, pp.104/106.

الخاسرين الأساسيين هما الليكود والمعراخ على حد سـواء». هذا عـلى الرغم من أن خسارة المعراخ واضحـة للعيان وكـذلك، فـإن اليسار المتـطرف الذي اعتـاد الظهور بمظهر الممثل لأغلبية الشعب في مجـالات الاعتقاد والآراء، قـد لحقت به الهزيمة[9].

ولا يمكن أن تكون هذه التنازلات التي تقدمها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة للأحزاب الدينية مجانية، فالدين والأحزاب الدينية والمؤسسة الـدينية تلعب دوراً كبيـراً جداً في محـاولة إخـراج الإنسان اليهـودي من الحياة اليـومية وإبقـائه تحت سيطرة الصهيونية. كما أن الدين أدى، ولا يزال، خدمة للصهيونية، لدرجة أننا لو جردنا المقولات الدينية من الايديولوجيات الصهيونية، لمـا بقي لها مـا يميزهـا عن غـيرها من الايـديـولـوجيـات الأوروبيـة العنصريـة التي ظهـرت في القـرن التاسع عشر.

(9) «شولاميت الوني»، رصد إذاعة إسرائيل، 1977/9/19.

3

الدين
والايديولوجية الصهيونية

في أي مجتمع طبقي، تكون الدولة وسيلة لغاية، وليست غاية بذاتها، إنها الإطار الذي تفرض من خلاله الطبقة المسيطرة إرادتها وتضمن سيطرتها واستغلالها لكل الطبقات الدنيا، وتشهر كافة مؤسسات الدولة الأخرى أدوات قمع في وجه القوى المضادة. ولتبرير هذا الوضع المتميز، تلجأ عادة إلى فرض فلسفتها كأيديولوجية للمجتمع، تجعلها بقوة القانون، ويجري على أساسها تقييم الخير والشر.

والصهيونية، التي ظهرت كأيديولوجية للبورجوازية اليهودية الوسطى في أوروبا، وكتعبير عن خوف هذه الفئة الاجتماعية والصهيونية الدينية المنضوية تحت لوائها من الاندماج الحتمي لليهود، ولا سيما الكادحين منهم، وانصرافهم عن سلطة الحاخامية، اعتمدت وبشكل كبير جداً على الخطاب الديني الذي يشكل مادتها الأساسية، لدرجة أننا إذا جردنا الايديولوجية الصهيونية من مادتها الدينية، لم يتبق منها أي شيء يميزها عن التيارات الفكرية التي سادت في أوروبا في القرن التاسع عشر.

وهكذا، اعتبرت الصهيونية التوراة «روح الأمة اليهودية»، وأكّد منظرو الصهيونية أن اليهودية لا يمكن أن تزدهر إلا في الدولة اليهودية بالذات. وكذلك، فإن أكثر الفئات اليهودية رجعية في العالم والتي كان الحاخامون يشكلون بوقها المخلص، كانت على الدوام ترى في الدعاية المنطلقة من «روح

التوراة» أداة قوية ومؤثرة في السيطرة على أوسع الجماهير اليهودية وتسخيرها لخدمة الأهداف الصهيونية الصرفة.

ولإخفاء طابعها السياسي الصرف وجوهرها الرجعي، تردد الصهيونية جملة من المزاعم الدينية عن الشعب اليهودي المختار، شعب التوراة، وتطالب ببناء الدولة الدينية على أساس التقاليد الدينية للماضي البعيد[10]. لقد استغلت الصهيونية الدين لفبركة ايديولوجيتها، فبالإضافة إلى ترديد شعارات «شعب الله المختار»، وما إلى ذلك من مزاعم عنصرية عرقية تتعلق، كما يقول الحاخام اليهودي، هليفي، «بالخصوصية العرقية والبيولوجية للعرق اليهودي، وللجغرافيا اليهودية وللطقوس الدينية اليهودية... إن مشيئة الله هي التي حفظت اليهود وأبقتهم على حالهم»[11].

وفي عصر ظهور الدول القومية، أخذ رجال الدين اليهودي على عاتقهم تسهيل مهمة الحركة الصهيونية في تجميع اليهود وتسخيرهم لخدمتها، بالادعاء بوجود «الأمة اليهودية والقومية اليهودية». يقول الحاخام «كوك»: «إن جوهر الصهيونية هو ديني... إنها الحركة القومية لإسرائيل الكبرى». ويردد الحاخام «يحئيل ميشيل» هذه المزاعم ويؤكد:

> «أن اليهودية منذ أن وجدت، أخذت شكل الديانة القومية، وما هو بالنسبة للشعوب الأخرى عناصر قومية: اللغة والأرض هي جزء من ديانتنا، وفي الوقت نفسه تعتبر الشعائر الدينية جزءاً لا يتجزأ من وجودنا القومي، لا يمكن فصل الدين عن القومية... فهما مرتبطان بعضهما ببعض، إن الدين هو قلب وروح كل يهودي.. هو مصدر قوة للروح القومية».

واستخدم الحاخامون لتوجيه أنظار اليهود في الشتات نحو فلسطين لتسهيل مهمة الصهيونية ومشروعها الاستيطاني في فلسطين. فقد أعلن الحاخام كوك أن الكيان الوحيد والأوحد لليهود... هو إسرائيل و«بدون أرض إسرائيل لا يمكن

(10) هاتسوفيه 1988/11/4.

(11) الجوهر الرجعي للصهيونية، مجموعة مقالات، موسكو، دار التقدم، 1975، ص 47.

التفكير بالحياة اليهودية. . . إن الإرادة الإلهية هي التي أبقت الشعب اليهودي على قيد الحياة». ويضيف الحاخام كوك قائلاً:

«إننا منفيون من أرضنا وبلدنا، إن الخلاص لن يكون إلا بإعادة بناء الأمة واستعادة وطنها، وسيكون الخلاص تجديداً لحياتنا القومية باستعادة طهارة الأرض. إن الخلاص هو نهاية النفي، إن الاستيطان في أرض إسرائيل هو تحقيق لواجب ديني وتلبية لشروط وراثة الأرض التي وعد الله بها شعب إسرائيل. إننا يجب ألا نتركها في أيدي الأمم الأخرى أو نهجرها لتصبح يباباً. إن من يهجر أرض إسرائيل ويسكن خارجها يعتبر من عبدة الأوثان. إن الاستيطان في أرض إسرائيل يعادل في أهميته كل تعاليم التوراة»[12].

لقد كانت أحاديث الحاخام كوك وغيره الأساس الديني «قانون العودة» الذي أقره الكنيست الصهيوني في الخامس من يوليو 1950، وينص على «أن إسرائيل مفتوحة لكل يهودي يريد العودة إليها والاستقرار فيها».

ويشرح الحاخام «شموئيل موهيلفر» المشروع الصهيوني في فلسطين فيقول:

«عندما تتحدث التوراة عن أرض إسرائيل، فإن ذلك يعني أنه يتوجب علينا أن نشتري الأرض ونزرع الحقول ونبني البيوت. . إن وجود الأمة يعتمد إلى حد بعيد على قدرتها على بناء أرض إسرائيل»[13].

لقد كانت الصهيونية الدينية أكثر الأسلحة الفتاكة التي استخدمت لتضليل اليهود وتسخيرهم لخدمة المشروع الصهيوني، خصوصاً وأن قسماً كبيراً من اليهود يعيش في بلدان لم تتجاوز بعد العلاقات الأبوية، وقد اعتادت إطاعة التقاليد الصارمة. وهكذا، اتخذت الصهيونية من الدين اليهودي هوية قومية لإسرائيل واعتبرت وجودها إرادة إلهية. يقول الحاخام سولو باتشيك:

---

(12) Yoseph Torosh, Religious Zionism, Jerusalem, 1975, pp.160-161.

(13) Encyclopedia of Israel and Zionism, New York, 1971, p.951.

«إن أحد الأبعاد الفورية لوجود دولة إسرائيل هـو التأكيـد أنها تعبير عن الإرادة الإلهية في إعطاء قيمة متجددة لحيـاة اليهود في التـاريخ، ومن هنـا يأتي المغـزى الأخلاقي الـذي يتطلب وجـود جيش يهودي قوي، جيش دفاع إسرائيلي يصرخ بوجه العالم[14].

وبعد قيام الكيان الصهيوني، تعتبر إسرائيل من يرفض اليهودية كهوية قوميـة للدولة، ويعارض الحق التاريخي لليهود في فلسطين، عدواً يتم تجـريده من كـل حقوقه، وتبرر كافة الأعمال القمعية والإرهابية بحقه. ولقـد جاء في قـرار رئيس المحكمة العليا في إسرائيـل بصدد رفض اشـتراك حركـة الأرض في الانتخابـات الإسرائيلية عام 1965، ما يلي:

«من واجبنا أن نعطي الانتباه الخاص إلى الـوجه القـانوني للقضيـة، ولهذا السبب لا بد من القول أنه لا يمكن أن يكون هناك أدنى شـك أن إسرائيل ليست دولة ذات سيـادة، لأن إسرائيل وجـدت كدولـة يهـودية في أرض إسرائيـل. إن إقامـة دولة إسرائيـل يشـير إلى الحق التاريخي الطبيعي للشعب اليهـودي كأي شعب مستقـل ضمن إطار دولتـه، إن قائمـة يرفض أعضـاؤهـا المبـادىء السـابقـة لا يمكن أن تشارك في الانتخابات»[15].

وكما أفزعت حركة الاندماج النشـطة التي شهدتهـا تجمعات اليهـود في أوروبا في القرن التاسـع عشر الحركـة الصهيونيـة وحلفاءهـا الحاخـامات اليهـود، فقد أعلنوا حرباً غير مقدسة ضـد الحركـة، وقال «مـاكس نورداو» عن اليهـود الذين اندمجوا . . . «إننا نأسف على شيء واحد فقط، وهـو أن الدم اليهـودي سيجري في عروقهم، والحق أنه ليس دماً بل غسالة»[16]. كذلك، وقف زعماء الصهيونية الدينية يسممـون أذهان اليهـود بأفكـارهم العنصرية لمحـاربة الانـدماج. يقـول الحاخام «ليف هاكوهين ميمون»: « . . . إن الشعب اليهودي هو خارج القوانين

---

(14) المصدر السابق.

(15) «يديعوت أحرونوت» 1978/8/11.

(16) الجوهر الرجعي للصهيونية، مصدر سابق، ص 75.

الاجتماعية وليس كغيره من الشعوب التي تتأثر بالظروف والقوانين المادية»[17].

ويعلن حاخام آخر عداءه ليس للاندماج فحسب، بل ولأي تغيير في حياة اليهود:

«يجب على الشعب أن لا يختلط بغيره، لا يغير لغته.. وطالما أننا نناديي أبناءنا بأسماء يهودية، فإننا نعطيهم مناعة ضد الاختلاط بالغير. وطالما أننا لم نغير اللباس اليهودي، أو نمط المعيشة اليهودي، ونحترم التقاليد القديمة، بكل شرائعها وعاداتها، نعطي المناعة لأبنائنا ليعيشوا بعدنا كيهود»[18].

ولم يردد «ناحوم غولدمان» الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي أقوال هذا الحاخام فقط، بل دعا لكي تبقى حياة العصور الوسطى، وما سبقها سائدة بين اليهود، حيث قال عام 1964:

«يجب أن نشن صراعاً وجهاً لوجه مع العالم غير اليهودي، وحتى داخل الطائفة اليهودية من أجل حقنا في العيش كأقلية منعزلة، كأقلية لا تكيف نفسها مع أي نظام، أو أي بلد، كذلك يجب علينا أن نوجه الشعب اليهودي في إطار جهودنا ونضالنا من أجل حقنا المتميز في أن نظل الشعب اليهودي نفسه، الذي كان موجوداً خلال آلاف السنين، وأن نظل شعباً موحداً حول مركزنا إسرائيل»[19].

---

(17) المصدر السابق، ص 56.

(18) Yoseph Torosh, Ibid., pp.73-74.

(19) «هاتسوفيه» 1978/2/17.

4

دور المؤسسة الدينية

في الكيان الصهيوني

إضافة إلى سلطتها الدينية في مجال الإشراف على العبادة في الكنس اليهودية، والسيطرة على القضاء الديني، تتمتع الحاخامية اليهودية بصلاحيات واسعة جداً في مجال التعليم. وتهتم الحاخامية الإسرائيلية وأحزابها الدينية بالتعليم، وذلك لأنها عن طريقه تستطيع تلقين الطلاب مبادىء الصهيونية وتسخيرهم لخدمة أهدافها مستقبلاً. ويطالب الحاخام «يوسف شترنشتاين» أن يتم زرع الصهيونية في عقول الأطفال. يجب أن يتعلم الأولاد الصهيونية.. لا اليهودية فقط[20]. وفي سبيل تنفيذ هذا الهدف الواضح والصريح، تسيطر وزارة الأديان على شبكة من المدارس يدرس فيها حوالى ثلث الطلاب في إسرائيل. ويزيد عدد ساعات المواد الدينية في المدارس الدينية العليا على عدد ساعات الرياضيات والعلوم مجتمعة. وتخصص هذه المدارس 272 ساعة للتدريب العسكري سنوياً.

ويتراوح المبلغ الذي تخصصه وزارة الأديان للطالب في المدارس الدينية بين 1550 شيكلاً للمدارس المخصصة للبنات/ المنيفيتا واليشيا/ و 7200 شيكل للمدارس المعروفة باسم «يشيفات هاحدر..».

ومن المدارس التي تسيطر عليها وزارة الأديان[21]: 501 مدرسة دينية عامة

---

(20) الجوهر الرجعي للصهيونية، مصدر سابق، ص 65.
(21) المصدر السابق.

يدرس فيها 620 طالباً. و 77 مدرسة دينية عليا يدرس فيها 3670 طالباً تتراوح أعمارهم بين 14 و 18 سنة، تؤهلهم ليصبحوا حاخامات، و 41 مدرسة دينية متوسطة.

و 15 مدرسة دينية/ يشيفات هاحدر/ يدرس فيها 1626 طالباً تدرّس التعليم الديني والعسكري بالتنسيق في البرامج مع الجيش الإسرائيلي، و 25 مدرسة دينية للتائبين. و 139 مدرسة دينية للبنات من نوع المنيفيتا، و 138 مدرسة دينية مخصصة للبنات.

ويتحدث الكاتب اليهودي المعادي للصهيونية المعروف «موشي مينوحين» مؤلف كتاب «انحلال اليهودية»، عن التعليم اليهودي في المدارس الدينية، فيقول:

> «لقد علمونا في كلية هرتسليا أن نكره العرب، أن نحتقرهم ونطردهم من وطننا ومسقط رأسنا. . إن ما أدهشني في تلك الفترة هو ما كان يسرب إلى أذهاننا من خلال التعليم، إذا كان هناك بيت من الشعر فإنه يحشر في الدرس ويلقن لنا بمناسبة وبدون مناسبة»[22].

الحاخامية والتربية الفاشية في الجيش الإسرائيلي:

إن التربية الفاشية في الجيش الإسرائيلي هي استمرار للتربية الصهيونية الفاشية التي يتلقاها طلبة المدارس في مختلف المراحل الدراسية. تلك التربية القائمة أساساً على منطلقات عنصرية عرقية استناداً إلى أساطير دينية ومقولات عنصرية ومزاعم. . . إن اليهود أمة تتمتع بتفوق نوعي، ولها خصوصيتها. وتتميز سياستها بالطابع الفاشي تجاه العرب مستخدمة ضدهم كل ما حفل به التراث الفاشي والنازي من اتهامات وشتائم ضد الشعوب الأخرى.

لكن التربية الفاشية في الجيش الإسرائيلي من جهة أخرى، تتخذ أهمية خاصة وتعتبر نقلة نوعية في مجال التربية الفاشية، وذلك نظراً للدور غير العادي

(22) راجع بحثنا، الدين والدولة في الكيان الصهيوني، مصدر سابق.

الـذي يلعبه الجيش الإسرائيـلي في حياة الكيـان الصهيوني، الأمـر الـذي يجعـل المقـولة المعـروفة «أن الجيش الإسرائيـلي، جيش وله دولـة» ليس فيهـا شيء من المبالغة.

فالجيش، هو أداة الكيـان الصهيوني للقيـام بالأعـمال العدوانيـة ضد البلدان العربية، وتنفيـذ سياسـة التوسـع والاستيطان، وتجسيـد الدور الـوظيفي للكيان الصهيوني، باعتباره رأس حربة للإمبريالية العالمية وزعيمتها الـولايات المتحـدة، وهراوتها الغليظة الموجهة ضد الأمة العربية.

وهو من جهة أخرى، البوتقة التي تحاول الصهيونية أن تصهـر في جوفهـا كل يهود العالم القادمين من الشتات الذين يحملون ثقافات وعـادات وأيديـولوجيـات مختلفة، كما يختلفون فيما يتعلق بـالكثير من الأمـور الدينيـة والعبادات، وتحـاول أيضاً أن تخلق منهم شيئاً متجانساً أو قـريباً من التجـانس على أسس: التمسـك بـالصهيونيـة والدين اليهـودي، والاستعداد الـدائم للحرب، والمـوقف العدائي للعرب.

ويعترف كثير من البـاحثين الإسرائيليـين أنفسهم، أن الجيش الإسرائيلي هـو البؤرة الأكـبر، في الكيان الصهيـوني، للتطرف ضـد العرب، وللنـزعة الفـاشية ضدهم، وذلك لأن محاولة خلق البسيكـولوجيـة الاجتماعيـة، إنما تمـر من خلال زرع الشوفينية اليهودية «اليهود شعب الله المختار» في عقـول الجنود، وتستخـدم في ذلك كتباً كثيرة من التراث والتاريخ والدين اليهودي، بالإضافـة إلى الأدبيات الصهيونية، هذا أولاً. أما ثانياً، فهي تحاول أن تخلق الإحساس بـوحدة المصـير بين أفراد الجيش، وتستخدم لهذا الغرض أحاديث عن مجـازر النازيـة والفاشيـة ضد اليهود إبان الحرب العالمية الثانية، وكذلك أحاديث عن اللاسامية باعتبارها داءً لا علاج له، كما تدعي الصهيونية. ثم يأتي الحديث عن خطر الإبادة الـذي سيبقى محدقاً باليهود في كل زمان ومكـان. أو كما يقـول علماء الاجتماع اليهـود، هنا يأتي دور إثارة عقدة الماسادا. أما ثالثاً وأخيراً، فيـأتي من خلال زرع النـزعة الفاشية ضد العرب وكراهيتهم والحقد عليهم[23].

(23) المصدر السابق.

مضمون التربية الفاشية في الجيش الإسرائيلي:

لقد رسمت الايديولوجية الصهيونية صورة للإنسان العربي جعلت منه تجسيداً حياً للتخلف. فأحاد هاعام، الزعيم الصهيوني المعروف، يقول عن العرب عام 1891: «العرب رجال صحراء، همج، أناس جهلة، لا يرون، ولا يفهمون ما يجري حولهم..».

وعندما تحدث هرتزل عن فلسطين قال: «هذا الركن الموبوء البالي من الشرق..».

أما وايزمن، فقد تحدث عن الفلسطينيين في رسالته التي أرسلها إلى الرئيس الأمريكي ترومان، استعمل فيها الكلمات التالية: «الصورة الكئيبة للمجتمعات الأمية الفقيرة في فلسطين».

وقد لخص الأستاذ سيد ياسين في كتابه «الشخصية العربية، صورة الذات ومفهوم الآخر»، وجهة النظر الإسرائيلية عن الشخصية العربية على النحو التالي:

> «العرب لا يفهمون سوى لغة القوة، ولذلك فإن اتباع الردع والعنف هو الأسلوب الأمثل، وهم قوم مزريون، مفككون، يميلون إلى الكذب والمبالغة، وخداع الذات، وهم بالمقارنة مع الإسرائيليين كسالى، جبناء، خونة، مستوى ذكائهم منخفض، أو بشكل عام، هم أدنى من الإسرائيليين»[24].

واستناداً إلى مقولة التفوق النوعي المزعوم لليهود وخصوصيتهم، تسعى التربية الفاشية في الجيش الإسرائيلي لإيجاد المبررات الأخلاقية لعمليات القمع والبطش والمجازر التي يرتكبها الجيش ضد العرب الذين هدرت الحاخامية وقوانين الحرب في التوراة والتلمود والتناخ دماءهم، وما على الجيش الإسرائيلي سوى أن يطبق الداروينية بكل ما فيها من عنصرية، أي سيطرة العرق الأقوى

---

(24) الاقتباس مأخوذ عن جريدة «تشرين» السورية، 1981/3/25.

على العرق الأضعف، فالبقاء من نصيب الأقـوياء، والضعفـاء لا بد أن يختفـوا من على الأرض.

مهام الحاخامية العسكرية:

تعتبر الحاخامية العسكرية الهيئة المسؤولة عن التربية الفكرية والنشـاط الديني في الجيش الإسرائيـلي. ويعين الحـاخام العسكـري الرئيسي للجيش الإسرائيـلي بقرار من رئيس هيئة الأركان، شريطة أن يسبق ذلك حصول المـرشح للمنصب على تزكية من حاخامي الطائفتين الاشكنازية والسفارديـة في الكيان الصهيـوني، وتكون رتبة الحاخام الرئيسي عادة عميداً، وتشمل مهامه العسكرية التالي:

1 ـ الحرص على مـراعاة حـرمة يـوم السبت، وبناءً عـلى تعليمات الحـاخاميـة العسكرية، يمنع تحريك السيارات يـوم السبت إلا لأغراض عمليـاتية[25]. وفي بعض الأحيـان، كـان الحـاخـام العسكـري في بعض الـوحـدات العسكـرية، يمنـع سيارة إحضـار الطعـام من التحرك، ويجـبر الجنود عـلى الذهاب مشياً على الأقدام إلى مطعم الوحدة.

2 ـ تتولى الحاخامية العسكرية المسؤولية عن الأحوال الشخصية للعسكريـين. وتنـوب بذلـك عن الحاخـامية ومحـاكمها في كـل ما لـه عـلاقـة بـالـزواج والطلاق، والولادة، والميراث. . . والدين، وتغيير الدين، تغيير المذهب، وهذا الكلام ينطبق فقط على الجنود اليهود.

3 ـ إصدار مجلة ماتشناييم، وهي مجلة شهرية تهتم بالأمور الدينيـة اليهوديـة، وتـوزع على الجنـود المتدينـين، والعلمانيـين. كـما تعـالـج المجلة القضـايـا السياسية، وتنشر الفتاوى الدينية التي تصدرها الحاخامية العسكرية[26].

4 ـ أثناء العلميات العسكرية، تكون مهمة الحاخامية العسكرية رفع معنويات

(25) Benjamin Z. Keder. Massada, The Myth and Complex, Jerusalem Quarterly, No.24, Summer 1982, p.57.

(26) السيـد ياسـين، الشخصية العـربية بـين صورة الـذات ومفهوم الآخـر، دار التنويـر للطباعـة والنشر، بيروت، 1981، الفصل الرابع، المفهوم الإسرائيلي للشخصية العربية.

الجنود في الخطوط الأمامية، وحثهم على القتال، وإصدار الفتاوى الحاخامية العسكرية بصدد عمليات القتال يوم السبت. وتشرف الحاخامية العسكرية على عملية نقل الموتى ودفنهم، وكذلك ممارسة الطقوس الدينية والصلاة في الكنس الثابتة أو المتحركة الملحقة بمختلف الوحدات والتشكيلات العسكرية. وقد أعدت الحاخامية العسكرية كتاب صلوات خاصًا يقرأه الجنود قبل ذهابهم إلى المعركة، وأعطي لكل ضابط صف وجندي نسخة من هذا الكتاب، وتعمل كذلك لإيصال مجلة الحاخامية إلى مختلف الوحدات العسكرية في خطوط القتال[27].

5 - الإشراف على الكنيس اليهودي الموحد في الجيش، والذي من خلاله استطاعت الحاخامية العسكرية إجبار كل الجنود اليهود، من مختلف الاتجاهات والنزعات الدينية والطائفية اليهودية، أن يصلّوا في كنيس واحد. وبهذا الشكل تكون الحاخامية العسكرية، ومن خلال الجيش، أكثر من يستغل الجيش كبوتقة لمحاولة صهر اليهود وإزالة الفوارق المذهبية والطائفية بينهم، وهكذا يساهم الجيش الإسرائيلي في عملية خلق القاسم المشترك بين مختلف المستوطنين الصهاينة على أرضية مزدوجة العداء للعرب والنظرة الفاشية تجاههم، وتوحيدهم، أو محاولة توحيدهم في الصلاة والدين على الأقل أثناء وجودهم في الخدمة العسكرية[28].

ولأداء هذه المهمة، وضعت قاعدة وطبقت بحذافيرها وبدقة متناهية (لا يمكن في الجيش أن تقام كنس يهودية لكل التيارات الدينية، ولا يمكن أن يسمح داخل الجيش، باعتباره بوتقة لصهر اليهود، أن ينقسم اليهود في الصلاة). هذا ويوجد في الجيش الإسرائيلي 300 كنيس موحد ثابت، وعدد من الكنس المتحركة تستخدمها القوات أثناء العمليات العسكرية.

وقد أصدرت الحاخامية العسكرية كتاب صلاة موحداً للاشكناز والسفارديم واليشيديين، ويتضمن هذا الكتاب شروحات وتفسيرات

---

(27) The Israeli Army, Luttwak Edward and Don Horowitz, Canada, 1975.

(28) Encyclopedia Judaica, Vol.7, pp.808-809.

القانون في كل مكان وفي كل زمان. وقد تضمن الكتاب الشروحات التي جاءت على شكل فتاوى، مثل السماح للجنود أثناء العمليات الحربية بعدم مراعاة حرمة يوم السبت والإفطار.

6 ـ تحاول الحاخامية العسكرية إيجاد روح القطعة أو الجماعة بين مختلف أفراد التشكيل العسكري، وذلك من خلال إجبار كل الأفراد من مختلف الرتب والميول والاتجاهات، على حضور الاحتفالات الدينية والمناسبات التي تستغل لتوطيد العلاقة بين القادة والجنود[29].

7 ـ أثناء العمليات العسكرية، وقيام وحدات الجيش الإسرائيلي باحتلال أراضٍ عربية جديدة، تتولى الحاخامية العسكرية الإشراف على الأماكن التي تزعم أنها تضم آثاراً يهودية. وهذا ما حدث في حرب حزيران/ يونيو عام 1967، حيث وضعت الحاخامية العسكرية تحت حمايتها عدة أماكن في الضفة الغربية وقطاع غزة، منها جبل سيناء، حائط المبكى (حائط البراق). قبر راحيل بالقرب من بيت لحم، مغارة ماكفيلا... إلخ[30].

8 ـ الإشراف على المدارس العسكرية الدينية الداخلية، وتعتبر المدرسة العسكرية الدينية الداخلية الموجودة في مستوطنة أور عتسيون التابعة لغوش إيمونيم نموذجاً لهذا النوع من المدارس العسكرية.

برنامج الدراسة اليومي:

الاستيقاظ الساعة السادسة صباحاً، رفع العلم، الصلاة، خمس ساعات من الدراسات الدينية، فرصة الظهيرة، الدروس النظرية العادية وتشمل الرياضيات، الفيزياء والعلوم البيولوجية، الكيمياء، تعاليم أرض إسرائيل.

تبدأ الدروس والتدريبات العسكرية قبل المساء، فتقسم المدرسة إلى أربع

---

(29) Edward Beonard Glid, Between Israel and Death, Stockrole Book, 1974, p.109.

(30) «هاتسوفيه» 1986/9/26، مقال بعنوان: «من يعرض الجيش الإسرائيلي للخطر؟».

سرايا، لكل سرية قائد، ومساعد قائد، وتشمل التدريبات الرمي على أهداف ثابتة ومتحركة، الرمي الغريزي ويتم جزء من التدريبات مع لواء المظليين، كما ينفذ جزء من التدريبات في منطقة حيفا.

وتتضمن الدروس العسكرية أيضاً، النظام، اللياقة البدنية، التمرينات القتالية، الإسعافات الأولية، التوجيه المعنوي، رمي القنابل، تحليل الصور الجوية، أمن الميدان، تدريب الجماعة والفصيلة، زرع الألغام، احتلال مناطق محصنة، قيادات الآليات، التدريب على ناقلات الجنود المدرعة، دورات هبوط بالمظلات.

حقوق تلميذ المدرسة الدينية العسكرية الداخلية[31]:

تبرع ببناء المدرسة المليونير اليهودي المكسيكي «ماركونوس كاتس»، وتتخذ المدرسة شعاراً لها «الكتاب والسيف»، ويقوم بالتدريس فيها ضباط احتياط في الجيش الإسرائيلي: يحق لتلاميذ المدرسة تأجيل خدمتهم العسكرية حتى الانتهاء من الدراسة في المدرسة، ويلقى الخريجون الدعم في اختيارهم المستقبلي سواء في التوجه إلى الجامعة، والاستيطان، والتربية، والجيش. ويقوم عدد من مسؤولي الوحدات العسكرية بتقديم طلبات إلى شعبة الطاقة البشرية للموافقة على تخصيص عدد من خريجي المدرسة للالتحاق بوحداتهم.

ويصف الحاخام يهودا عميكاي تلاميذ المدرسة بأنهم جنود نظاميون، لا يميزهم عن سواهم سوى أنهم يضعون على رؤوسهم طاقية، ويرتدون الملابس الدينية. ويضيف عميكاي: بكل تواضع يمكن القول أنه من يكون تلميذاً جيداً في المدرسة الدينية سيكون جندياً جيداً. ويرى الطلاب المدرسة في تحمل العبء الأمني ضمن نطاق الجيش انتقالاً إلى واجبهم المدني... إنه واجب آخر يفرضه حب أرض إسرائيل والرغبة في الخدمة مع سائر الجنود، والتأثير عليهم من خلال التعاليم الدينية.

---

(31) The Israeli Government Year Book, 1968-1967, pp.122-113

قوانين الحرب وأخلاقها من وجهة نظر الحاخامية:

يصف كثير من الكتاب الإسرائيليين التربية الدينية في الجيش الإسرائيلي بأنها «عملية غسيل دماغ دينية»، نظراً للدور الكبير الذي يلعبه الدين في هذا المجال.

فطلاب المعاهد والكليات العسكرية، بلا استثناء، يدرسون سفر يوشع بن نون، وهو يتألف من 22 فصلاً، ويتضمن الفصل السادس سرداً للمجازر التي ارتكبها اليهود بقيادة يوشع بن نون في أريحا، حيث قتل كل سكان المدينة، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، وذبحت أغنامهم وأبقارهم وحميرهم بحد السيف، ثم دمرت المدينة تدميراً نهائياً. وبعد الحديث التفصيلي عن مجزرة أريحا، يذكر الفصل نفسه أخباراً من مجزرة غاي، ويقول إنه قتل فيها 12 ألف شخص، ومجزرة مكاوا، حيث قتل كل مَن في المدينة، ومجزرة جزعير، وقتل كل من في المدينة، ومجزرة هاشور، ولبنه. . . إلخ.

وبعد أن يتخرج العسكري الإسرائيلي من الكلية العسكرية، أو المعهد، أو ينهي دورته، غالباً ما تؤخذ الدورة بأكملها إلى مدراس دينية حيث تمضي ثلاثة أيام تستمع خلالها لمحاضرات من حاخامين من الدين اليهودي، وتستمر هذه المحاضرات من الصباح حتى الحادية عشرة ليلاً[32].

وعندما يلتحق العسكري الإسرائيلي بوحدته المقاتلة، يتسلم نسخة من كتاب التناخ، وتعني كلمة التناخ بالعبرية معلم، يعلم، يكرر. ويتضمن التناخ شروحاً وتفسيرات للقوانين التوراتية، كما يتضمن سرداً لتاريخ البشرية منذ ظهور آدم وحتى سقوط الهيكل. وقد وضع هذا الكتاب مجموعة من الحاخامين اليهود برئاسة حاخام اليهود ـ عاش في الفترة ما بين 70-130 ميلادية[33]

وبالإضافة إلى ما سبق، تشتمل التربية الدينية التي يخضع لها العسكري

---

(32) المصدر السابق.

(33) Religious Life and Communities in Israel, Pocket Library Books, pp.32-127-130.

الصهيوني على قراءة كتاب الصلاة الموحد، وحضور الأعياد الدينية، ومراعاة حرمة السبت، والصلاة في الكنيس الموحد، وقراءة نشرة الحاخامية العسكرية، والاستماع إلى محاضرات الحاخام العسكري في وحدته العسكرية[34].

ويشعر قادة تشكيلات الجيش الإسرائيلي أن الجنود المتدينين أكثر التزاماً واندفاعاً لتنفيذ الأوامر العسكرية أثناء الحروب ضد العرب، وهذا ما يؤكده الجنرال احتياط «مردخاي غور» رئيس الأركان الأسبق في الجيش الإسرائيلي. حينما يقول: «إن الجنود المتدينين الذين خدموا معه خلال حرب 1967، إنما فعلوا ما فعلوه من خلال علم ومعرفة أكثر عمقاً من بقية الجنود».

وفي أثناء عمليات الاعتداء على المدنيين العرب وضربهم وتعذيبهم، تعترف الصحف الصهيونية نفسها؛ بأن الجنود المتدينين يضربون العرب وهم يشعرون بالمتعة. وتصف صحيفة «دافار» إحدى الحالات التي قام بها الجنود والمتدينون بإلقاء القبض على بعض الأطفال الفلسطينيين من قرية يطا، حيث أجبر الأطفال على الاستلقاء على الأرض، وطلب إليهم أن يمثلوا العمليات الجنسية، ومن يرفض تنفيذ الأوامر كان يضرب ضرباً مبرحاً. وقد خاطب قائد الكتيبة جنوده: «إنهم ليسوا بشراً، إنهم عرب، وكل عربي يستحق ذلك»[35].

ويهدف تدريس سفر يوشع بن نون، في الكليات العسكرية وتوزيع كتاب التناخ على الجنود، وإلقاء محاضرات من قبل الحاخامين في الوحدات العسكرية، إلى خلق ما يسمى بالوعي الحقوقي والأخلاقي لدى الجندي الإسرائيلي، والقاعدة الأساسية لهذا الوعي هي القوانين التوراتية التالية:

* حذار أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها، لئلا يصير ذلك فخّاً في وسطك. (سفر يوشع بن نون 12:34).

* أما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب ـ إلهك، إياها، فلا تَستَبْقِ فيها شخصاً واحداً، فربّك يحرّمها تحريم الحثيين والأموريين

---

(34) Edward Bernard Bilk, Ibid.

(35) The Israeli Government Year Book, 1967-1968.

والكنعانيين والحوريين واليبوسيين. (سفر التثنية 17-20:10).

* اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة الرجال، لكن النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن أحياءً. (سفر الأعداء 17-31:18).

* الآن اذهب واضرب العماليق، وحرّم كل ما لهم، اقتلهم رجالاً ونساءً، أطفالاً ورضعاً، بقراً وغنماً، جمالاً وحميراً. إن الرب لم يغفر لشاؤول لأنه استبقى الغنم أحياءً، فحرمه الله أن يكون ملكاً لإسرائيل. (سفر صموئيل 15:23).

* كل مكان تطؤه قدماك سأعطيك إياه، كما قلت لموسى. (سفر يوشع).

* ألم آمرك أن تكون شجاعاً قوياً.. لا تخف، ولا تجزع، لأن الله ربك، سيكون معك حيثما ذهبت. (سفر يوشع: 1:2).

* فيكون فيما تمضون، لا تمضوا فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها، ومن صاحبة بيتها أمتعة فضية، وذهبية، وثياباً تضعونها على بنيكم وبناتكم. (سفر الخروج: 23-3:22).

ولا يحتاج المرء إلى كثير من العناء ليدرك أن الغاية الأخلاقية والحقوقية في هذه النصوص هي إضفاء صفة الحرب المقدسة على حروب إسرائيل وأعمالها العدوانية، وتبرير مجازرها وجرائمها ضد المدنيين العزل، والسعي لخلق الجندي المفعم بروح القتال والحرب. ذلك القتال المقدس الذي باركته التوراة والتلمود والحاخامية، واعتبارها قديساً محارباً. إن التربية الأخلاقية والحقوقية التي تستخلص من هذه القوانين وما شابهها، هي أن الجندي الإسرائيلي سيصبح كما كان انجلس يقول عن البورجوزاي الإنكليزي، «يرى نفسه في القانون، فالقانون مقدس بالنسبة له... وهراوته في الواقع قوة مهدئة مدهشة»[36].

---

(36) «بمحنيه» 1985/12/4، الاقتباس مأخوذ عن بحثنا «التدريب في الجيش الإسرائيلي»، مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، العدد الإضافي رقم 3، ديسمبر 1987.

ومن الطبيعي أن تتحول جرائم قوات الاحتلال الصهيوني ومجازرها إلى أعمال وممارسات دينية ترتدي لباس العدالة العليا والمشيئة الإلهية، وامتداداً طبيعياً للتراث والتقاليد الدينية اليهوذية. فالجندي الصهيوني، إنما ينفذ القوانين الدينية، ويقتدي بأنبيائه المحاربين المكرسين، أمثال موسى، ويوشع بن نون، ديبورا، الملك داوود، المكابيين، باركوخفا، وهو يردد أقوال التوراة: «لأن الرب إلهكم سائر معكم كي يحارب عنكم أعداءكم، ليخلصكم. ولتكن حربكم مقدسة».

ويجد الجندي الإسرائيلي في الهالاخاة، الشريعة اليهودية، فيضاً من التعاليم التي تحضه على القسوة في معاملة غير اليهود، ومن بينها:

* «إن من ينادي بموقف التآخي تجاه الجيران، يقف موقفاً انتقادياً من الهالاخاة ويتجاهل القوانين التوراتية».

* يجب على المرء أن يعلن الحرب ضد أي شخص في العالم قبل أن يعرض السلام عليه، سواء كانت هذه الحرب مقدسة أم عادية: «عندما تأتي إلى مدينة حارب ضدها، ثم اعرض عليها السلام». (سفر التثنية 20:10).

- **على غير اليهود أن يقبلوا بالعبودية، عليهم ألّا يسيروا ورؤوسهم مرفوعة إذا كان اليهود، موجودين.**

القانون الإلهي: فتاوى الحاخامية:

تعطي الحاخامية لنفسها مكانة قدسية تصل إلى حد اعتبار أقوالها قانوناً إلهياً، تريد من خلاله ليس التحكم بحياة اليهود فقط، بل والبشرية جمعاء، لو استطاعت إلى ذلك سبيلاً. لكننا سنحصر اهتمامنا عبر استعراض القانون الإلهي الذي تحدث عنه الحاخام الإسرائيلي الإرهابي مئير كاهانا، مع الصحفيين «رافائيل مرغوي» و«فيليب سيمونال» مؤلفي كتاب «Israel's Ayatallahs» الصادر في لندن عام 1987. وفيما يلي بعضاً من أقوال كاهانا، كما وردت في الفصل الثاني من الكتاب:

* الدولة اليهودية تعني أن نكون أحراراً في إصدار قوانيننا.

* لا حاجة لوجود دستور، لأن التوراة هي الدستور. ولا حاجة لوجود برلمان، لأن السلطة العليا هي للحاخامية. ويجب أن يهتم البرلمان بالسجون والجيش فقط.

* في دولة التوراة لا وجود لحرية الكلام.. أنا أقبل الديمقراطية بمقدار ما تنسجم مع وثيقة الاستقلال... لا حرية للفرد في مخالفة تعليم الـالاخاة... الديمقراطية تغذي الكذب والغش... الديمقراطية تغذي كل ما هو خاطىء ومريض في الطبيعة الإنسانية[37].

(ومعروف أن الحاخام كاهانا معادٍ للعرب، ويطالب بطردهم من فلسطين المحتلة. لكنه يذهب بعيداً جداً عندما طرح عليه سؤال: ما رأيك إذا أعلن العرب في إسرائيل دخول الدين اليهودي؟ فقال:

«لن أقبل ذلك، لا أريد تهويدهم لأسباب شريفة... لا يمكن شراء العربي من خلال تثقيفه أو تحسين مستوى معيشته.... فلا بد للعرب من مغادرة إسرائيل».

* أوافق أن يُقتل عرب مدنيون، وقد حدث ذلك في الحرب في لبنان، ولا أحد يكترث من هو القتيل. الفلسطينيون، هم أعداء الدولة[38].

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف الأساسي الذي دار بين مئير كاهانا والأحزاب الإسرائيلية الأخرى، لم يكن بسبب تطرف كاهانا تجاه العرب، إذ تلقى طروحات كاهانا حول ضرورة طرد العرب كل التأييد، لكن الأحزاب الإسرائيلية تشعر أن كاهانا يفسد عليها اللعبة السياسية، لأنه يطرح آراءه

---

(37) Raphael Merguiand Phillipe Simonnal, Israel's Ayatallah's, Saqi Books, London, 1987, pp.29-30 .

(38) المصدر السابق، ص 36.

علانية، وهو أيضاً ينافس تلك الأحزاب على أصوات الناخبين اليهود.

وفيما يتعلق بقتل المدنيين الأبرياء في الحرب، لم يكن كاهانا هو أول من أصدر مثل هذا القانون الإلهي، فقد سبقه بذلك ممثلو الحاخامية العسكرية الذين قاموا بإصدار هذه الأحكام على شكل فتاوى. وهذه أمثلة عنها:

الوثيقة الأولى:

وهي كتاب ألفه الحاخام المقدم «إبراهام أفيدان» كبير الحاخامات في القيادة العسكرية الإسرائيلية. فقد صدر عام 1974 وجاء فيه:

«أنه إذا صادفت قواتنا خلال المطاردة أو خلال الإغارة، مدنيين، فهؤلاء حسب القانون اليهودي يجب أن يقتلوا إذا كان من غير الممكن التأكد أنهم عاجزون عن رد الضربة لنا. . . وحتى عندما يكون التمييز بين المدنيين والعسكريين ممكناً تقنياً، فإن الظروف في الحرب تسمح بقتل المدنيين، كما أن القانون الديني اليهودي يقول إن علينا ألا نثق بغير اليهود».

وفي مكان آخر من الكتاب، يقول:

«في وقت الحرب، وحسب تعليمات التلمود، يجب على الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا أعداءهم المدنيين ذوي السلوك الجيد. فقد قيل «أقتل النخبة من غير اليهود». فيجب ألا تثق بغير اليهود الذين لا يؤذون جنودنا، إنهم بلا ريب سيحاولون أن يؤذوهم في مرحلة أخرى من القتال، سواء بإعطاء العدو معلومات عنا، أو بتقديم الإمدادات له»[39].

الوثيقة الثانية:

وفي كتاب وضعه الحاخام موشي بن زيون اشبيزاي، حاخام رامات غان، عام 1974 يقول فيه:

---

(39) المصدر السابق، ص 62.

«إنه ليس صدفة أن أعطت التوراة خيارين نقيضين لإعادة احتلال الأرض، إذا أفنيتم الشعوب، تسكنون الأرض، وألّا تستبقونهم أشواكاً في أعينكم، ومناخيس في جنباتكم».

ويضيف:

«إن الشريعة اليهودية، الهالاخاة، توكد أن الشعوب التي تسكن أرض كنعان يجب أن تكون عبيداً لإسرائيل. إن التوراة تأمرنا أن نفتح أرض إسرائيل بحدودها المعينة وأن نبيد سكانها ومن ثم نستوطنها».

ويستشهد الكاتب برأي الحاخام موشي بن نعمان، أحد قدماء الحاخامات اليهود في القدس، وهو معروف أيضاً باسم ناحمانديس الذي يقول:

«سوف تبيدون كل سكان البلاد، وتستوطنون فيها، وعندما تمحون سكان البلاد، تستملكونها، وبالتالي تورثونها لأولادكم. ولكن إذا أنتم لم تمحوهم، وحتى ولو احتللتم البلاد، فلن تستطيعوا أن توصوا بالأرض لأولادكم من بعدكم... إذا قاومتنا شعوب معيقة للاستيطان، يجب علينا أن نقاتلهم، وأن نبيدهم لأن استلام السلطة هي أصل كل الوصايا الموجودة في التوراة».

وفي الفصل الأخير من كتابه، يقول الحاخام «شبيزاي»:

«إن الفلسطينيين بلاء مذكور في التوراة... إذا نحن طبقنا القانون اليهودي، ولو استمعنا لكلمات أغلى من الذهب واللؤلؤ، ولو أننا فقط تبعنا موسى ويشوع، لكنا تخلصنا من مشاكلنا منذ وقت طويل»[40].

(40) «معاريف» 1974/5/16، الاقتباس مأخوذ عن بحثنا بعنوان: «العنف في الايديولوجية الصهيونية»، مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، العدد الرابع، أبريل 1988.

الوثيقة الثالثة:

هي جزء من كتاب للحاخام مئير كاهانا، صدر في القدس عام 1978، واسمه «بعد أربعين عاماً»: يقول فيه:

«إن قيام دولة إسرائيل وحروبها مع العرب هي حرب بين الله والأغيار، إنها انتقام الله من الأمم بعد آلاف من السنين كان الله مقيداً، مذلاً مهاناً، لأن الشعب اليهودي في المنفى، والآن قد تحرك بجلاله وينهض ليضرب وينتقم من ظُلّامه السابقين. إن دولة إسرائيل تمثل غضب الله على أعدائه. . . . إنها بداية الغضب الإلهي، وانتقامه من الأمم التي تجاهلته واحتقرت وجوده وشوهته وقلّلت من أهميته ولم تقر به»:

وفي مكان آخر، يقول كاهانا:

«إن العرب في إسرائيل يمثلون امتهاناً لاسم الله، إن إبعادهم ليس عملية سياسية فحسب، بل عملية دينية، فلنطرد العرب من بيننا حتى نصل إلى الخلاص»[41].

الوثيقة الرابعة:

في مطلع مارس 1988، عقدت ندوة في القدس شارك فيها كبار الحاخامين في إسرائيل، وكان الموضوع الرئيسي هو ممارسات الجيش الإسرائيلي ضد أبناء الشعب العربي الفلسطيني المدنيين العزل، وكانت المواضيع الأساسية في النقاش الدائر:

«هل تتعارض أعمال جيش الدفاع الإسرائيلي في المناطق في هذه الأثناء مع العرف الأخلاقي اليهودي؟ . . . . من الناحية الأخلاقية والنهج اليهودي هل يجب أن تؤدي الأحداث في المناطق إلى إثارة التفكير في مسألة سلام بلاد إسرائيل»؟

---

(41) Mayer Kahane, Forty Years After, 1978, p.3 . الاقتباس مأخوذ عن بحثنا «العنف في الايديولوجية الصهيونية».

وقد أجمع المشاركون في النقاش الدائر، وهم الحاخام شاؤول إسرائيلي أحد كبار الحاخامين في المعسكر الصهيوني المتدين، عضو مجلس رئاسة الحاخامين، والحاخام إبراهام شابيرا الوزير في حكومة شمير، الحاخام مردخاي إلياهو، وهو من كبار رجال الحاخامية في إسرائيل، الحاخام عميتال رئيس مدرسة جبل صهيون الدينية، والحاخام مئير شتيلزنغر، مدير المدرسة الدينية سعلييم، والحاخام يهوشع بن مئير، رئيس المدرسة الدينية «افرات»، والحاخام زلمان تلميذ، مدير المدرسة الدينية في بيت ايل. وقد أجمع هؤلاء على أن عمل الجيش الإسرائيلي في الضفة والقطاع وممارساته التي أدانتها كل شعوب العالم هي عمل أخلاقي، ويتماشى جنباً إلى جنب مع الأخلاق اليهودية. وهاجم المشاركون في الندوة الانتقادات الموجهة للجيش الإسرائيلي، وأنه لا يوجد للعرب أي حق في أي جزء من بلادنا. يجب علينا الإقامة في بلادنا لأننا ورثناها مثلما كان عليه الأمر في عهد يوشع بن نون، وعلينا الآن أن نتمسك بكل أبعادها، وهذه أفضل نصيحة يمكن أن نسديها.

وقبيل إجراء هذا النقاش بفترة وجيزة، أصدر الحاخام عوفديا يوسف، الحاخام الأكبر السفاردي، أمراً لمن يمتلك نسخاً من كتاب التناخ المثبت في الإنجيل أن يمزق الإنجيل ويفصله عن التناخ. وأصدرت الحاخامية العسكرية أوامر بحرق نسخ الإنجيل الموجودة في القواعد العسكرية[42].

وبعد، نتساءل إذا كانت هناك عملية استلاب للعقل البشري وتغييبه في أي مكان في العالم، مثل الذي تمارسه المؤسسة الدينية في إسرائيل، لكن هذا الدور يتناسب مع طبيعتها. ويروي الكاتب اليهودي «بوعاز كوهين» في كتابه: «القانون والتقليد في اليهودية»، أن الحاخامية عملت على زرع حكمتها في عقول اليهود وقلوبهم. وتقول الحكمة:

> «صلِّ كي تبقى حكومتك وتدوم، فلولا مخافة الحكام لأكل كل واحد أخاه حياً. . . . إن السمكة الكبيرة تفترس السمكة الصغيرة، وهكذا سيفعل البشر لولا الخوف من الحكام».

(42) «معاريف» 1988/3/4.

ويضيف قائلاً:

«إن الحاخامات يصرون على أن الإنسان ولد ولديه نزعة للشر، وأن التوراة وجدت لتطهير هذه النزعة، إن القانـون بالنسبـة للحاخـامية هـو مجموعـة من النظم والطقوس الـدينية مهمتهـا المحـافـظة عـلى الوضع الراهن اجتماعياً وسياسياً»(43).

لقـد أصبح من المؤكـد الآن أن المؤسسة الـدينية اليهـودية، التي عملت طيلة حياتها على تضليل وتخـدير اليهـود، ومنع، بـل وقمع روح المقـاومة لـديهم ضد الاضـطهاد والاستقـلال، غدا الآن، كـما تقـول صحيفـة «جـيروزالم بـوست»: «ليست إلا غرفة سرية لعقد الصفقات السياسيـة»(44). وهي لذلـك، كما تقـول الصحيفة في عدد آخـر: «وصلت إلى قمة السلطة السيـاسية، وفي الـوقت نفسه إلى أسفـل درك في التأثـير الفردي والأهميـة الـروحيـة، لقـد أصبحت المؤسسـة الدينية بعامل ضغط كبير على الفرد وحياته الروحية»(45).

---

(43) Boaz Cohen, Lawand Tradition in Judaism, New York, 1968, p.92.

(44) The Jerusalem Post, August, 10-1981.

(45) The Jerusalem Post, April, 4-1980.

الفصل السادس

التربية الصهيونية
وتربية الآخر

1

التربية الصهيونية وتربية الآخر

تهتم فلسفة التربية بتطبيق النظم الفلسفية على دراسة مواضيع التربية ومشاكلها، ويمكننا تعريف فلسفة التربية بأنها:

«ميدان الإمعان والتفحص والتطبيق، تطبيق النظم الفلسفية على مواد الدراسة ومواضيعها، وذلك بهدف الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من وضوح التفكير ودقته وانسجامه»[1].

وخلافاً لادعاءات بعض الفلاسفة القائلين بأن فلسفة التربية تنحصر فقط في توضيح المقولات التربوية وتوضيح جدلياتها وتبريرها، وكذلك دراسة القيم الفكرية.. وتطبيقات نظرية المعرفة، أي باختصار، محاولة تجريد فلسفة التربية من مضمونها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، تؤكد الوقائع أنه لا توجد فلسفة دون مضمون اجتماعي وسياسي، وأن لكل عصر من العصور فلسفته التربوية التي تخدم المصالح الطبقية للطبقات أو الشرائح الاجتماعية المسيطرة فيه، وصاغ تلك الفلسفة، لحمايتها وتجسيدها، بل وفرضها على شكل قوانين عامة وشرائع، ونصائح ووصايا أخلاقية، بدءاً من جمهورية أفلاطون، حيث جاءت التربية لخدمة مصالح التقسيم الطبقي لمجتمع بحيث يحصل الأمراء والنبلاء على النصيب الأكبر في المعرفة والتربية، ثم يليهم الفرسان وعامة

(1) Encyclopedia Britannica, Micorpaedia, Vol.III, p.794.

الناس. وفي العصور الوسطى، قام توماس الأكويني، بالدعوة لدمج اللاهوت بالفلسفة، وذلك خدمة لمصالح الطبقات المسيطرة وأعطى الأولوية للإيمان على العقل. ثم جاءت بعد ذلك نظرية الإصلاحي البريطاني جون لوك في القرن السابع عشر، لخدمة مصالح الطبقة الوسطى الناهضة، فوقفت موقفاً معادياً للجمود الذهني وحذرت في الوقت نفسه من الراديكالية[2]. ويقوم الفلاسفة البورجوازيون بأداء قسطهم في تعزيز اغتراب الشعوب، وذلك من خلال تجريد التربية من مضمونها الاجتماعي، الذي قد يتنافى مع مصالح الفئات المسيطرة، وتصور التربية على أنها عمل فردي أو جماعي، وليست عملية مشاركة لها أسسها الاجتماعية والاقتصادية وأهدافها.

(2) Encyclopedia Britannica, Vol.III, p.408.

2

فلسفة التربية الصهيونية

تستمد فلسفة التربية في الكيان الصهيوني أهدافها من الفلسفة الصهيونية السائدة في ذلك الكيان، وهي انعكاس لمصالح واحتياجات الكيان، كما يعبر عنها قادته، وقبلهم مؤسسو الحركة الصهيونية، وهي وسيلة لوضع تلك الأهداف موضع التنفيذ، والتي تشمل[3]:

1 ـ تكوين تجمع عضوي متماسك وموحد من شتات اليهود الذين تجمعوا في فلسطين، على أساس الفكر الصهيوني الاستيطاني التوسعي المشبع بروح العنصرية والعدوان.

2 ـ بناء دولة عصرية تمتلك أسباب القوة المادية والروحية.

3 ـ نشر القيم اليهودية ـ الصهيونية وتعميقها وتجسيد تلك القيم على شكل سلوك جماعي وفردي يلقى القبول داخل الكيان.

4 ـ ربط يهود العالم بإسرائيل، وإقناعهم بمركزية دولة إسرائيل في حياتهم، وحضهم على الهجرة إليها والحيلولة دون اندماجهم مع بقية الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها.

وأيضاً تستمد فلسفة التربية الصهيونية وجوهرها ومادتها من الصهيونية والايديولوجية التي يعرفها «آحاد هاعام» أحد أشهر منظري الصهيونية في مطلع

(3) Encyclopedia Judaica, Vol.VII, pp.391-416.

القرن العشرين، في كتابه: «الدولة الصهيونية والمسألة اليهودية»:

«إن الصهيونية بمعناها الحديث هي القومية اليهودية الممتزجة بالدين اليهودي امتزاجاً عضوياً، وهي ترمي إلى جمع شتات اليهود في وطن واحد، وهو أرض إسرائيل، ثم صهر جميع العناصر اليهودية في بوتقة واحدة على أساس الثقافة اليهودية والروح اليهودية»[4].

وهكذا، جاء قانون التعليم الأساسي لعام 1953 مجسداً لأهداف الصهيونية، فقد نصت الفقرة الثانية من القانون على:

«أن هدف التربية في إسرائيل هو أن يرتكز أساساً على الثقافة اليهودية ومنجزات العلم الحديث، وحب الوطن والإخلاص لدولة إسرائيل، والانتماء للشعب اليهودي، وممارسة الزراعة والعمل الحرفي والاندماج في الحركات الطليعية الريادية»[5].

وفي تموز/ يوليو 1957، عقد في إسرائيل مؤتمر ايديولوجي، افتتحه «بن غوريون» بخطاب ضمنته الحكومة الإسرائيلية فيما بعد في مقدمة الكتاب السنوي للحكومة الإسرائيلية لعام 1957 يعرض فيه تقييمه لدور المنظمة الصهيونية العالمية على الصعيد التربوي[6]:

«من المستحيل أن تفهم كل شيء حصل في أيامنا هذه، إعادة الدولة اليهودية، هجرة عشرات الآلاف من الذين لم يسمعوا بأسماء هيس وبنسكر وهرتزل، وربما لم يسمعوا أبداً حتى بكلمة صهيونية، دون أن نأخذ في الحسبان رؤيا الخلاص المسيائي التي تغرس في أعماق الشعب وقلب كل يهودي.. منذ أيام الأنبياء الأوائل، إن لم يكن قبل الرحيل من مصر».

---

(4) «آحاد هاعام»، الدولة اليهودية، المسألة اليهودية، مأخوذة عن الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق، ص 158.

(5) Laws of the State of Israel, Vol.5, 1983, p.113.

(6) Robinson, S.B., Problems of Education in Israel, in Comparative Education, Review, Vol.7, No.2, Oct.1963.

ويتابع قائلاً:

«إن فكـرة العودة إلى صهيـون وإحياء الـدولـة اليهـوديـة ليست من اختراع بنسكر أو هرتزل، فالرؤيا والأمل همـا بعمر المنفى ذاتـه، لا بل يرجعان إلى قبل خراب الهيكل الثاني، وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة إرساء هذه الفكرة القديمة بجـذورها العميقـة في حياة هذا الشعب على أساس الحاجات المادية لليهود والأوروبيين في القرن التاسع عشر، والبحث عن طريق ناجحة لتحقيق الفكرة».

ومن ثم يتحدث في كلمته عن أهمية التربية في تعميق الوجدان اليهودي، ولا يشترط أن يكون ذلك مطابقاً للهالاخاة، الشريعة اليهودية، وذلـك من خلال[7] أن التربية اليهودية شرط جوهري للوجدان المشترك بين يهود العـالم. وهنا ينتقـد «بن غوريون» الرأي القائل أن الهالاخاة تشكل الأساس الوحيـد لهويـة الشعب اليهودي واستمراره، لئـلا يؤدي ذلك إلى الانتقـاص من القيمة الـذاتية للتـوراة ذاتها وتصعيد الرؤيا المسيائية للخلاص، التي شغلت المنزلة الرئيسية في التاريـخ اليهـودي وغرفت من كـل الإشعاع الجـامع في تـوراة إسرائيل، كـما أنها حوّلت أنظار الشعب اليهودي نحـو المستقبل، ومـلأته بـالقوة والبـطولة لمـواجهة المحن والصعوبات التي حلّت به أثناء تجواله الطويل في الدياسبـورا، وهي التي جلبت له بشائر الخلاص القومي وتجميع المنفيين وتحقيق الاستقلال في الوطن القديم.

وفي حزيران/ يونيو 1959، تقدمت حكومة بن غوريون ببرنامجها الوزاري إلى الكنيست وتضمن البيان فلسفة التربية التي حددتها الحكومة: «ستسعى الحكومة في المدارس الابتدائية، كما في المدارس الثانـوية والـدراسات العليـا، إلى تعميق الوعي اليهودي بين سكان إسرائيل، وترسيخ جذوره في أرض الشعب اليهودي وترسيخ جذورهم في تراثهم التاريخي. وستعمل على تقوية العلاقات الأخلاقيـة التي تـربط هؤلاء الشبان بيهـود العالم، هـذه العلاقـات التي تـربط فيهم الحس

(7) The Israeli Government Year Book, 1957, p.16. مـأخـوذ عن: د. أسعـد رزق، التلمود والصهيونية، سلسلة كتب فلسطينية، مركز الأبحاث، 1970.

بالمصير المشترك وفي الاستمرار التاريخي الذي يوحد بين يهود العالم جميعاً عبر الحدود والأزمنة»[8].

وبينما تقوم التربية الصهيوبية «بترسيخ جذور اليهود، فهي تعمل في المجال العربي لاقتلاع العرب من جذورهم، وهذا ما يعترف به الصهاينة أنفسهم». إن التعليم الديني المتوافر للشبان العرب بإشراف ورقابة الحكومة هو أحد الأمثلة الفريدة التي يحاول فيها التعليم المنظم أن يؤثر في التعليم بالاتجاه الذي يتعارض مع بعض القيم والعادات السائدة في البيت والشارع، وفي ثقافة العرب أنفسهم[9].

ولعلنا نجد فيما نقلته جريدة اللوموند الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ 1966/3/11 وأورده الأستاذ إبراهيم العابد في كتابه «العنف والسلام»، مثلاً على ذلك:

> «يقول أحد الطلاب العرب: إنني عربي، وأنتسب إلى عائلة عربية... أنتسب إلى هذه الأرض منذ الأزل، ولكنني تعلمت في المدرسة هذه أن هذه الأرض كانت دائماً ملكاً للشعب اليهودي... وقيل لي إن اللاجئين يجب أن يبقوا حيث هم».

(8) Ibid., p.35.

(9) «عل همشمار» 1982/4/23.

3

مكونات فلسفة التربية الصهيونية

لقد سبق وأوضحنا كيف أن التربية تأتي تكملة لفلسفة الحكم وانعكاساً له، والتربية الصهيونية التي تستهدف نشر «الثقافة التلمودية والتوراتية تحت شعار إيجاد مملكة القديسين. وزرع الناحية العنصرية من خلال إبراز اهتمام الرب بشعبه المختار»، وتمجيد القوة والعنف وعسكرة الحياة من خلال ربط التدريب العسكري بالتعليم لمواجهة أعداء اليهود الداخليين والخارجيين. إن هذا كله يؤكد أن التربية الصهيونية سوف تكون تجسيداً للصهيونية[10].

ومن أبرز مكونات فلسفة التربية:

أولاً ـ التركيز الشديد على اللغة العبرية والدين اليهودي:

تهتم التربية الصهيونية بالدين اليهودي واللغة العبرية بشكل يفوق اهتمام أي دولة أخرى في العالم، بدينها ولغتها، ويجري ذلك من خلال التعليم الديني الرسمي والتعليم المدني الرسمي، وكذلك التعليم الديني شبه الرسمي، الذي تقوم به الجهات اليهودية المتدينة وتساعده الدولة، وهو شبه مستقل وله مدارسه وكتبه ومفتشوه. إن الهدف من التركيز على الدين اليهودي واللغة العبرية هو

(10) انظر، صبالح سرية، تعليم العرب في إسرائيل، مركز الأبحاث، م.ت.ف. بيروت 1975، ص 27.

السعي لصهر جميع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين على أساس اللغة العبرية بالدين اليهودي وذلك من خلال توجيه نظم التعليم واتجاهاته ومناهجه لخدمة هذا الهدف. ويبدأ التركيز على هذين الموضعين بدءاً من الحضانة التي حددها قانون التعليم لعام 1949 بسنة واحدة تسبق دخول الطفل المدرسة الابتدائية، وتمتد طيلة سنوات الدراسة الابتدائية والثانوية، وكذلك خلال النشاطات الخارجية الأخرى.

ثانياً ـ دمج الدين بالقومية واعتبارهما كلًّا متكاملاً:

وتركز على هذه الناحية كتب الأدب والتاريخ والمدنيات والفلسفة؛ إضافة إلى كتب الدين ودروس الإلحاد أو غيرها. ويتم التأكيد على نصوص قالها أعضاء الحركة الصهيونية من أمثال «بن غوريون» الذي يقول: «تستمد الصهيونية جوهر وجودها وحيويتها من مصدرين، مصدر عميق، عاطفي ودائم، وهو مستقل عن الزمان والمكان، وهو قديم قِدم الشعب اليهودي نفسه، وهذا هو الوعد الإلّهي والأمل بالعودة»[11]. أو أقوال أحاد هاعام: «إن سر بقاء الشعب اليهودي هو فيما حمله الأنبياء من أقدم العصور». وتدمج هذه الأقوال وغيرها بالنصوص التوراتية التي تتحدث عن وعد الله لليهود «بأرض كنعان» وكذلك الحنين اليهودي الأبدي لأرض إسرائيل[12].

ثالثاً ـ الادعاء بأزلية اللاسامية:

ويستعان في هذا المجال بما حفلت به الكتب الصهيونية التي وضعها مؤسسو الحركة الصهيونية، أمثال هرتزل في «الدولة اليهودية»، وموشى هيس في «روما والقدس» وليو بنسكر في «التحرر الذاتي». وكثيرة هي الادعاءات التي أوردتها تلك الكتب وغيرها عن عداء الشعوب لليهود لمجرد كونهم يهوداً، وأن اليهود في العالم شعب تعيس محتقر، منبوذ ومشتت. . وأن شعوب العالم كلها لديها عقدة الخوف من الشبح اليهودي.

(11) The Israeli Government Year Book, Vol.5, 1953, p.6.

(12) الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، مصدر سابق.

رابعاً ـ العنصرية والعدوانية والتوسع:

إذا كانت التوراة والتلمود والكتب الدينية الأخرى التي تدرس في المدارس والجامعات ملأى بادعاءات التفوق اليهودي على شعوب العالم، وبكونهم شعب الله المختار. . إلخ، تلعب النصوص التوراتية التي تحض على قتل الغرباء، وكذلك سفر يوشع بن نون الذي تحدث عن مذبحة مغيدة وأريحا وغيرها، دوراً كبيراً في تعزيز الروح العدوانية وحب القتل، بينما يقوم الحديث عن إسرائيل الكبرى بين الفرات والنيل والنصوص الدينية وغير الدينية التي تؤكد ذلك، تقوم بمهمة زرع الفكر التوسعي، ويساعد على ذلك التدريب العسكري للطلاب في المرحلة الثانوية بإشراف منظمة الجدناع، التي تتبع قيادة الجيش الصهيوني.

خامساً ـ الحث على العمل:

أو ما تسميه بعض المصادر الصهيونية «دين العمل»، وهذا مرتبط بالدور الذي يلعبه الاستيطان الزراعي بشكل خاص، والاستيطان بشكل عام في الايديولوجية الصهيونية، وترسيخ المقولة الصهيونية حول تحول اليهود من تجار وسماسرة إلى منتجين، والحث على العمل يستهدف أيضاً زرع حب العمل الزراعي في نفوس الطلاب. وقد أكدت ذلك قوانين التعليم للأعوام (1949-1953)، التي نصت على ضرورة تعلم طلاب المدارس في الابتدائي إلى الثانوي، العمل الحرفي أو الزراعي. وفي هذا المجال يجري التركيز على تعاليم غوردون، وكذلك تعاليم الحاخام هيرش وغيرهما.

سادساً ـ منجزات العلم الحديث:

وهي تستخدم لتخريج جيل من المتعلمين يستطيع تلبية حاجات الكيان الصهيوني المتزايدة للطاقة البشرية المؤهلة علمياً وبشكل جيد، لسد حاجاته الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية. وتسعى وزارة المعارف والثقافة أن يكون المنهاج متقدماً في هذا المجال، ويشتمل على الرياضيات الحديثة والحاسبات، والعلوم العصرية. . . إلخ.

4

العوامل المؤثرة
في فلسفة التربية الصهيونية

تؤثر في التربية الصهيونية عدة عوامل، أهمها:

1 ـ السمات العامة للسكان في إسرائيل باعتبارهم تجمعاً استيطانياً متعدد الانتماءات القومية واللغوية والعادات والتقاليد.

2 ـ حجم الكيان الصهيوني جغرافياً وديمغرافياً.

3 ـ المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي يواجهها الكيان الصهيوني، ومن بينها التقليصات المستمرة في ميزانية وزارة المعارف والثقافة، وانعكاس ذلك على العملية التربوية.

4 ـ الأهداف السياسية التوسعية لإسرائيل في المنطقة.

5 ـ تعدد أنواع التعليم الذي يشمل التعليم المدني الرسمي، الذي تديره وزارة المعارف بصورة رسمية ومباشرة، وتساهم في تمويله الوكالة اليهودية. والتعليم الديني ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

* التعليم الديني الرسمي، وتشرف عليه وزارة المعارف والثقافة بصورة رسمية، وذلك من خلال مجلس التعليم الديني الرسمي، ويضم أعضاء يعينهم وزير المعارف والثقافة بموافقة الحكومة، وتكون مدة العضوية في هذا المجلس أربع سنوات.

* والتعليم الديني شبه الرسمي الذي تشرف عليه الأحزاب الدينية ويحظى بدعم كبير من وزارة المعارف والثقافة ووزارة الأديان، والأحزاب الدينية، والمنظمات الصهيونية المتطرفة لأنه يعتبر أكثر انسجاماً مع الايديولوجية الصهيونية. وفي هذا المجال، يقول الحاخام «يوسف شسترنشتاين»: «يجب زرع الصهيونية في عقول الأطفال.. لا اليهودية فقط». ويجري في مدارس التعليم الديني الرسمي وشبه الرسمي التركيز في الدراسة الدينية على آلاف الأجزاء من التوراة والتلمود والهالاخاة، والأغادا، التي تحض على قتل الغرباء «لأن الغرباء يتهمون بالنية السيئة وبالسرقة والظلم، وبكل عمل شنيع، وشهادتهم غير مقبولة...». ومن بين أكثر الكتب الدينية التي تدرس في المدارس الثانوية، والمدارس الدينية العسكرية، سفر يوشع بن نون، خصوصاً الجزء المتعلق بالحديث عن فتح أريحا، ويطلب إلى الدارسين الاقتداء بالروح العدوانية للشباب اليهودي في الزمن الغابر، «فهتف الشعب، ونفخوا في الأبواق... وكان عند سماع الشعب صوت البوق، أن هتفوا هتافاً شديداً.... فيسقط السور من مكانه.... ويصعد الشعب إلى المدينة... ويفتح يوشع المدينة في اليوم ذاته... ويضربها بحد السيف، ويقتل ملكتها وكل الأنفس التي تحتها....».

وتأكيداً للدعم الذي تحظى به مؤسسات التعليم الديني، ومنذ أن وافق بن غوريون على طلب الحاخام الديني الأكبر ميمون، بإعفاء طلاب المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية، شكلت لجنة التعليم الديني الرسمي لجنة فرعية خاصة لتحديد من هم المستفيدون من الإعفاء من الخدمة العسكرية[31].

وينبغي ألا يفوتنا القول أن طلاب التعليم الديني يتحولون إلى غلاة الصهاينة ومن أشد المتعصبين للاستيطان، ويتم تجنيد طلاب المدارس أثناء الدارسة من خلال رجال الدين المتعصبين والمعلمين والمعلمات الذين يعملون في التدريس الديني بكل مؤسساته وعبر تحويل طلبة الصفوف النهائية، الحادي عشر والثاني

(13) مأخوذ عن بحثنا «الدين والدولة في الكيان الصهيوني»، مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، السنة 1981-1982.

عشر، إلى الكليات الدينية لاستكمال تعليمهم واستدعاء محاضرين، من داخل الوزارة، أو من خارجها، سواء من الأحزاب الدينية أو الجيش لإلقاء محاضرات أمام الطلبة، وزرع أفكار وأنماط الحياة الخاصة بالمنظمات الصهيونية الفاشستية في أذهان الطلاب. وبالنسبة للتعليم الذي تشرف عليه المؤسسات الصهيونية، وهو غير رسمي، وأبرز مثال على ذلك التعليم في الكيبوتس الذي يرتبط بفلسفة الكيبوتس القائمة على الملكية الجماعية والعمل التعاوني وتنمية الحس بالانتماء اليهودي. ورغم أن هذه المبادىء لا تختلف من حيث الجوهر مع قانون التعليم لعام 1953، إلا أن الكيبوتس يعتبر من وجهة نظر وزارة المعارف والثقافة سلطة تعليمية محلية يحق لها أن تشارك في إدارة التعليم وتنظيمه، وتمتد إلزامية التعليم في الكيبوتس حتى نهاية المرحلة الثانوية، فيما تنتهي إلزامية التعليم خارج الكيبوتس عند الصف الثامن. وتعتبر الدراسة في الكيبوتس كمشروع، وهذا يعني عدم وجود امتحان في نهاية العام. ومن جهة أخرى، يتم التدريس الديني الرسمي في الكيبوتسات التابعة للأحزاب الدينية. وفي الكيبوتسات الأخرى، يتم تطبيق منهاج التعليم المدني الرسمي.

هذا، وقد طرأ تحول على فلسفة التعليم في الكيبوتس، تلك الفلسفة التي كانت قائمة على عزل الطفل عن والديه تماماً، وتحرره منهما بشكل تام... إلا أن هذه النزعة أخذت تضعف منذ مطلع الأربعينات[14].

هذا، بالإضافة إلى تعليم المهاجر الذي تشرف عليه منظمة الشباب الصهيونية العالمية لدمج المهاجرين الجدد، وتعليم الكبار الذي تشارك فيه وزارة المعارف. والتعليم في الجيش، الذي يشرف عليه قسم التعليم، ويرأسه ضابط تعليم أساسي وهو برتبة عميد، وتوجد في الجيش معاهد كثيرة في القطاعات العسكرية المختلفة تمنح الشهادة الثانوية، بالإضافة إلى مختلف مراحل التعليم ما قبل الثانوي، كما توجد مدارس عسكرية داخلية ومدارس عسكرية دينية داخلية. وتوجد مدارس عسكرية عليا، يمكن للعسكري أن يأخذ إجازة من الخدمة لمدة سنة واحدة، ويلتحق بتلك المدرسة التي تمنحه الشهادة الثانوية «البجروت»، كما يشارك الجيش في برنامج تعليم الكبار.

(14) Kurswell, Modern Trends in Jewish Education, New York, 1963, p.169.

5

أهداف التربية الصهيونية

لمعالجة هذا الموضوع بشكل دقيق، بالقدر الممكن، سوف نتعرض بالدراسة إلى ثلاثة أجزاء، وهي أهداف التربية في الكيان الصهيوني، وأهداف التربية في المدارس اليهودية في دول العالم، وتعليم العرب في المناطق المحتلة عام 1948. وهنا تجدر الإشارة إلى أن تدريس اليهود في عدد كبير من دول العالم، خصوصاً أوروبا الغربية والولايات المتحدة، وكندا وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا وأستراليا يرتبط بالكيان الصهيوني، إذ بينما تشرف الوكالة اليهودية على المدارس من ناحية التمويل والإدارة، تقوم وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية بوضع المناهج التربوية، لتلك المدارس، كما تقوم الوزارة أيضاً بتقديم الأساتذة، خصوصاً في مجال اللغة العبرية والدين اليهودي، ويتم إيفاد هؤلاء الأساتذة من خلال الوكالة اليهودية. وتتعاون وزارة المعارف والثقافة مع الوكالة اليهودية في «مشروع زيارات التربية والتعليم التي تهدف زيادة الهجرة اليهودية إلى الكيان الصهيوني.

أهداف التربية في الكيان الصهيوني:

يستهدف التعليم في إسرائيل زرع الأفكار الصهيونية والعنصرية والاستيطانية والتوسعية في عقول الطلاب من خلال المواد الدينية والتاريخ والأدب، والتدريب العسكري، وذلك بالإضافة إلى ضرورة تلبية الحاجات غير المحددة

للكـادر العلمي الـلازم في المجـالات الصنـاعيـة والتجـاريـة والاقتصـاديـة والعسكرية. وقد أوضح موشي دايان ذلك بقوله: «إن التعليم يستهدف ضرورة الجمع بين تحقيق حاجات البلاد الدفاعية والنشاط العلمي»[15]. ومن الضروري الإشـارة إلى دور وزارة الدفـاع في هذا المجـال لأنها تشرف عـلى عـدد كبـير من مـراكز البحـوث في مجال التعليم العـالي، وعلى عـدد من المدارس العسكـريـة، وتقـوم أيضاً بتـوجيه عـدد كبير من الـطلاب للدراسة في فـروع محـددة لمصلحـة الجيش، وذلـك أثناء دراستهم الثـانويـة، ومن ثم يجري تـطويعهـم في الجيش. ويستغـل التعليم لزيـادة الهجرة اليهـودية سـواء من خـلال تقـديم التسهيـلات للطلاب حملة الشهادة الثانوية للدراسة في الجامعات الإسرائيلية قبل أداء الخدمة الإلـزامية، ويحصـل هؤلاء المهاجـرون على تسهيـلات كثـيرة مثـل تسجيلهم في الجـامعات والتحضـير للدراسات العليـا، والمسـاعـدة في تـأمـين السكن ودفـع الأقسـاط وتسهيلات معيشيـة أخرى[16]. وأخيـراً، يستغـل التعليم لخـداع دول العالم الثالث من خلال إبراز قدرات إسرائيل العلمية وعقد المؤتمرات.

أهداف التعليم الصهيوني في الخارج:

تشرف الوكالة اليهودية على شبكة واسعة جـداً من المدارس اليهـودية في دول عديدة في العالم. وتقوم الوكالة بالتعاون مع وزارة المعـارف والثقافـة الإسرائيلية بتقـديم التمويـل والمعلمين ووضـع البرامـج التعليمية. وتقـوم فلسفـة الحـركـة الصهيـونيـة في التعليم اليهـودي في الخـارج عـلى المبـدأ التـالي: إذا لم تستـطع إسرائيـل أن تهيء المهجر اليهـودي، من خـلال جلب المهـاجـرين إليهـا، يجب مقاومة اندماج اليهـود بكل السبـل الممكنة. لـذلك، يحتـل الحديث عن مكـانة إسرائيل في حياة اليهود جزءاً كبيراً من المناهج التربوية التي تتضمن تعليم اللغـة العبرية، ويتم التركيز على جغرافية إسرائيل، وتاريخ دولـة إسرائيل ومشكـلاتها في الحـاضر والمستقبل، بـالإضافـة إلى قضايـا الجنسية والمـواطنـة، والهجـرة إلى

---

(15) د. منير بشور، التعليم في إسرائيل، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت، 1965، ص 148.

(16) A Student Guide, State of Israel, Ministry of Immigration, The Jewish Agency Department, April, 1984, pp.8-9.

إسرائيل. وفي هذا المجال يجري التأكيد على أن الهجرة إلى إسرائيل، سواء من الناحية الايديولوجية، وإعطاء التلاميذ إمكانية اختيار الهجرة إلى إسرائيل بعد التأكيد أن الهجرة أو الأمل بالهجرة هو أحد العوامل لبقاء اليهود[17].

وفي مجال مقاومة الاندماج، تركز المناهج التربوية على أهمية الدين والانتماء الطائفي لليهود، وباعتبارهما وحدة متكاملة لدى الطوائف اليهودية في الشتات، على الرغم من المشاكل التي تتعرض لها العائلة اليهودية الآن بعد أن سقطت جدران الغيتو اليهودي.

ولتنفيذ مهمة مقاومة الاندماج، أنشأت الوكالة اليهودية نوعين من المدارس اليهودية: مدارس يهودية تمنح التربية الشاملة، ومدارس ذات طابع الاستكمال يقوم التلاميذ فيها بالدراسة في ساعات المساء، وفي نهاية الأسبوع لتلقي التعليم اليهودي الذي يشمل الدين واللغة العبرية.

أهداف تعليم العرب:

يتلقى التعليم العربي مساعدات أقل بكثير مما يتلقاه التعليم اليهودي، وهو محروم من صفوف الاستكمال، ولا تخصص الوكالة اليهودية أية أموال لدعمه. وتقوم فلسفة التربية الصهيونية الموجهة للعرب على السعي لاقتلاع العرب من جذورهم القومية وغسل أدمغتهم. وفيما يلي أبرز معالم فلسفة التربية الصهيونية العنصرية وتطبيقاتها على التعليم العربي، والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها[18]:

□ **محاولة غرس روح العدمية القومية لدى الشبان العرب**، ذلك من خلال إبراز الظواهر السلبية في تاريخ العرب، مقابل تمجيد اليهود وإظهار مآثرهم. يقول وزير المعارف والثقافة في تصريح له أمام الكنيست بتاريخ 1971/5/12:

> «يجب تدريس العرب مبادىء السلام والإخلاص للدولة، بواسطة تأكيد المصالح المشتركة لكل مواطنيها، ومن خلال تنمية وحدانية

---

(17) «تفوتسوت يسرائيل»، خريف ـ شتاء 1985-1986.

(18) «عل همشمار» 1985/7/15.

عرب إسرائيل ومنحهم ثقافة عربية وإسرائيلية وعالمية»[19].

ومن بين الأمثلة الكثيرة على حديث وزير المعارف الإسرائيلي، فقد تم في العام الدراسي 1974-1975، فصل الطلاب الدروز عن بقية الطلاب العرب، ووضعت لهم مناهج خاصة تم إعدادها على أساس طائفي منفصل يدرس فيها الطلاب كتاب «تاريخ الدروز»، وهو مؤلف من جزأين ومخصص للمرحلة الثانوية، وكتاب «لمحات من الأدب الدرزي»، كل ذلك بهدف تشويه التكوين القومي للطالب وقطع صلته بالعرب. وهذا يؤكده جوناثان أوبنهايمر، في كتابه «الدروز عرب وليسوا بعرب»:

«إن تعليم الدروز في إسرائيل يستهدف قطع صلتهم بالعرب، إذ أن الآداب والتاريخ تركز على الناحية الطائفية والمذهبية فقط ولا تعير أي اهتمام لكون الدورز عرباً»[20].

□ **السعي لجعل الطالب يسلم بالتوسعية الصهيونية**: وخير دليل على ذلك ما جاء في كتاب المدنيات المخصص للمرحلة الثانوية لمؤلفيه سرحان سرحان وعفيف سرحان، يبرر الكتاب في الصفحة 23 عدم ذكر حدود الكيان الصهيوني، فيقول:

«إن مساحة الدولة لم تشكل في الماضي أساساً من أسس الدولة، وذلك لأنه من الناحية التاريخية، لم تكن هناك ضرورة فعلية للمساحة. فنحن نعرف جماعات استوفت جميع الشروط المطلوبة للدولة، ولم تكن لها مساحة معينة مثل القبائل المنغولية والتركمانية والقبائل الجرمانية والقبائل العربية في شبه الجزيرة العربية».

وفي نهاية الفصل يطرح الكتاب السؤال التالي: ماذا تضم مساحة الدولة اليهودية؟ هل تفضل الدولة أن تكون مساحتها كبيرة؟ علّل رأيك[21].

(19) صبري جريس، العرب في إسرائيل، مركز الأبحاث، بيروت، 1971، ص 263.

(20) The Druze in Israel as Arabs and Non Arabs, The Journal of Palestine Sutides, Spring 1987.

(21) سرحان سرحان، وعفيف سرحان، المدنيات، للمدارس الثانوية العربية في إسرائيل، مكتبة السروجي، عكا، 1975، ص 23.

□ **نشر روح الاستسلام**: تقول صحيفة دافار في عددها الصادر بتاريخ 1983/3/9، إن هدف تدريس مادة التاريخ في المدارس العربية هو: «أن يفهم الطالب أهمية دولة إسرائيل لشعب إسرائيل في جميع العصور، وأن يتغلغل في قرارة نفسه الشعور بالمصير المشترك للشعبين العربي واليهودي في الماضي والحاضر، وذلك لتنمية الشعور فيه بمسؤولية الفرد في توطيد أركان الدولة وتطورها، ولإثارة روح الاستعداد لديه لخدمتها وللقيام بواجباته تجاهها».

□ **تشويه التاريخ العربي**: جاء في منهج الدراسة للمدرسة الابتدائية العربية الرسمية الذي تعده وزارة المعارف الإسرائيلية تحديد الهدف من تدريس التاريخ كما يلي: «إكساب الطالب معلومات عن تاريخ الشعوب العربية في مختلف أدوارها التاريخية، وعن تطور الحضارة والثقافة في تلك الأدوار». ومع أن واضعي الكتاب لم يذكروا صراحة أن هذه المهمة سوف تتم من وجهة نظر صهيونية صرفة، فإن من يتصفح كتب التاريخ المقررة للطلبة العرب يلاحظ حجم التشويه الذي تتضمنه هذه الكتب التي قسمت التاريخ إلى ثلاث مراحل: التاريخ الجاهلي، التاريخ الإسلامي، التاريخ الحديث. ويجري تجاوز الفترة ما بين سقوط الدولة العباسية حتى القرن التاسع عشر. وفي كل مرحلة من هذه المراحل يجري التركيز على علاقة العرب باليهود، بالإضافة إلى المنهاج المخصص لدراسة التاريخ اليهودي بشكل مستقل.

ويجري استعراض التاريخ العربي باعتباره سلسلة من الحروب القبلية والطائفية ومؤامرات متعاقبة بين الخلفاء والأمراء والملوك، مع التركيز على تفكك العرب إلى طوائف ودويلات يصعب توحيدها. ففي كتاب التاريخ المخصص للصف الخامس إبتدائي، يدرس تاريخ العرب قبل الإسلام على أنه سلسلة متصلة من الحروب والغزوات بين القبائل العربية في الجزيرة العربية، مثل حرب البسوس، حرب الفجار، وحرب داحس والغبراء، ووصف العرب بأنهم يتميزون بالقبلية وسفك الدماء ووأد البنات. وفي كتاب التاريخ للصف السادس يجري التركيز على اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول، ووقوع حروب الردة، اغتيال عمر بن الخطاب، فتنة الخوارج، اغتيال الإمام علي، موقعة الجمل، موقعة صفين، مقتل الحسن بتدبير من معاوية، مقتل الحسين وموقعة

كربلاء. حصار مكة وضربها بالمنجنيق زمن الأمويين، الفتنة في عهد هشام... مما يجعل الطالب يخلص باستنتاج مفاده أن تاريخ أجداده العرب ما هو إلا عبارة عن سلسلة من سفك الدماء من أجل مصالح ذاتية، وأنه تاريخ مظلم مبني على العنف والاضطهاد. وفي كتاب التاريخ للصف السابع هنالك حديث موسع عن الفتنة والحروب الأهلية والمعارك التي دارت بين العثمانيين والصفويين والعثمانيين والمماليك في سوريا ومصر.

وفي كتاب الصف الثامن، يتم استعراض أعمال المقاومة ضد السلطة العثمانية باعتبارها صراعات طائفية: ظاهر العمر في فلسطين، الصراع بين الطوائف في سوريا ولبنان، الفتنة بين الدروز والمارونيين. وفي كتاب التاريخ للصف العاشر، هنالك تركيز على الحركات الانفصالية زمن الأمويين والعباسيين حيث ذكرت جميع الدويلات التي انفصلت عن مركز الخلافة مثل: الطاهرية، الصفوية، السامانية، الغزنوية، الأغالبة، الأدارسة، الطولونيون، ملوك الطوائف، دولة المرابطين، الموحدون، بني الأحمر... إلخ.

وتسعى كتب التاريخ المخصصة للطلبة العرب إلى تحقيق ما يسمى باستعمار الإنسان العربي، واحتلال عقله، فالطالب العربي يدرس عن اليهود وتاريخهم أكثر بكثير مما يدرسه عن العرب وتاريخهم، ففي كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي «هناك شرح مفصل للمعارك الحاسمة بين يوشع وبين حشود الجيوش المتحالفة التي هاجمت إسرائيل من الشمال». وفي مكان آخر، يفرد الكتاب حوالى صفحتين للحديث عن شمشون الجبار، الذي يوصف بأنه «أسطورة خيالية في أعماله الخارقة ضد الفلسطينيين عندما اشتد ضغطهم على إسرائيل». وعن يهوذا المكابي وهو «قائد كبير نظم جيشه وحارب ضد الجيوش اليونانية وانتصر عليهم رغم قلة عدد جنوده». وعندما يأتي ذكر الفلسطينيين يشار إليهم باعتبارهم «أقواماً غازية جاءت إلى أرض إسرائيل تمكّن اليهود من محاربتهم في معارك عدة حتى تحقق الانتصار عليهم عام 1948»[22].

(22) المعلومات الواردة في هذا الجزء من البحث تم استخلاصها من بحث بعنوان: «الاتجاهات الرئيسية لعمليات الحذف والتغيير في المناهج الدراسية في الوطن المحتل»، مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية، العدد السادس، 1984/12/7.

المنهاج المدرسي:

إن المنهـاج، أو المناهـج التعليميـة في أي بلد من بلدان العـالم هي انعكـاس للفلسفـة التربـوية التي يؤمن بهـا ذلك البلد، وهي أيضـاً انعكـاس لـلأوضـاع الاقتصادية والاجتماعية والسيـاسية، كـما أنها تجسد الصـورة التي يجب تكوينهـا لـلإنسان في المستقبـل، وهي أخيراً ينبغي أن تكـون إجابـة حقيقية لقضـايـاهـا الحـالية والمستقبليـة. ويعتبر الكتـاب المدرسي والمنهـاج المـدرسي أيضـاً الأداتـين الوحيدتين لتحقيق فلسفة التربية. لأن التربية، كما تدل الـوقائـع، يمكن أن تتم في أماكن وطرق شتى، حتى خارج المدرسة، التي كانت تعتبر في الماضي الـذراع الوحيد للعملية التربوية.

أمـا بالنسبـة للتربية الصهيـونية، فبـالإضافـة إلى شبكـة المـدارس والمؤسسـة التعليمية والتربوية، التي تتضمن المدارس الابتدائية والثانوية، هنالك الدوريات على مستوى الجامعات والمدارس الدينية ودور المعلمين، وبرامج تعليم البالغين، والمراكز التابعة للطوائف اليهودية في الخارج، والأحزاب الصهيونية وغير الدينيـة داخل الكيان الصهيوني، مثل الكيبوتسات والمعسكرات ومراكز الدراسة والثقافة والشبيبة والصحف والتلفزيون التربوي... إلخ. وتؤثـر في المناهـج الإسرائيلية عدة عوامل، منها:

التنـوع الإثني والقـومي، ومـا يـرافق ذلـك من تنـوع في لغـات السكـان، والاختلاف في توزيع السكان الذين توجه إليهم المناهـج، سكان المـدن والقرى وسكـان الكيبوتس، والـطوائف اليهوديـة في العالم التي تشرف عـلى التعليم فيها وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية بالتعاون مع الوكالة اليهودية، والاختلاف بين المؤسسات الدينيـة والرسميـة وشبه الـرسمية ومؤسسـة التعليم المدني الـرسمية، ووجود العرب، والـبرامج المـوجهة إليهم، وقـد قسمت إلى قسمين منهـا ما هـو مخصص للعـرب بشكـل عـام، وقسم مخصص للدروز بـاعتبـارهم، كـما يـزعم الصهاينة، قومية خاصة.

مناهج التعليم حتى الصف الثامن

الصف الأول الابتدائي	
اللغة العبرية، الديانة	عدد الساعات
تعريف إسرائيل	12-10
الفن والحرف	8-6
الحساب	4
الرياضة والألعاب	2
المجموع	26-22
الصف الثاني الابتدائي	
المادة: مدني	عدد الساعات
التوراة	5
اللغة العبرية	6
فن وحرف	5
حساب	4
رياضة وألعاب	2
نشاط اجتماعي	2
المجموع	24 ساعة
المادة: ديني	عدد الساعات
توراة وصلوات	11
لغة عبرية	4
فن	3
حساب	4
رياضة وألعاب	2
المجموع	24 ساعة

الصف الثالث الابتدائي	
المادة: مدني	**عدد الساعات**
توراة وهاكالاه	2
لغة عبرية	4
طبيعة ومعرفة البلاد	5
حساب	4
رياضة وألعاب	2
حرف	2
الفنون والموسيقى	1
نشاطات	1
زراعة	1
المجموع	26 ساعة
المادة: ديني	**عدد الساعات**
توراة وهاكالاة	7
لغة عبرية	3
طبيعة ومعرفة البلاد	2
حساب	3
رياضة وألعاب	2
فنون وحرف للبنات	3
فنون وحرف للأولاد	2
صلوات وشرائع للبنات	4
صلوات وشرائع للأولاد	5
زراعة	2
المجموع	26 ساعة

الصف الرابع الابتدائي	
المادة: مدني	عدد الساعات
توراة هالاخاة	5
لغة عبرية	5
طبيعة ومعرفة البلاد	3
حساب	4
رياضة وألعاب	2
حرف	2
فنون وموسيقى	2
	1
	24 ساعة
المادة: ديني	عدد الساعات
صلوات وشرائع	6
لغة عبرية	3
طبيعة ومعرفة البلاد	2
حساب	1
رياضة وألعاب	1
حرف	1
موسيقى	1
فن	3
توراة	6
زراعة	2
المجموع	26 ساعة
الصف الخامس (مدني):	
توراة وشريعة	5
الأدب العبري	5

طبيعة	2
حساب وهندسة	4
رياضة وألعاب	2
جغرافية ومعرفة البلاد	2
فن وموسيقى	3
نشاطات	1
زراعة وحرف	4-2
المجموع	28-26
الصف السادس (مدني):	
توراة وشريعة	4-3
ثانوي شفوي	1
أدب عبري	4-3
حساب وهندسة	4
تاريخ يهودي	2
جغرافية	2
طبيعة	2
لغة إنكليزية	4
فن وموسيقى	2
رياضة وألعاب	2
نشاطات	2
زراعة وحرف	4-2
المجموع	32-28
الصفان السابع والثامن (مدني):	
المادة:	**عدد الساعات**
توراة	4
ثانوي شفوي	1

حساب وهندسة	4
التاريخ اليهودي	3
فن وموسيقى	2
نشاطات	1

المادة:	عدد الساعات
لغة إنكليزية	4
لغة عبرية وآداب	3
جغرافية	2
طبيعة	2
رياضة وألعاب	2
زراعة وحرف	4-2
المجموع	32-30 ساعة

ولدى مناقشة المنهاج المدرسي للمرحلة الابتدائية، نلاحظ الأمور التالية:

1 - تسبق المرحلة الابتدائية سنة واحدة حضانة للأطفال، وقد نصت على ذلك قوانين التعليم للأعوام 1949 و 1953. وقد بررت هذه الفترة:

أ - لإعطاء الفرصة إلى الأم العاملة للذهاب إلى العمل[23]

ب - إعداد الطفل للذهاب إلى المدرسة.

جـ - المساهمة في دمج مختلف الفئات اليهودية غير المتجانسة اجتماعياً وقومياً وثقافياً ضمن المجتمع الاستيطاني.

2 - الأهمية الكبيرة لتدريس الدين اليهودي سواء في المدرسة الدينية أو المدنية، ويمكن أن يضاف إلى ذلك ساعات تدريس التاريخ اليهودي واللغة العبرية التي تتضمن قضايا دينية وذلك لتنمية الوعي والحس اليهوديين عند الأطفال. وتستغل هذه المواد لزرع الروح العنصرية والحقد على العرب من خلال توزيع قصص الأطفال التي كتبها أمثال هاري لامين الذي

(23) Laws of the State of Israel, 1948, Vol.2.

يكتب باسم مستعار هو ايدوشير، والكاتب من أفراد عصابة شتيرن، وعمل فيما بعد في الأركان العامة للبالماخ، وانتقل للعمل في الإدارة العامة للمخابرات الإسرائيلية. يقول لامين عن هدف القصة لديه «أريد أن أخلق الجيل الذي ينضم إلي ويأخذ بثأري. وهذا الجيل هو مئات الألوف من الأطفال الذي يتهافتون على كتبي»[24].

وإليكم مثالاً عن صورة العربي في قصص لامين:

«ربما تكون قد سمعت شيئاً عن سليم وخديجة، لقد كان شريراً مثل أفعى صينية... جريئاً مثل نمر هندي.... في طفولته أشبه باللصوص... عندما بلغ الثانية عض أذن أمه فقطعها.... حين بلغ السابعة ضرب رأس معلمه بالكرسي، وفي العاشرة دفع عمه تحت عجلات سيارة تمشي»[25].

ومن بين أشهر قصص الأطفال التي توزع في المدارس أو تضمها كتب الأطفال:

- «عصابة الأصدقاء خلف خطوط الإرهابيين»، بقلم هو. أورجيل.
- «أطفال المدينة القديمة يحاربون المتسللين»، بقلم حاييم إليان.
- «عمليات في الأهرامات»، بقلم روفائيل زوهار.
- «الأصدقاء الأربعة في عملية عتسيون»، بقلم أرنونه عاردن.

وصورة اليهود في هذه القصص هي أنهم جبابرة، عظماء لا يقهرون، يهزمون العرب الأغبياء بيسر وسهولة، هؤلاء المغفلون الذين يريدون أن يقتلونا من أجل المتعة».

كيف تنظر كتب المرحلة الابتدائية في المدارس اليهودية إلى الإنسان العربي؟

كتب الشيء الكثير حول هذا الموضوع، أي موضوع شخصية الإنسان

(24) «هآرتس» 1974/9/20.

(25) انظر، «كتب الأطفال الصهيونية بين الدعاية الداخلية والخارجية»، محمد الظاهر، مجلة الأقلام، عدد حزيران 1979، ص 67.

العربي، في الأدب العبري، أما الاهتمام بموضوع بحثنا المحدد الآن، وهو كتب المرحلة الابتدائية فقد أسهم في توضيح هذا الجانب الصحفي والكاتب الفلسطيني أنطوان شلحت الذي يكتب في صحيفة الاتحاد الحيفاوية. ونشر في عام 1986، كتاباً تحت عنوان «شخصية العربي في الأدب العبري» وصدر الكتاب عن دار ابن رشد، عمان ـ الأردن.

يستهل الباحث أنطوان شلحت كتابه بقول للأستاذ اليهودي «دانئيل برطل» المحاضر في علم النفس في كلية التربية التابعة للجامعة العبرية: «إن غالبية كتب التدريس في المدارس العبرية تصور العربي بضوء سلبي»[26].

ومن ثم يستعرض عدداً كبيراً من الاستشهادات المأخوذة من الكتب المدرسية. هذه أمثلة منها:

«حرب الاستقلال» نشيد، كلمات «ليفين كنيس» قراءات إسرائيل، للصف الثاني الابتدائي.

«في سبع طرق هربوا، وسقطوا، وتملصوا، مضروبين، وموجوعين... تفرق المتعجرفون...»[27]

«في الماء وفي النار» قصة بقلم «أليعازر شموئيل» كتب قراءات إسرائيل، للصف الرابع، كتبت القصة عام 1979.

تقول القصة أن طفلاً يهودياً في السنة الثانية عشرة من عمره، تطوع في «حرب التحرير» عام 1948 لجلب المياه للمقاتلين اليهود، وقد وقع في الأسر في أيدي العرب، الذين قيدوه، ووضعوا المتفجرات على جسده وأرسلوه لينفجر إلى شظايا أمام أعين المقاتلين اليهود[28].

«دينهله الراجمة»: قصة بقلم مناحيم تلمي، قراءات، الصف الرابع، «لو

(26) أنطوان شلحت، شخصية العربي في الأدب العبري، دار ابن رشد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1986، ص 7.
(27) المصدر السابق.
(28) المصدر السابق.

عرف عدونا من الذي يقصفه بهذه القذائف، وبهذه الدقة، وبهذا الاجتهاد. . . لو عرف أن الذي يقصفه هما فتاتان عبريتان لكان أغمي عليه من فرط الخجل. . . »[29].

«جيوش العدو»: قصة بقلم يتسحاق سديه، قراءات إسرائيل، الصف الرابع. . .

«الجيوش تتقدم داخل القرى والمدن العربية التي لا لزوم لاحتلالها، وتعلن عن انتصاراتها المتتالية. . . إن كل هذه الأماكن كانت قرى عربية، ولم تكن ثمة حاجة البتة لاحتلالها، لكن الانتكاسات التي منوا بها لدى هجومهم على المراكز اليهودية كانت كبيرة جداً. . . . هناك فرق بين جندي يذهب للقتال لمجرد أن حمّلوه بندقية وألبسوه بزة عسكرية، وأرسلوه بقوة الأوامر. . . الجندي ينبغي ألا يفكر. . . »[30].

«النبات النامي»، قصة بقلم أليعازر شموئيل، كتاب قراءات إسرائيل، الصف الخامس:

«وراء القطعان مشى رعاة بالغون. . . الشبيبة في قرية الصبي خليل يربون على حكايات الكذب، وتغرس في أرواحهم الصغيرة مشاعر الانتقام وشهوة التسيب. هل حاولنا أن نثقف خليل؟ هل فتشنا عن سبيل إلى روحه البسيطة الجاهلة؟ من سيقيم جسراً بين الصبي خليل وجيرانه الصبية جدعون، ويراك، وعميكام؟ مثل النبات النامي بفرحة الذي رأيته هذا الصباح في قطعة الأرض المزروعة بالشعير السنة الماضية، هكذا سينمو خليل، وكل من يناله يفوز به. . . قاطعة، وجامعة، ومفسدة. . »[31].

ويعلق الدكتور برطل على هذه القصة بقوله:

---

(29) المصدر السابق.
(30) المصدر السابق.
(31) المصدر السابق.

«إنها غسيل دماغ لكره العرب، وحتى ولو كان عرض العرب بصورة وحشية وغير إنسانية لم يتم عن قصد، فإن ذلك مفهوم مخيف فلا يمكن تجاهل ما يمكن أن يستخلصه الطالب الذي سيقرأ القصة عن تعميات سيطبقها فيما بعد على كل العرب، كونهم عرباً»[32].

منهاج المرحلة الثانوية:

في المرحلة الثانوية، يبدأ التدريب العسكري ساعة أسبوعياً، بالإضافة إلى معسكر صيفي بإشراف منظمة الجدناع. أما في المدارس الداخلية العسكرية والمدارس الدينية العسكرية فيشرف على التدريب، بالإضافة إلى الجدناع، وحدات في الجيش الإسرائيلي تسمح للطلاب للقيام بأعمال التدريب داخلها ويشاركون في مناوراتها.

أما منهاج التدريس العادي غير العسكري، فهو مبين في الجدول التالي، ويظهر فيه توزيع ساعات الدراسة لكل مادة حسب فرع الاختصاص[33].

وبدارسة المعطيات الواردة في توزيع حصص المواد للمدارس الثانوية، يمكننا الوصول إلى الاستخلاصات التالية:

- يستمر الاهتمام بالدين اليهودي والشريعة الشفوية، وإذا كانت نسبة الساعات المخصصة لهذه المادة هي 3 ساعات من مجموع الجدول الأسبوعي أقل مما هو مخصص في المرحلة الابتدائية، إلا أننا نلاحظ أنه يستعاض عن ذلك باستغلال مادة اللغة العبرية والأدب العبري. ويجري العمل على استغلال هاتين المادتين بشكل رئيسي لدمج الأهداف السياسية للصهيونية بالتعاليم الدينية والتوراتية والتلمودية.

وتوفر مادتا اللغة العبرية والأدب العبري من جهة، والدين اليهودي والتوراة، والشريعة الشفوية، من جهة أخرى، مجالاً لزرع الروح العنصرية

(32) المصدر السابق.

(33) مأخوذ عن بحثنا، فلسفة التربية في الكيان الصهيوني، مصدر سابق.

والحقد على العرب في أذهان الطلاب الدارسين، بينما تدرس أجزاء من التوراة من سفر التثنيه وسفر يوشع الذي يحض على قتل الغرباء. وتبرز في الأدب العبري صورة العرب «بشكل سلبي... غير متحمسين على وجه العموم للصراع... مصابين بالتخمة، وينهزمون بسهولة أمام الأبطال اليهود»، ويظهر العربي أيضاً «ثملاً يحب النوم... بشعاً وكئيباً وبطيئاً... يعاني المرض والضعف... متجمداً بعض الشيء... غير ناجح وغير هام... هو أكثر ميلاً للتشاؤم منه للتفاؤل»(34).

صورة العربي في كتب المرحلة الثانوية:

يقول ل. بودكين، الكاتب والصحفي اليهودي، في مقال نشرته جريدة الجويش كرونيكل بتاريخ 1969/6/20: «بعد قيام إسرائيل، أصبح الأدب العبري يعبر عن نفسية الأمة، منجزاتها التاريخية، خلفيتها الايديولوجية، مشاكلها الاجتماعية وجغرافيتها...»، ويضيف كاتب المقال قائلاً: «إن الأدب العبري بات يرى أن من واجباته إعطاء المحارب الإسرائيلي ذلك الإحساس بالوطن بعد مئات السنين من التشريد وأسوار الغيتو». ولعلنا نجد أفضل الأمثلة على محاولة ربط اليهودي بإسرائيل في رواية «الخروج» للكاتب ليون أوريس حينما يخاطب المهاجرين اليهود من كل أصقاع العالم قائلاً:

> «هذا هو نهر الأردن الذي لن يخذلكم ماؤه ولا طميه... افرغوا من شرايينكم مياه الفولغا، الراين، الدينيبر، الفستولا... تقيّأوا من شرايينكم تلك الأوحال واملؤوها بمياه الأردن... هذا هو دمكم... لبنكم وعسلكم...»(35).

لكن المسألة الأكثر أهمية بالنسبة لنا، هي موقف هذا الأدب من العرب بشكل عام. لقد توقف غسان كنفاني عند هذه المسألة مطولاً في كتابه «في الأدب

---

(34) «عل همشمار» 1982/3/9.

(35) انظر، معين بسيسو، نماذج من الرواية الإسرائيلية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص 23.

الفرع	لسانيات	إنسانيات	علوم اجتماعية	رياضيات ـ علوم	دارسات شريعة	زراعة	أحياء
اسم المادة / الصف	12 11 10 9	12 11 10 9	12 11 10 9	12 11 10 9	12 11 10 9	12 11 10 9	12 11 10 9
التــوراة	3 3 3 3	3 3 3 3	3 3 3 3	3 3 3 3	3 3 3 3	3 3 – –	3 3 3 3
لغـة عبريـة	5 5 5 5	6 6 5 5	5 5 5 5	3 4 5 5	5 5 5 5	3 4 – –	3 4 5 5
الشريعة الشفوية	2 2 2 2	5 5 6 2	– – 2 2	– – 2 2	– – 2 2	– – 2 2	– – 2 2
التــاريــخ	4 4 2 3	4 4 2 2	4 5 – 3	– 4 2 3	4 4 3 2	– 3 – –	– 3 2 3
اللغة العربية	– – – –	– – 2 –	– – 5 –	– – – –	6 6 5 3	– – – –	– – – –
الإنكليــزيــة	5 5 5 5	5 5 – 5	5 5 1 5	5 5 5 5	5 5 5 5	5 5 5 5	5 5 5 5
التربية العسكرية	1 1 1 1	1 1 5 1	1 1 4 1	1 1 1 1	1 1 1 1	1 1 – –	1 1 1 1
الرياضيات	– 4 4 4	– 4 1 4	– 4 2 4	6 4 4 4	– 4 4 4	– 4 – –	3 3 4 4
الفيزيــاء	– 2 2 2	– 2 4 2	– – – 2	6 5 2 2	– – 2 2	– 2 – –	4 4 2 2
أخــلاق	2 – – –	2 – 2 –	2 – – –	2 – – –	2 – – –	2 – – –	2 – – –
تاريخ الأفكار الإسلامية	– – – –	– – – –	– – – –	– – – –	2 – – –	2 2 2 2	– – – –
الأدب	2 2 – –	2 2 – –	– – – –	– – – –	– – – –	– – – –	– – – –

الصهيوني»، ودلّل على وجهة نظره الثاقبة التي رأت أن الصهيونية الأدبية سبقت الصهيونية السياسية ومن ثم أصبحت إحدى أدواتها، ولقد قاتلت الصهيونية بسلاح الأدب قتالاً لا يوازيه إلا القتال بالسلاحين السياسي والعسكري. واستطاعت أن تخلق في أذهان اليهود نماذج نمطية للشخصية العربية[36]، وهذه أهم صفاتها:

- العربي جبان، ويستطيع سبعة إسرائيليين أن يحتلوا بلدة بأكملها بسهولة تذهل قائدهم. «قصة المجد العظيم»، بقلم ليستر غورن[37].

- ثلاثون يهودياً فقط يستطيعون احتلال عكا التي لا يعلم إلا الله عدد سكانها[38]. قصة «المصدر»، بقلم جيمس متشنر.

وفي رواية «الخروج» بقلم ليون أوريس نجد الأمثلة التالية:

- اليهودي قوي، يهاجم إحدى القبائل، ويؤدبها ويؤدب زعيم القبيلة أمام أفراد قبيلته. وتقوم حفنة من الأولاد اليهود بتأديب مدينة صفد[39].

- العرب لا يحبون بلادهم «لو كان عرب فلسطين قد أحبوا أرضهم لما كان بوسع أيٍّ كان طردهم منها، لقد كان لدى العرب قليل من الأشياء ليعيشوا من أجلها، وأقل من ذلك ليقاتلوا في سبيله، وهذه ليست ردة فعل رجل يعشق أرضه»[40].

- العربي خائن ويموت في سبيل الأفندية: «رئيس الوزراء المصري يبيع الأسرار للألمان، القاهرة بأجمعها خرجت للترحيب برومل، العراقيون يتجهون للألمان. والسوريون يتجهون للألمان، مفتي القدس عميل ألماني نازي...»[41].

- «الأب يبيع ابنته عندما يزوجها، أو يشتري لابنه بنتاً. وهو رخيص، لا

---

(36) غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، م.ت.ف، مركز الأبحاث، بيروت، 1967.
(37) المصدر السابق.
(38) المصدر السابق.
(39) المصدر السابق.
(40) المصدر السابق.
(41) المصدر السابق.

يكلف شيئاً، . . . ثمن حياته دولار واحد. . . الأطفال يقومون بتأمين الزناة لأخواتهم مقابل ثمن رخيص[42].

وأخيراً، نورد ما قاله الكاتب اليهودي الإسرائيلي شموئيل يوسف عميؤن، الحائز على جائزة نوبل للآداب، في روايته «الأمس الأول» الصادرة عام 1945:

«العرب لا كرامة لهم، ويتحملون الإهانات، يستغلون المستوطنين، قتلة، وهم سبب خراب أراضي فلسطين، مزعجون، قذرون، يخشون اليهود ويكرهون الحضارة، ويشبهون الكلاب في جلستهم»[43].

تلكم هي باختصار صورة العربي في الأدب العبري الحديث، فكيف تظهر صورة العربي في كتب طلبة المرحلة الثانوية؟

سنعتمد في الإجابة على هذا التساؤل على بحث ميداني أجراه فريق من الباحثين الإسرائيليين عام 1985، والذي نشر تحت عنوان: «صورة العربي في الأدب العبري والمترجم كما يدرس في المدارس الإسرائيلية العليا»[44].

وقد شارك في البحث كل من:

- البروفيسور «ساسون سوميخ» رئيس كلية الآداب في جامعة تل أبيب، رئيساً.
- الدكتور شاؤول ميشال من كلية العلوم السياسية، جامعة تل أبيب.
- الدكتورة يافا بنيامين، من جامعة تل أبيب.
- يائيرة جينوسار، من كلية بنيامين للتربية في جامعة تل أبيب.

وقد جرى تمويل البحث من قبل مؤسسة فورد وأشرفت على التمويل جودي م. بارسلو، المديرة المعاونة للمشروع، وممثلته في القاهرة.

(42) الصدر السابق.

(43) المصدر السابق.

(44) The Image of The Arabian Hebrew and Translated Literature as Taught in Israeli High-School, New Outlook,k Specid Supliment, 1985.

وقد جاء في مقدمة البحث أن الأدب لا يعكس فقط مصالح الجماهير، بل يؤثر فيها، ويمكننا الافتراض أن الأدب الإسرائيلي الذي يدرس في المدارس يساعد في قولبة الشخصية ووجهة النظر للجيل الناشىء في إسرائيل تجاه العالم.

فالشبان لا يقابلون العرب عادة في حياتهم اليومية، لأن معظم المدارس تتواجد في أمكنة يسكنها يهود أو عرب فقط. وحتى في المدن المختلطة، مثل حيفا وتل أبيب، يتواجد العرب واليهود في مدارس منفصلة.

الأطفال اليهود يتلقون معلوماتهم عن العرب من مصادر قليلة الاطلاع. وفي مثل هذه الظروف يكون الأدب هو المكان الوحيد، حيث تلتقي شخصيات عربية ويهودية خارج إطار الصراع الحربي.

العرب لا يصورون في معظم الأحيان في خضم مجريات حياتهم اليومية، بل كتجسيد للمشكلة الأخلاقية والوجودية، ويستخدمون كرمز، وتقدم الصورة الرمزية للجماعة بدلاً من السمات الفردية(45).

وفيما يلي أهم الأعمال الأدبية التي تدرس في المرحلة الثانوية:

1 ـ «خربة خزعة»، و«السجين»، قصتان بقلم الكاتب س. يزحار. «خربة خزعة» طبعت للمرة الأولى عام 1949، وقد حظيت باهتمام كبير عند صدورها. تدور أحداثها عام 1948، عندما يطلب إلى فصيلة من الجنود الإسرائيليين أن يطردوا سكان إحدى القرى العربية من بيوتهم دون أن يلحقوا بهم أي أذى. ويجري تصوير عملية الطرد التي تمت منذ الصباح وحتى المساء، جنباً إلى جنب مع انفعالات الكاتب الذي يعاني حالة من الصراع الداخلي «بين اليهودي الذي يرفض فكرة الشتات، والجندي الذي ينفذ عملية الطرد». لكن القصة لا تصور شخصيات عربية، أما الجنود اليهود فهم يصورون كأفراد. ويتحدث أحدهم عن العرب قائلاً: «إنهم، أي القرويون العرب، مثل الحيوانات، هذا ما شرحه لنا يهودا، ولم نرد عليه»(46).

---

(45) Ibid., p.3.

(46) Ibid., p.8.

وفي روايته «السجين»، يتحدث س. يزحار، عن الصراع الداخلي في شخصية بطل قصته، وهو جندي يحرس سجيناً عربياً. «العربي سجين الظروف، أما الكاتب فهو سجين نفسيته، سجين نزوته وعدم قدرته على العيش وفقاً لقيمه الخاصة».

وإليكم وصفاً لحالة السجين، كما يرويها كاتب القصة:

«من هو؟ وماذا يخبىء إلى جانب انعدام هويته المثيرة للشفقة؟ مخلوق ضعيف مهان، يلف وجهه بمنديل، ينكمش على نفسه، وينهار... لا يساوي شيئاً... إنه كيان عديم القيمة، مذعور وجبان... وكأنه لا شيء، لقد أعد نفسه لتلقي الركلات، ويعتبرها شيئاً طبيعياً (اضربوه، اركلوا العربي! إن هذا لا يعني أي شيء بالنسبة له). وأنت يا ربه، ينبغي لك أن تخلصه؛ علماً أنه سيسخر منك وقد يعتبر ذلك هو أو غيره، علامة ضعف منك»[47].

2 ـ «البدوي والأفعى»، بقلم عاموس عوز. طبعت لأول مرة عام 1965، ضمن مجموعة «عواء ابن آوى».

تتحدث القصة عن مجموعة من البدو في الجنوب دفعهم الجفاف إلى الشمال والاستقرار بجانب إحدى الكيبوتسات التي تعاني الخسائر بسبب السرقات التي يتهم «البدو بارتكابها».

وككل الروايات اليهودية تقريباً، تكون العلاقة بين شخصيتين، الرجل دائماً عربي، والمرأة يهودية، وذلك لإبراز العدوانية الجنسية عند العرب ونزعتهم للاغتصاب.

غيؤولا، بطلة القصة، امرأة يهودية عانس، تعاني من صراع نفسي داخلي يصل إلى حد الفصام، يدفعها إلى مراودة أحد الزعاة العرب عن نفسه وتدعوه لاغتصابها، لكنها في الوقت ذاته لا تستطيع أن تتخلص من رفضها له. ومن ثم تتهم الصبي أنه اغتصبها. وتحول هذه المشاعر الجامحة إلى رغبة للانتقام.

(47) Ibid., p.9.

والبـدوي في هذه القصـة مجرد من حـالتـه الإنسـانيـة، ويتصرف بشكـل[48] غريزي أشبه بالحيوان، ومن المستحيل الإمساك بملامح شخصيته الأساسية.

3 ـ «العـاشق» بقلم آ. ب يهوشـوى. كتب القصة مـا بـين (1974-1976)، وطبعت عام 1977. وتدور معظم أحداثها في حيفا:

نعيم، بـطل القصة، صبي عـربي يأتي من إحـدى القرى ليعمـل في مـرآب للسيارات في حيفا لدى رب عمل يهودي. ويقيم علاقة حميمة مع أسرة صاحب المرآب، وخصوصاً مع الابنة الوحيدة لهذه الأسرة.

لقد جرى تصوير شخصية نعيم من وجهة نظر معادية للعرب في جـوهرهـا. فهو، أي نعيم، يأتي من إحدى قرى الجليـل، أخوه عضـو في إحدى المنـظمات الفلسطينية الفـدائية، لكن نعيم شـديد الارتبـاط بأسرة رب العمـل اليهوديـة، ويظهر معـرفة بـالأدب اليهودي ويستشهـد بأشعـار بياليـك، الشاعـر الصهيوني المعـروف، وعندمـا يظهـر عاشق البنت اليهـودي، وهو أحـد أفراد العصـابات اليهودية المتطرفة ويقيم في القدس، يقوم رب الأسرة، بإرسال نعيم إلى قريته في الجليـل. ويعترف فـريق البحث أن شخصية نعيم تثـير التحفظات لـدى القـراء اليهود الذين يسيطر عليهم شعور الشك بالعرب[49].

4 ـ «اللاجىء» بقلم سامي ميشيل. تدور أحداثها أثناء حرب أكتوبر 1973، وقد طبعت عام 1977:

أبطال القصة أفراد من الحزب الشيوعي الإسرائيلي:

«شولا: امرأة من مواليد إسرائيـل، تفكر بعشيقهـا أيام الصبـا، رامي، وهو صهيـوني متعصب، رغم أنها تعيش في بيت زوجهـا مـردوخ، وهـو يهـودي من العراق. تدعو الأسرة فتحي الشاعر، وفؤاد وهو عربي مسيحي وزوجته شـوشنا وهي يهودية. وفي إحـدى الزيـارات إلى جنين، يلتقي فتحي مـع بعض أقربـائه الذين يقدمون العون لأحـد الفدائيـين الفلسطينيـين الجرحى، ومن خـلال هذه

---

(48) Ibid., pp.9-10.

(49) Ibid., pp.10-11.

المشاهد يشير الكاتب إلى الروابط بين فلسطيني عام 1948، وسكان المناطق المحتلة عام 1967.

وعندما تندلع الحرب، يلتحق مردوخ بالجيش الإسرائيلي، بينما يصبح فتحي لاجئاً مع شولا، حيث تدور نقاشات أثناء فترة الحرب، تظهر الشرخ الواسع بين العرب واليهود رغم أنهم جميعاً شيوعيون.

في الأيام الأولى للحرب، ومع تدفق الأخبار القادمة من خطوط القتال التي تتحدث عن انتصارات العرب، ترتفع معنويات فتحي ويزداد حماسه القومي، ولذلك يقرر الخروج من البيت لأنه يفضل أن يكون في أحد السجون الإسرائيلية عندما تدخل الجيوش العربية إلى حيفا».

وينهي الكاتب قصته بالعبارة التالية: «لم يكن سوى عربي وهي يهودية ليس إلا».

ولدى دراسة القصة، يصل الطالب إلى الاستنتاج التالي حول شخصية العربي:

- لقد وضع فتحي في موقف مثير للسخرية عندما أصبح لاجئاً في بيت يهودي إبان حرب يشارك فيها صاحب البيت مع الجيش الإسرائيلي ضد العرب. وبينما يتحدث فتحي عن البطولة، تدل أعماله على جوهره الذي يغاير أقواله تماماً، يضاف إلى ذلك أن حماسه القومي يرتكز على تقارير إعلامية يتضح فيها بعد أنها غير صحيحة. ولا يمكن أن يتوقف المرء عند هذا الحد، فالقصة تقول أشياء أكثر من ذلك. إن العلاقة بين العرب واليهود تبقى علاقات بين أعداء، بغضّ النظر عن الروابط السطحية (الحزب الواحد)، وأنه لا مجال للتعايش بين هاتين الفئتين(50).

وكما نعتقد، فإن الفلسفة هي نظرة شاملة للتطور وقوانينه ومقولاته الأساسية. أما فلسفة التربية، فهي عملية تطبيق الفلسفة على التربية، أي باختصار هي آلية خلق المتعلم/ الإنسان الصالح وفق منظور زماني ومكاني محدد

(50) Ibid., pp.11-12-13.

للعمل، ووفق مصالح تشكيلة اجتماعية ـ اقتصادية معينة واضحة المعالم الطبقية والتوجهات.

وبكلمات أخرى، فبينما يعمل التدريب العسكري في الكيان الصهيوني على خلق المقاتل وتعبئته معنوياً كي يكون قادراً على تنفيذ المهام الموكلة إليه داخل الكيان الصهيوني وخارجه، وربط مصيره بمصير الكيان، تستهدف التربية الصهيونية بناء الإنسان المؤهل علمياً والمعبأ أيديولوجياً، بكل ما احتوته الايديولوجيا الصهيونية من عنصرية وفاشية، والقادر على تطبيق الايديولوجية في مختلف مجالات الحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الفصل السابع

تشكيل الرأي العام

الـرأي العام أسلوب خـاص من الوعي الاجتـماعي يعكس معه صـورة فيها الكثـير من التعميم، وغير مبـاشرة الموقف الفعـلي لغالبيـة الشعب أو الطبقـة أو الفئة الاجتماعية من أحداث الواقع وظواهره وعملياته التي تمس مصـالحهم. إن تشكيل الرأي العام وتطوره يتمّأن إما على نحو موجّه، أي نتيجـة تأثـير المنظمات السيـاسية والمؤسسـات الاجتماعيـة والـطبقيـة لبنـاء وعي النـاس، أو عـلى نحـو عفـوي، وذلك بفعـل التأثـير المباشر للظروف الحيـاتيـة والتجـربـة الاجتـماعيـة والتقاليد القائمة. وينعكس الرأي العام في تقييم الجماهير وأفعالها[1].

يحـظى الرأي العـام بأهميـة خاصـة في علم الأخلاق، لأنـه أداة للتأثـير على معنويات وسلوك الأفراد ونشاط المنـظمات الاجتماعيـة، وأحد مـظاهر العـلاقات الأخلاقية، أي أنه شكل من أشكال الانضباط الاجتماعي (العادات، التقـاليد، الأعـراف) ويتحول إلى قـانون للحيـاة الاجتماعيـة، يسـير عليـه معـظم النـاس طـواعية، وينعكس في وعيهم الاجتـماعي وتحميـه سلطة رأيهم المشـترك. وهـذا الرأي الجماعي هـو الذي يستحسن بعض التصرفـات ويستقبح بعضهـا الآخر، ويشكل أحد أساليب ضبط وتنظيم سلوك الناس والمجتمع[2].

---

(1) انظر المعجم الفلسفي المختصر، دار التقدم، موسكو، 1986، ص 237، 538.

(2) معجم علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو، 1984، ص 206-207.

ويؤكد علم الأخلاق، أن الجانب الحاسم في ضبط سلوك الفرد ليست شخصيته ذاتها، وإنما الرأي العام الذي يرتكز إلى مبادىء ومعايير أخلاقية معترف بها من قبل الجميع. وإذا كان للفرد القدرة والصلاحية في الحكم، بهذه الدرجة أو تلك من الاستقلالية على حكمة تصرفاته، فالجمهور أو الجماعة أو المجتمع ككل لهم قدرة أكبر حقاً وأوسع في ذلك المجال، حتى أن وعي الذات الشخصي نفسه إنما يتشكل عند الإنسان في مجرى تربيته الاجتماعية. وإلى حد كبير تحت تأثير رأي مَن حواليه[3].

وتهتم الحكومات والدول بتشكيل الرأي العام في بلدانها ومجتمعاتها وتسيطر عليه بالشكل الذي يخدم مصالحها، من خلال التربية العقلية والدينية والأخلاقية، والعادات والتقاليد والأعراف، والاستفادة من تجربة الشعب وماضيه، وكذلك من خلال التحكم بأجهزة الإعلام ووضع أسس لعملية تداول المعلومات والصور، والإشراف على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، وهذا السيل المتدفق من المعلومات والأخبار المرئية والمسموعة والمقروءة هي التي تحدد معتقدات الغالبية الساحقة من الناس لتطويعهم، والتحكم بسلوكهم في النهاية لخدمة أهداف خاصة قد تتناقض مع مصالحهم الحقيقية. وتسعى النخبة الحاكمة إلى استحداث مصالح زائفة، وإنتاج وعي لا يستطيع أن يستوعب، بإرادته، الشروط الفعلية للحياة القائمة أو أن يرفضها. والوسيلة الوحيدة التي تسهل تحقيق هذه العملية والسير بها نحو الأهداف المنشودة، تكمن بالتضليل وذلك باستخدام «الأساطير» التي تبرر وتفسر الشروط السائدة للوجود، وتضفي عليها طابعاً خلاباً يضمن للنخبة الحاكمة التأييد الشعبي لسلطتها ونظامها الاجتماعي الذي لا يخدم في المدى البعيد المصالح الحقيقية للغالبية[4]. ولقد تمثلت القدرة المرعبة للقيادة الصهيونية منذ بداية المشروع الصهيوني في فلسطين وحتى تاريخنا الحاضر، في إقناع الغالبية الساحقة من اليهود، وليس فقط التصويت أو القبول بالعمل ضد أكثر مصالحهم حيوية. وتكشف هذه الحقيقة مدى اهتمام الكيان الصهيوني بمسألة الرأي العام داخل

---

(3) المصدر السابق.

(4) Herbert Schiller, The Mind Managers, Beacon Press, Boston, 1977, p.7.

إسرائيل، وتشكيله والتأثير عليه باستمرار، ليبقى أحد الأدوات الفعالة جداً لتسخير يهود العالم أينما وجدوا لتحقيق أهداف الصهيونية.

ومن المعروف جيداً أن إسرائيل. والحركة الصهيونية قبلها، بذلتا جهداً كبيراً لتضليل الرأي العام وكسبه. يقول حاييم وايزمن في تقرير أعده عام 1944:

«يجب أن نبني أعمالنا على أوسع مدى من شعور الرأي العام. فموافقة الرأي العام هي التي تقرر في نهاية الأمر مواقف الحكومات وأعمالها في المجتمعات الديمقراطية»[5].

وقد قامت استراتيجية إسرائيل والحركة الصهيونية في مخاطبة الرأي العام ومحاولة كسب وده وتأييده على ترويج عدد من المقولات، من بينها[6]:

□ **الإنسانية الصهيونية**: أي إن تجميع اليهود من شتى أصقاع الأرض في فلسطين هو عمل إنساني. وبالطبع، لا يجري الحديث عن السكان الأصليين الذين كانوا موجودين في فلسطين. وإذا كانت هنالك ثمة ضرورة قاهرة للحديث عن الفلسطينيين، تردد الدعاية الإسرائيلية والصهيونية مقولتها المعروفة أن سكان فلسطين الأصليين تركوا البلاد بناءً على أوامر صدرت إليهم من زعماء الدول العربية.

□ **الضحية**: لكسب العطف والتأييد، استخدمت فكرة الضحية من قِبل إسرائيل والحركة الصهيونية وذلك بأشكال مختلفة. فقد جرى تصوير الاستيطان الصهيوني لأرض فلسطين وإقامة دولة إسرائيل بمثابة وضع حد نهائي لآلام اليهود ومعاناتهم بسبب عداء شعوب العالم كله لهم، وتشردهم في كافة أرجاء العالم. وإنه من حقهم أن يعيشوا كبقية شعوب العالم بأمان وسلام.

وبعد الحرب العالمية الثانية، جرى استغلال جرائم النازية ضد شعوب العالم، ومن بينهم اليهود، لاستدرار عطف وتأييد أوسع أوساط الرأي العام العالمي.

---

(5) د. حامد عبدالله ربيع، فلسفة الدعاية الإسرائيلية.

(6) انظر: الإعلام الصهيوني، أطروحات، ومواقف، إعداد مجدي حماد.

ـ فمنذ قيام الكيان الصهيوني وحتى الآن، تدعي إسرائيل أنها ضحية لاعتداءات يفكر العرب القيام بها لتدميرها والقضاء على اليهود الموجودين فيها.

□ **تطوير اليهود لأراضي فلسطين**: يركز الإعلام الإسرائيلي على إبراز العرب كبشر متخلفين أو مخلوقات من الدرجة الثانية، وأنهم كانوا السبب في خراب فلسطين وتحولها إلى صحراء قاحلة. وتزعم صحيفة «جادوت حاداشوت»، في عددها الصادر بتاريخ 1973/10/15 في معرض تفسيرها لحرب أكتوبر، وأسباب انفجار العمليات العسكرية: «السبب هو غيرة العرب.. لأننا أناس متحضرون بينما هم متوحشون، ولأننا نريد أن نساعدهم على أن يصبحوا بشراً»[7].

□ **المعجزة الإسرائيلية**: وهنا يجري الحديث بإسهاب ومبالغة عن منجزات إسرائيل العلمية والحضارية، ولا يذكر بالطبع أي شيء عن تدفق المساعدات من الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، وأماكن أخرى من العالم. يقول «بول جينيفيسكي» في كتابه «الصهيونية من إبراهيم إلى دايان»: «إن قيام الدولة اليهودية بعد غياب دام ألفي عام تقريباً هو معجزة من أكبر المعجزات التي جاء بها الدهر».

وبعد ذلك يتحدث الكاتب عن معجزة المهاجرين الذين كانوا سبباً في ازدهار «أرض إسرائيل»، ويستشهد بقول حاييم وايزمن: «الصهيونيون حوّلوا الصحراء العربية إلى جنة على وجه الأرض». ويورد أيضاً ما قاله ليفي أشكول: «عندما قدم اليهود إلى فلسطين لم يجدوا إلا صحراء أتعس من متخلفة ولم يكن فيها شيء البتة»[8].

□ **إسرائيل المسالمة**: المحبة لجيرانها ولغيرها من شعوب الأرض والتي تقدم المساعدة للدول الفقيرة والفتية في بلدان العالم الثالث، وتسارع لتقديم المساعدات للمنكوبين بسبب الكوارث الطبيعية.

---

(7) «حداشوت»، 1973/10/15.

(8) بول جيفينسكي، الصهيونية من إبراهيم إلى دايان، مأخوذة عن الإعلام الصهيوني، أطروحات ومواقف، مصدر سابق، ص 33.

□ **الرأي العام المعادي**: والمقصود هنا الرأي العام في الوطن العربي بشكل عام، ويجري التركيز بشكل غير اعتيادي على الرأي العام الفلسطيني داخل المناطق المحتلة عام 1948 و1967. وتضع إسرائيل على عاتقها القيام بمهمة، ليس التأثير على الرأي العام العربي من خلال تحطيم معنويات العرب بجميع الوسائل والقضاء على أية صورة من صور الثقة بالنفس قد تولد المقاومة أو عدم الإذعان، بل خلق مصالح خاصة جديدة يهتم بها الرأي العام العربي بدلاً من انشغاله الكلي بالصراع العربي الإسرائيلي[9].

ففي الندوة التي عقدتها صحيفة معاريف بتاريخ 1973/2/16، والتي شارك فيها رؤساء الأركان الإسرائيليون السابقون، قال يغال يادين رئيس الأركان الإسرائيلي الثالث، وهو مهندس خطة التعبئة المطبقة في الجيش الإسرائيلي حتى الآن[10]:

«إن لدينا أملاً في التخفيف من حدة عنصري العداء ومشكلة الجيوسياسة، إذا نجحنا في الوصول إلى الشعوب العربية، ليس في يوم واحد، وإنما خلال سنوات عديدة. لقد قلت ولا زلت مقتنعاً أن لدينا سلاحاً من الدرجة الأولى، ولا نستغله كما يجب، وهو وسائل الإعلام باللغة العربية. إنني أتحدث عن الإذاعة والتلفزيون كوسيلة لتحقيق هذا الأمر وليس للترفيه فقط. عندنا ساعات البث باللغة العربية كجزء من هيئة الإذاعة... هيئة الإذاعة التي أتحدث عنها والتي نعرف أي سلاح قوي هي، يجب أن تعمل 24 ساعة بأقوى أجهزة بث إذاعية وإلى أبعد المسافات، من العراق إلى مصر، يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، وسنة بعد سنة. وأن نبث هناك هذه المشكلات. وهذا ما لا نفعله».

ويتابع يغال يادين قائلاً:

«كل واحد يقول ويعرف أن في مصر 26 إلى 30 مليون مريض

(9) حمد الموعد، إسرائيل والمتغيرات الدولية.

(10) «معاريف» 1973/2/16.

بالبلهارسيا ويعانون الحمى، وقضية فلسطين بالنسبة لهم كقشرة الثوم. يجب أن ندخل في أذهانهم هذا الأمر صباح مساء، ونحدثهم عن مشكلاتهم، وما يمكن عمله بخصوص تلك المشكلات لو غيروا قليلاً استخدام طاقاتهم».

وبعد ذلك يتساءل:

«تعالوا نثيرهم!... ماذا سيحدث لو شرحنا للسوريين كيف يجب أن يعارضوا، وإذا ما حدثنا العربي لاستمالته وأدخلنا في وعيه رويداً رويداً هذه الجرعات الإيحائية»؟!.

وثمة مثال آخر، وهو يندرج في إطار التأثير على الرأي العام العربي من خلال بث روح اليأس والإحباط والاستسلام، وقد استخدمته إسرائيل كثيراً في حروبها ضد الشعوب العربية. ففي 1971/8/3 ألقت الطائرات الإسرائيلية المنشور التالي فوق قطاع غزة، وذلك بعد أيام قليلة جداً من مجازر جرش في يوليو 1971، وفيما يلي نص المنشور:

إلى سكان قطاع غزة،

من المؤكد أنكم سمعتم بالمعارك التي تدور هذه الأيام في الأردن حيث يضرب المخربون ويطاردون. وسمعتم أيضاً أن حوالى مئة مخرب، حتى الآن سلموا أنفسهم إلى القوات الإسرائيلية، ونحن نعاملهم بشكل إنساني لائق... لقد ضربت حركة المخربين ضربة قاسية، وهي اليوم مطاردة في معظم الدول العربية. لقد أفلست فكرة الكفاح المسلح باعتراف قادة المخربين وحكام الدول العربية، إن التوقف عن سفك الدماء والاحترام المتبادل فيما بيننا، يؤديان إلى الهدوء والانتعاش.

سكان قطاع غزة المحترمين:

إننا نتوجه إلى جميع المخربين في القطاع للسير على خطا إخوانهم، أولئك الذين كانوا حتى الأمس يطلقون النار عبر الحدود، ويلحقون الضرر بالمواطنين الإسرائيليين وها هم اليوم يسلمون أنفسهم، ويحظون باستقبال إنساني ولائق في

إسرائيل. وأنتم أيضاً سلموا أنفسكم وستحظون بمعاملة إنسانية ولائقة تضمن لكم حياتكم.

إننا نتوجه إلى جميع المخربين لاستغلال الفرصة، وعدم الانسياق وراء تأثيرات سلبية تعرض حياة أبنائكم للخطر، قدموا النصح لأبنائكم كي يسلموا أنفسهم، فنغتبط جميعاً»[11].

آلية تكوين الرأي العام في إسرائيل:

ثمة اتجاهات مختلفة للتعامل مع مشكلة تكوين الرأي العام لكل منها فلسفتها الخاصة التي تستند إلى معطيات علمية وبسيكولوجية خاصة. ومن بين هذه الاتجاهات أو الأساليب:

□ **الأسلوب الروسي**، وهو امتداد لنظرية عالم النفس الروسي الشهير بافلوف المعروفة باسم المنعكس الشرطي، والتي استندت فيها بعد إلى بعض المقولات من علم الاجتماع، ولعل أهمها تلك التي تعرّف الإنسان بأنه مجموعة من العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية ويتغير بتغيرها.

ويرى أصحاب هذه المدرسة أنه يمكن التحكم بالظروف الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بانتماء الفرد إلى جماعات مصلحية معينة. فالرأي السياسي للمواطن ليس إلا خلاصة لتفاعل مجموعة متعددة من المصالح. وأنه يمكن من خلال التلاعب بالقوى الجماعية، أي إعادة تركيب تلك المصالح وخلق انطباعات تؤدي إلى نوع من التوجه التلقائي، فإذا بالفرد ينساق تلقائياً وبشكل لاشعوري نحو الموقف الذي تريده القيادة أن يتخذه.

□ **الأسلوب النازي**، وهو امتداد لأفكار فرويد الذي يتعامل مع الإنسان باعتباره مجموعة من العقد والنقائص النفسية. ويسعى الأسلوب النازي إلى خلق الإنسان الممتلىء بهذه العقد والنقائص والذي يعاني منها لدرجة أنها تحولت إلى جزء من كيانه وشخصيته. وفي هذا المجال، يجري العمل الدؤوب والمستمر

(11) نقلت صحيفة «دافار» الصادرة بتاريخ 1971/8/3 مضمون المنشور.

لتضخيم العقد الكامنة، بحيث يكون رد الفعل هو الاستجابة إلى ذلك الموقف الذي تسعى السلطة للوصول إليه[12].

وحاول الإسرائيليون المزج بين الأسلوبين، فهم من جهة ومن خلال التحكم بمقدرات الكيان الاستيطاني، بواسطة الوكالة اليهودية والهستدروت والهاغانا، خصوصاً في مرحلة ما قبل عام 1948، سعوا إلى خلق الإنسان الذي لا خيار له سوى العمل كي يعيش، وكان الوسط في الكيبوتس حيث الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج والمسكن، وحيث انتماء الفرد بشكل كلي للجماعة، بشكل يحاول طمس كل السمات الفردية الخاصة، كان ذلك الوسط هو الأداة المثلى للتحكم بالإنسان من خلال التحكم الكلي بالوسط المحيط به.

وبعد عام 1948، وحتى يومنا هذا، تتابع إسرائيل السير على الطريق نفسه، طريق التحكم بالإنسان من خلال الإمساك بمقاليد الحياة الاقتصادية وأدوات النشاط الاجتماعي والتعليم. فالقطاعان الحكومي والهستدروت يشكلان جزءاً كبيراً من الحياة الاقتصادية في إسرائيل، ولو أضيف إليهما قطاع الصناعات الأمنية، وهي مرتبطة بالجيش، لأدركنا مدى تأثير هذه القطاعات الثلاثة على حياة الفرد والجماعة. أما فيما يتعلق بالتعليم، فهو مرتبط بشكل أساسي بالدولة والأحزاب الدينية، ويلقى الدعم المالي من الوكالة اليهودية، ويسيطر الهستدروت على معظم النشاطات الاجتماعية والرياضية في فروعه، إلى نواديه المنتشرة في كل مدينة وقرية ومستوطنة.

الإعلام والرأي العام في إسرائيل

أصبح الإعلام، نتيجة للتطور الهائل في وسائل الاتصالات والتدفق المستمر للمواد الإعلامية، من أهم وسائل تكوين الرأي العام أو التأثير عليه، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وذلك من خلال خلق مفاهيم معينة مقصودة لدى الرأي العام تعبر عن أهداف محددة رسمتها وخططت لها القيادة الإسرائيلية في محاولة

(12) حمد الموعد، مصدر سابق.

للوصول إلى أهدافها. ولئن أصبح الإعلام في متناول كل الناس فهم خاضعون لتأثيره، سواء برضاهم أم بدونه، وتستعين السلطة الإسرائيلية بمراكز أبحاث متخصصة تهتم بكيفية استخدام وسائل الإعلام وتوظيفها لتحقيق أهدافها المعلنة أو غير المعلنة، ويدير هذه المراكز رجال سياسة وعلماء نفس واجتماع متخصصون في رسم أفضل السبل لمخاطبة الجمهور اليهودي والعربي والتأثير عليه باتجاهين مختلفين.

وفي كثير من الأحيان، يحاول الإعلام الإسرائيلي الوصول إلى غاياته من خلال دراسة عميقة لأوضاع العرب في البلدان العربية المجاورة، وكذلك لأوضاع الفلسطينيين. وباختصار، تسعى إسرائيل أن تكون حربها الإعلامية ناجحة في تحقيق أهدافها، بغضّ النظر عن الوسائل.

كتب «ش. شنكار» في صحيفة هموديع يوم 1974/5/4:

«إن الحرب الإعلامية الإسرائيلية ينبغي أن تُوكل إلى أيدٍ محترفة، إلى من يعرفون أسرار المهنة قلباً وقالباً، يعرفون الفذلكات النفسية وأحسن سبل الإقناع.. ولتكن هذه الأيدي يسارية لامعة مبتزة للدموع، فإن المهم هو أن ننتصر في المعركة العظيمة لمحترفي الإعلام، ونباشر[13] في تحريك عجلات الآلة الكبيرة التي أسسها الرأي العام في اتجاه معاكس».

لقد ورثت إسرائيل التراث الإعلامي للحركة الصهيونية بكامل أهدافه وتوجهاته ومؤسساته وأجهزته التي تم توظيفها لخدمة الكيان الصهيوني، وأصبحت مهمتها خدمة إسرائيل وتحقيق غاياتها الدعائية والإعلامية والدفاع عن أهدافها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، ويجري ذلك بصورة مباشرة عن طريق مؤسسات يتم التحكم بها والسيطرة عليها بشكل مركزي من مكتب رئيس الوزراء ذاته. وهذه الأدوات تشمل:

1 ـ **مكتب المعلومات المركزي**: وهو يشكل مع المكتب الصحفي للحكومة

---

(13) «هموديع» 1974/5/4، مقال بقلم ش. شنكار.

دائرة واحدة مرتبطة بمكتب رئيس الوزراء!! ومهمة هذا المكتب تنحصر في نشر المعلومات المتعلقة بنشاطات الحكومة ومؤسساتها ومشاكلها الداخلية وأهدافها وإنجازاتها، وعلى وجه الخصوص كل ما يتعلق بترسيخ الوحدة الثقافية والروحية والاجتماعية والدينية بين السكان عامة والمهاجرين الجدد بوجه خاص، وتعميق ارتباطهم وولائهم للدولة... وتأهيل المواطن الإسرائيلي للتعبير برأي موحد عن أهداف إسرائيل القومية ومواقفها السياسية من القضايا الرئيسية، مما يجعل منه الأداة الأولى من أدوات الإعلام الإسرائيلي[14].

2 - **المكتب الصحفي للحكومة**: مهمته التحدث باسم الحكومة في مواجهة الصحافة المحلية والأجنبية، ويزود المراسلين بالأنباء عن الأحداث مع المادة التوضيحية عن مقدمات هذه الأحداث، ويساعد هؤلاء المراسلين في الوصول إلى أماكن الأحداث، ويتولى إصدار مجموعة من الأعمال الإعلامية الدعائية والسياسية.

3 - **وزارة الإعلام الإسرائيلية**: تأسست لأول مرة بعد حرب أكتوبر عام 1973 وتسلمها شمعون بيريز، الذي حدّد أهداف الوزارة وهي «ابتكار أساليب مختلفة في توظيف الأدوات التي يستطيع من خلالها الاتصال بالرأي العام»، حيث يستطيع أن يسمع صوتاً واحداً لعوالم مختلفة.

4 - **صوت إسرائيل (الإذاعة)**: وهي مؤسسة «مستقلة» تتبع مباشرة لرئيس الوزراء وتبث على أكثر من عشرين موجة من أربع محطات إرسال، وفي عشرات اللغات، ولمدة تصل إلى حوالي 300 ساعة أسبوعياً.

5 - **التلفزيون الإسرائيلي**: يبث برامج مترجمة إلى اللغة العربية، وتتضمن نشرات أخبار.

6 - **الإدارة المركزية لوزارة الخارجية**: وتضم عدداً من الإدارات، من بينها إدارة الإعلام التي تقوم بإعداد دراسات خاصة حول بعض القضايا التي

---

(14) The Israeli Government Year Book 1966-1965.

تهم إسرائيل، وتنسخ الخطب والمقالات التي تتناسب مع أهداف السياسة الإسرائيلية.

7 ـ المستدروت: الذي يشرف على صحيفة «دافار» وله قسم إعلامي خاص به.

8 ـ الجيش الإسرائيلي: الذي يملك شبكة إعلامية متكاملة تشمل إذاعة خاصة به، وعدداً من المجلات الأسبوعية والشهرية، منها مجلة معراخوت «المعركة» وبمحنيه ومجلات أخرى. ويشرف الجيش، من خلال المخابرات العسكرية «أمان» على الإعلام في إسرائيل كلها، وذلك من خلال عملية الرقابة على كافة المطبوعات، مهما كان نوعها.

ومن بين الأمثلة ذات الدلالة على دور الجيش من خلال الرقابة العسكرية على الصحافة والإعلام ككل في تشكيل الرأي العام وتضليله، نذكّر القارىء بالتعتيم الإعلامي الشديد الذي فرضته السلطة العسكرية الإسرائيلية على الأنباء من ساحة المعارك، والذي تحدث عنه «زئيف شيف» المحرر العسكري لصحيفة هآرتس في مقال كتبه يوم 1982/6/29 قائلاً:

«لقد اتضح أن ضباب المعركة الذي نشره وزير الحرب فوق العمليات العسكرية، كان من الكثافة بحيث بلبل أيضاً ضباطاً وجنوداً في الجيش الإسرائيلي، ولم يبلبل العدو فقط»[15].

وقد فضح هذه السياسة التعتيمية التي تنتهجها السلطة العسكرية الصهيونية الكاتب الصهيوني المعروف «هيرش غودمان»، في مقالة مطولة بعنوان «شكوك في جبهات القتال»، نشرها في صحيفة «جيروزالم بوست» بتاريخ 1982/6/28، حيث زار الجنود الصهاينة والتقى بهم وتعرف إلى معاناتهم والهموم التي يشكون منها، وتساءل فيها: هل أصغي إلى أصواتهم في هذه الحرب؟ وهل كان في وسعنا كمراسلين عسكريين نقل الرواية الحقيقية من الجبهة؟ ويتابع قائلاً: كلا، فالرقابة كانت بالغة الشدة، والناطق باسم الجيش أقل مصداقية من أي وقت

---

(15) «هآرتس» 1982/6/29 مقال بقلم زئيف شيف.

سابق. ونتيجة لذلك، فإن وصف الأحداث العسكرية كما هي في الواقع تعاد صياغته طبقاً لما يناسب الرقيب الذي يحدث وقائع ويترك أفكاراً وعبارات معلقة في الهواء... إنّ ما شاهدناه بأم أعيننا حرِّف بدهاء[16].

وحول الموضوع ذاته، قالت صحيفة الاتحاد الحيفاوية بتاريخ 1982/8/4: تتفنن وسائل الإعلام الإسرائيلية في إخفاء حقيقة الجرائم التي يرتكبها حكام إسرائيل والدمار والتقتيل وتهجير الآمنين ونهب الممتلكات. فيقوم التلفزيون الإسرائيلي بعرض مقابلات مع جرحى أسرى وجنود إسرائيليين يظهر بها إنسانية الاحتلال، وإنسانية الجيش الإسرائيلي الذي كما قال إيتان وشارون إنه الجيش الوحيد في العالم الذي يتحلى بالروح الإنسانية العالية... لذلك، ليس غريباً أن يقول العلماء اليهود في فرنسا إن الإعلام الإسرائيلي شبيه بالإعلام النازي أيام الحرب العالمية الثانية[17].

أساليب العمل الإعلامي الإسرائيلي:

لدى تناول الإعلام الإسرائيلي لأي من المشاكل ذات الصلة المباشرة بالصراع العربي الإسرائيلي، بشكل خاص، يلاحظ أنه يحاول أن يروج بعض الأساطير، ويضفي على عمله بعض السمات الخاصة. ومن بين هذه الأساطير:

1 ـ أسطورة الحياد:

في كثير من الأحيان تتحدث وسائل الإعلام الإسرائيلية، خصوصاً الإذاعة الناطقة باللغة العربية، عن العمليات العدوانية التي يشنها الجيش الإسرائيلي ضد المخيمات والقرى والمدن في الدول العربية المجاورة كأنها طرف محايد يروي أو ينقل الأخبار.

وتستند في روايتها للعمليات إلى تقارير لوكالات الأنباء الأجنبية، أو روايات شهود عيان من المنطقة نفسها. وقد تلجأ في بعض الأحيان إلى ذكر روايات أو

(16) «جيروزالم بوست»، 1982/6/28، مقال بقلم هيرش غودمان، بعنوان: «شكوك في جبهات القتال».

(17) الاتحاد الحيفاوية، 1982/7/9.

بلاغات الطرف الآخر، أي الجانب العربي. والهدف من هذا الحياد المزعوم هو زيادة إمكانية التأثير الإعلامي والدعائي الذي يأخذ طابع حرب نفسية لها أهداف مختلفة.

2 ـ أسطورة الفردية والاختيار الحر:

إذا كان الأمريكيون يريدون إقناع العالم، في ظل النظام الدولي الجديد، أن العالم بأسره ملك لهم، وأنه من حقهم أن يعارضوا ما يشاؤون وأن ينفذوا بعض قرارات الأمم المتحدة بالشكل الذي يريدون، فإن الإسرائيليين يحاولون التأكيد أن العالم كرة وجدت أصلاً لتسليتهم، ويتصرفون بها كما يشاؤون، يخوضون الحروب ضد هذا البلد العربي أو ذاك، ويقولون إنها قرار إسرائيلي. ولا يذكرون أي شيء من الاتفاقيات والتعاون مع دول إمبريالية أخرى. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها دور إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وعدوان حزيران/ يونيو 1967، والاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982.

3 ـ أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة[18]:

وتستغل بشكل رئيسي لزرع أفكار نمطية عن الشعوب العربية، تخدم توجهات إسرائيل وأهدافها القريبة والبعيدة، ومصطلح أفكار نمطية مأخوذة من عالم الطباعة استخدمه أول مرة المفكر الأمريكي المعروف «والتر ليبمان» الذي شرح فكرة المصطلح قائلاً:

«إذا فكرنا من خلال القوالب الجامدة، فنحن لا نرى الأشياء أولاً ثم نعرفها، ولكننا نعرفها ثم نراها من بعد. نحن نلتقط من الخضم الهادر للعالم الخارجي ما سبق لحضارتنا التي نعيش في رحابها أن عرفته لنا. ونميل إلى متبني هذه الآراء التي يحدث كثيراً أن تكون قد صيغت في قوالب جامدة»[19].

---

(18) اعتمدنا في هذا المجال على كتاب السيد ياسين، الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، دار التنوير، بيروت ـ لبنان، 1981.

(19) الاقتباس مأخوذ عن السيد ياسين، مصدر سابق، ص 41.

ولنتعرف إلى ما يقـوله بن غـوريون صـاحب مقولـة «التوافق مـع العرب من خلال استخدام القوة الفائقة»:

«أن العرب يعيشون في عـالم غير حقيقي، وهم يفعلون ذلـك غالبـاً مثل الشخص الذي يحتاج إلى حشيش حتى يحس أنه في جنة عدن. الحقيقـة بـالنسبـة لهم هي الجحيم، والفـلاح هـو ابتـلاع حبـة من حبوب الكذب التي تعطى لهم الإحساس بالجنة. غـالباً يبـدو لي أن كل العرب، وعلى كافة المستويات، يتصرفون وكأنهم تحت المخدر، والحقيقـة أن الـوهم أسـوأ من الكـذب، أنت قـد تكـذب عـامـداً وتسيطر على كذبتك. أما بالنسبة للوهم، فهو الـذي يسيطر عليـك في النهـايـة. إن العقليــة العــربيــة قــد تشغــل فكــري كمشكلة بسيكولوجية. إنها تفسر لي لماذا لا يريد العرب الحرب... كان من المنطقي عقب حرب الأيام الستة، حينـما اكتشفوا أننـا قابعـون على ضفاف الأردن وقناة السويس أن يتجهوا إلى المفـاوضات ولكن بعـد مرور عام لم يحدث شيء، ليس بسبب أن الحقيقة لا تثقل كاهلهم، ولكن لأن عقليتهم تقف حاجزاً بينهم وبين والواقـع، وتمنع عيـونهم من أن تراه كما هو. إنهم يفضلون تجاهل الواقـع ما دامت المفـاهيم الخيالية التي يعيشون فيها على هديها لم تتحطم بعد»[20].

ولقد ظهرت هذه الفكرة النمطية عن العـرب في عدد كبـير جداً من الأفـلام السينمائية والمقالات الصحفية والندوات والقصص.

4 ـ غياب الصراع الطبقي والاجتماعي:

إن الاندماج الكلي للفرد في الجماعة بشكـل يفقد الأفـراد خصائصهم المميـزة ويجعل المجتمع عبارة عن امتداد هائل لسديم من الأشياء المتشابهة، يسهـل على إسرائيل أن تجعل من قرارها السياسي لخوض حـرب عدوانيـة ضد هـذا أو ذاك من البلدان العـربيـة تجسيـداً للمصلحـة العليـا لأفـراد التجمـع الاستيـطاني الصهيوني، وتسدل الستـار بذلـك على واقـع السيطرة والاستغـلال والاضطهـاد

(20) المصدر السابق.

الطائفي لليهود الشرقيين والزنوج والعبريين. ويستخدم الإسرائيليون مصطلحاً فريداً من نوعه، هو «الإجماع القومي الوطني» الذي يوحد سائر فئات التجمع الاستيطاني في لحظات الحرب، أو التهديد باندلاعها[21].

5 ـ التعددية الإعلامية:

بالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون والصحافة الإسرائيلية، هنالك الصحافة التي تسيطر عليها المنظمات الصهيونية في مختلف أرجاء العالم والتي قدرها عرفات حجازي في بحثه المنشور تحت عنوان «دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي الأوروبي من أجل عدالة القضية الفلسطينية»، والذي صدر في مجلة شؤون عربية، عدد 17 تموز/ يوليو 1982، بأنها تزيد على 770 صحيفة ومجلة. أما يوري إيفانون، مؤلف كتاب «احذروا الصهيونية» الصادر في موسكو عام 1970، فيقول إن عددها يزيد على 1036 صحيفة ومجلة[22].

وتعمل هذه الشبكة الإعلامية على خلق ضجيج إعلامي حول مواضيع مختارة ومنتقاة بشكل وثيق، لدرجة أنه لا يتوافر للإنسان العادي ما يمكن أن يساعده في فهم الواقع بشكل صحيح. ويصل الإنسان العادي إلى حالة يقر فيها ضمناً بشكل لاشعوري بعدم القدرة على التعامل مع موجات الأحداث المتلاحقة التي تظل تطرق وعيه وبإلحاح. وهكذا، نصل إلى الهدف النهائي المطلوب، وهو «خلق الإنسان الذي يستجيب بشكل لاإرادي لما يتلقاه من أجهزة الإعلام المسيطر عليها من قبل النخبة الحاكمة في إسرائيل»[23].

6 ـ التجزيئية وفورية المتابعة:

يهدف استخدام تكتيك التجزيئية لعرض المشكلات التي تظهر كل على

---

(21) Asher Arian, Ilan Talmud, Tamar Herman, National Security and Public Opinion in Israel, The Jaffee Center For Strategic Studies, No.2, Tel Aviv University Press, 1988.

(22) هذه المعطيات مأخوذة عن بحث بعنوان المحاور المركزية في الإعلام الإسرائيلي واستراتيجيته في التوجه إلى الفلسطينيين والعرب في الخارج، وقد صدر العدد على ثلاث حلقات في مجلة الأرض للدراسات الفلسطينية.

(23) Herbert Schiller, The Mind Managers, Ibid.

حدة، وحصرها تمهيداً لخلق ما يعرف بالبؤر لجذب الانتباه الشديد إليها دون غيرها من المشاكل الأخرى، أو حتى دون المحاولة لربطها بمشاكل أو ظواهر مماثلة لها عند الطرف الآخر، والمثال على ذلك معروف جداً، فقد تابع العالم سيلاً جارفاً من المعلومات عن التسليح العراقي بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية، خلال فترة امتدت طول النصف الأول من عام 1990، ولم يذكر أي شيء عن الترسانة الإسرائيلية، ولا عن الأسلحة الأمريكية التي تخزن بإسرائيل والتي يمكن لها استخدامها في حالات الطوارىء.

وأما المتابعة الفورية، فهي موجهة بالدرجة الأولى للإنسان العادي الذي أصابه القلق والتوتر، وبات يبحث عن مصدر للأخبار عن الأحداث التي تجري، ويجد ضالته المنشودة بالإعلام الإسرائيلي الذي يزيد من نشراته الإخبارية بشكل كبير جداً، إلى درجة يتحول معها الإرسال الإذاعي إلى بث مباشر يغلب عليه الطابع الإخباري، كما حدث خلال اندلاع أزمة الخليج.

7 ـ منهجية الإقناع والإيحاء:

يعرف الإقناع بأنه تحويل المعلومات التي يراد إيصالها إلى مبادىء لدى الجماهير ووجهات نظر وأنماط سلوكية. ويعتمد الإقناع على المعلومات والحقائق والبراهين والصور. ومن يملك المعلومات ويستطيع إيصالها أولاً هو الذي يمكنه إقناع الرأي العام وكسبه، بغضّ النظر عن أخلاقية سياسته وأهدافه. وهذا يذكرنا بما قاله غوبلز، المسؤول الأول عن الإعلام النازي «كل من يقول الكلمة الأولى للعالم فهو على حق».

أما الإيحاء، فهو طريقة في التأثير النفسي من خلال الأعمال الحقيقية، يهدف إلى إيجاد فهم غير صحيح للمعلومات، لأن الإيحاء قد يؤدي إلى أفكار لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة. ويعتمد الإيحاء على حاجة موجودة لدى الإنسان، وهي استعداده للإحساس وتفهم وقبول المعلومات بدون بذل جهد كافٍ لبرهنتها بشكل منطقي، وذلك بالاعتماد على مكانة مصدر هذه المعلومات فيما يتعلق بمصداقيتها[24]. ويلاحظ، أن إسرائيل تمزج دائماً بين الإقناع والإيحاء لتشكيل

(24) See Social Phsychology and Propaganda, Progress Publishors, Moscow, =

الرأي العام، سواء داخل إسرائيل أم لدى العرب، وذلك خلال فترات الهدوء النسبي أو خلال الأزمات الحادة.

إن المزاوجة بين الإقناع والإيحاء تسهل على السلطة السياسية تضليل الرأي العام وحمله على القبول بأعمالها العدوانية. ففي عام 1897، أرسل وليام راندولن هيرست صاحب جريدة «نيويورك مورننغ جورنال» ومؤسس إحدى الامبراطوريات الصحفية في الولايات المتحدة، أرسل برقية إلى مراسل الصحيفة في هافانا جاء فيها «قدم أنت الصور وأنا أقدم الحرب». وبالفعل، زود المراسل صحيفته بالصور، وقام هيرست وأسياده في الولايات المتحدة بإشعال حرب أدّت إلى احتلال كوبا والفليبين من قبل الولايات المتحدة. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن ذريعة خليج تونكين التي استغلتها الولايات المتحدة لشن العدوان ضد فيتنام[25]. وفي مطلع حزيران/ يونيو 1982، استغلت حكومة «مناحيم بيغن» عملية إطلاق النار على دبلوماسي إسرائيلي في لندن للإعلان عن بدء العمليات العسكرية التي أدّت إلى اجتياح الأراضي اللبنانية، مع أن العمليات التمهيدية لهذا الاجتياح استغرقت وقتاً طويلاً، باعتراف الإسرائيليين أنفسهم، ومن يريد مزيداً من التفاصيل يمكنه مراجعة كتاب زئيف شيف، وإيهود إيعاري «حرب إسرائيل في لبنان» الصادر عام 1984. بل إن العدوان الإسرائيلي هذه المرة جاء ثمرة لتعاون مثمر مع الولايات المتحدة، فقد أعلن يتسحاق شمير، وزير خارجية إسرائيل إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان:

> «إن هذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها إسرائيل بتنفيذ عملية عسكرية باتفاق تام بينها وبين الولايات المتحدة بكل ما يتعلق بالهدف من وراء هذه العملية»[26].

= 1985 Chapter 10, The Socio-Psychological Aspects of Propaganda.

(25) لمزيد من المعلومات حول المحادثة المشار إليها. راجع:

N. Yermushkin, The Spiritual Neo-Coloniolization, The International Organisation of Journalists, Prague, 1948, p.46.

(26) «هآرتس» 1982/7/25.

الأمن والرأي العام:

لكل دولة أو نظام سياسي أساطيره الخاصة فيما يتعلق بتشكيل الرأي العام والتأثير عليه، وتحاط هذه الأساطير بالقداسة، وفي كثير من الأحيان لا يجوز لأحد انتقادها. ولئن اعتادت الديمقراطيات البورجوازية في أوروبا، الادعاء أن الشعب هو الحاكم الفعلي وهو الحكيم العادل، رغم أنها اعتادت أن تضحي بكل أخلاقياتها لخدمة مصالحها الآنية أو بعيدة المدى، فقد استطاعت إسرائيل أن توجد لنفسها أسطورة خاصة لا مثيل لها في وقتنا الحاضر. ومفادها:

«أن الخوف من الخطر الخارجي هو الذي يوحد اليهود، بغضّ النظر عن اختلافاتهم السياسية والاجتماعية... إلخ. وأن أهم القيم التي يقوم عليها المجتمع الإسرائيلي هي البقاء، الأمن ومعارضة إجبار إسرائيل على الانسحاب من المناطق المحتلة»[27].

وفي إسرائيل، يتم تشكيل الرأي العام على أساس سياسي وليس طبقي، أو اجتماعي، فهناك يتضاءل دور المؤسسات الاجتماعية فيما يتعلق بتشكيل الرأي العام، وذلك بالمقارنة مع المؤسسات السياسية، الأمر الذي يفسر مقدرة القيادة السياسية في إسرائيل على ضم فئات اجتماعية متناقضة، ومن أصول طبقية مختلفة في مخيم سياسي وأيديولوجي واحد. وإسرائيل، هي البلد الوحيد في العالم الذي يجري فيه تقسيم القوى السياسية إلى يسار ووسط ويمين على أساس الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي وكيفية حله، ولا يجري الالتفات إطلاقاً إلى المشاكل الاجتماعية أو الطبقية[28].

لقد أصبح الأمن في إسرائيل «هو قبة المعبد التي تحوي كل العناصر الأخرى الموجودة في الصرح» أي أن الأمن هو حجر الأساس في الرأي العام الإسرائيلي، لأن الدين الأمني هو الذي يربط كل أفراد التجمع الاستيطاني رغم كل الاختلافات القائمة بينهم.

---

(27) Asher Ariar, Ilan Talmud, T. Herman, Ibid.

(28) Ibid., p.2.

وفي الواقع، هذه ليست سمة طارئة في حياة المجتمع الإسرائيلي، فقد بدأت عملية تشكيل الرأي العام بين اليهود في فلسطين منذ أواخر العشرينات وبالتحديد منذ أحداث ثورة 1929، حينما بدأت الحركة الصهيونية تنسج خيوط أسطورة وحدة المصير لليهود الموجودين في فلسطين. واستناداً إلى تلك الأسطورة، بدأت بلورة استراتيجية الأمن القومي الإسرائيلية[29].

وفي الثلاثينات، ظهرت المنظمات الصهيونية الإرهابية ومن بينها الهاغانا، التي حظيت بأكبر قدر ممكن من الاهتمام لدى الصهاينة، ولم يكن الهدف من قيام هذه المنظمات هو الرد على الرعب أو القيام بالأعمال العدوانية ضدهم فقط، بل تجنيد القاعدة التحتية للتجمع الاستيطاني في منظمات شبه عسكرية تحول ذلك التجمع إلى ما يشبه الثكنة العسكرية، مما يسهل عملية قيادته والتحكم به وتوجيهه بالطريقة التي يريدها.

فمن خلال العسكرة شبه الكلية للحياة في المستوطنات الصهيونية خلال فترة الثلاثينات والأربعينات، وبفعل وجود المنظمات الإرهابية التي تحمل السلاح، استطاعت الحركة الصهيونية أن تضمن استمرار التجمع الاستيطاني في حالة طوارىء دائمة، دون أن يفسح أي مجال للاستفسار عن ذلك الوضع أو مشروعيته. بل على العكس، فكلما ازداد تطرف القوى السياسية الصهيونية، ازداد الحديث عن الخطر الخارجي والخوف من الإبادة.

وبعد عام 1948، تبنت الحكومة الإسرائيلية الأسلوب ذاته، مما جعلها ترتفع فوق مستوى الخلافات الحزبية الفئوية فيما يتعلق بمسائل الأمن القومي. وهذا ما يقوله نعومي كيس،

> «بالنسبة لإسرائيل، عندما يوجد خلاف في الرأي حول مسألة ما، فالرأي العام الإسرائيلي يميل إلى تبني رأي الحكومة حالما يتم الإعلان عنه»[30].

---

(29) Ibid., pp.16-17.

(30) Collin, W., Domestic Politics and Foreign Policy, an Introduction to International Politics, Chicago, 1974, Quoted, from Asher Arian... etc. p.23.

ولقد بات أسلوب الحكومة الإسرائيلية في طرح رأيها في المشاكل الأمنية الدائمة أو الطارئة واضحاً، وخصوصاً عندما تريد التمهيد لعمل عسكري عدواني جديد، وهي تستخدم أسلوب الادعاء بوجود إجماع قومي حول الهدف من الأعمال العدوانية. إن «الإجماع القومي» هو أحد أساليب تشكيل الرأي العام في الوقت الحاضر، حسب قول غرامشي:

«إن الحكم في العالم المعاصر لا يقوم على استخدام القوة الغاشمة، أو السلطة العارية، بل يعتمد على استخدام الإجماع القومي... فالنخبة السياسية تكوّن الرأي العام، وتحدد شكله، وتضع حدود الخطاب فيما يتعلق بالقضايا السياسية. وتتلقى الفئات الاجتماعية الدنيا قيمها الاجتماعية من النخبة السياسية المسيطرة»[31].

ويعرّف الإجماع القومي بأنه إجماع حول الأهداف القومية بصورة أساسية، وهو يحدد درجة القبول التي تحظى بها أهداف السياسة الخارجية، وكذلك الحدود القصوى التي يمكن أن تسعى الحكومة إليها. والأجماع القومي هو معيار الاتفاق فيما يتعلق بالموقف من السياسة الخارجية، وهو يشكل أحد الضوابط التي يواجهها صانعو السياسة، خصوصاً في المجالات الدولية والعسكرية. ويتلخص الإجماع القومي في إسرائيل بعبارة «الدين الأمني»[32]. وأسلوب إقناع الرأي العام بأن الافتراضات المغايرة، أو آراء الخصم، أو من يدعمه، قد تؤدي إلى نتائج مدمرة بالنسبة لإسرائيل. مثال ذلك الموقف من فكرة الدولة الفلسطينية أو الانسحاب من المناطق المحتلة.... إلخ.

(31) Asher Arian, Ilan Talmud, Tamer Herman, p.68.

(32) See Israel and Its Defense Establishment, The Social and Political Impact of Protracted Conflict, Edited by Moshe Lissak, and essay entitled Israel. War in Lebanon, New Patterns of Strategic Thinking and Civilian-Military Relation, The author Dan Horowitz.

دان هوروفيتس أستاذ مساعد للعلوم السياسية والاجتماعية في الجامعة العبرية، في القدس وهو أستاذ زائر في قسم العلوم السياسية في جامعة ميتشيغان، ويعمل دان هوروفيتس مديراً لمعهد ليونارد ديفيس للعلاقات الدولية. كتب العديد من المقالات حول الصراع العربي الإسرائيلي، ومفهوم الأمن القومي والتكوين السياسي لإسرائيل، وله عدد من الكتب.

وأسلوب جو الإلحاح الذي تطرح فيه الأمور وكأنها غاية في الأهمية وخطيرة جداً ولا تحتمل التأجيل، وتعمد تضخيم الأخطار التي تحدق بإسرائيل والتي لا بد من التصدي لها. فقبيل الاجتياح الإسرائيلي للبنان، تعمدت إسرائيل المبالغة بالخسائر التي لحقت بالمستوطنات نتيجة للعمليات الفدائية، وكذلك خسائر إسرائيل نتيجة للعمليات في أوروبا. وأثناء الحرب وبعدها، جرت المبالغة في حجم كميات الأسلحة التي استولى عليها الجيش الإسرائيلي من الفدائيين، وفي الوقت نفسه جرى تعتيم إعلامي شديد على خسائر الإسرائيليين.

وأسلوب الخداع والتضليل يعتبر كثير من الكتاب الإسرائيليين الاجتياح الإسرائيلي للبنان تجسيداً فاضحاً للخداع والتضليل الذي تمارسه الحكومة الإسرائيلية. فقد قيل للرأي العام وللمعارضة المعراخية، أن الحرب سوف تستمر فقط 48-72 ساعة. وأنه فيما يتعلق بالسوريين، فإن الحكومة دأبت على تكرار أنها تتجنب المواجهة معهم حتى أثناء احتدام المعارك في البقاع وعلى طريق بيروت ـ دمشق.

وإمعاناً في التضليل والخداع، طرح بيغن مبدأه المعروف:

«حروب بدون خيار، وحروب مع وجود خيارات أخرى تمهد الطريق لإمكانية استخدام القوة العسكرية لفرض نظام سياسي جديد في الصراع العربي ـ الإسرائيلي. . . وأن إسرائيل يمكن أن تحسن وضعها التفاوضي من خلال لعب دور الدولة المجنونة التي لا يمكن لأحد أن يتوقع تصرفاتها»[33].

وهكذا، استبدلت ذريعة الحدود الآمنة بذريعة أخرى، وهي إسرائيل دولة إقليمية عظمى، لها مصالحها الخاصة ولها حرية الدفاع عنها بالشكل الذي تراه مناسباً.

---

(33) المصدر السابق، ص 51.
راجع أيضاً مقابلة مع الجنرال احتياط بيني بيليد، قائد سلاح الجو، هآرتس 1982/6/2 ومقابلتين مع روفائيل ايتان، رئيس الأركان الإسرائيلي أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان، هآرتس 1982/6/25، وهآرتس 1982/7/2.

دور الرأي العام في السياسة الأمنية:

تُعنى إسرائيل، كغيرها من دول العالم، بتأمين الدعم الشعبي لسياستها الأمنية، وتلعب آراء قادتها دوراً كبيراً في تحديد مواقف الشارع الإسرائيلي من القضايا الأمنية المطروحة، ويتم التركيز على التصورات حول الوضع الدولي: في مرحلة الاستقطاب الدولي إبان الحرب الباردة، كان هنالك تركيز شديد على خطر الاتحاد السوفياتي، سواء مباشرة أو من خلال تسليحه للعرب، والتوجه نحو الحرب واستخدام القوة عبر مرحلة إثارة المشكلة، ومرحلة الإعداد للحملة الدعائية، ومرحلة الهجوم المباشر، ومرحلة إضعاف الخصم، ومرحلة تضخيم النتائج التي حققتها إسرائيل، وتقويم القوة العسكرية، أو موازين القوى العسكرية وانعكاساتها المختلفة على حرية الحركة العسكرية الإسرائيلية، وحريتها في التحرك الدبلوماسي والسياسي على الصعيد الدولي.

ومع ذلك، يلاحظ أن دور الرأي العام في السياسة الأمنية محدود جداً. فالمسائل الأمنية واتخاذ القرارات المتعلقة بها، هي مسألة غاية في المركزية وتبقى دائماً محصورة بأيدي النخبة السياسية والعسكرية الحاكمة. أما مهمة الرأي العام، فلا تتعدى تقديم الدعم والتأييد للقرارات المتخذة. وعندما تحاول بعض الشرائح الاجتماعية انتقاد الحكومة الإسرائيلية بسبب سياساتها الأمنية، تضطلع قوى سياسية متطرفة بمهمة قمع تلك الشرائح والتصدي لها، كما جرى في أعقاب تسرب الأخبار عن مجازر صبرا وشاتيلا، عندما تصدى أفراد عصابات صهيونية مثل كاخ وغوش إيمونيم وغيرهم للمتظاهرين اليهود في تل أبيب.

وعندما اضطرت الحكومة الإسرائيلية إلى الانسحاب من لبنان، لم يكن للرأي العام الإسرائيلي أي دور في صدور هذا القرار، الذي كان نتيجة لتصاعد المقاومة البطولية التي واجهتها قوات الاحتلال في كل المناطق التي تواجدت فيها، ولم يتحول قرار الحكومة الإسرائيلية بالانسحاب من الأراضي اللبنانية، باستثناء الحزام الأمني، إلى معطيات انتخابية. بل يمكن للمرء أن يقول إن الانسحاب من لبنان لم يؤثر في نتائج الانتخابات الإسرائيلية للكنيست التي جرت عام 1984.

والنتيجة التي يمكننا الوصول إليها، هي أنه عندما يحدث تحول في السياسية الإسرائيلية يتم الضغط على الرأي العام الإسرائيلي كي يتماشى مع هذا التحول بشكل عام، ولو ترافق ذلك بحدوث عمليات احتجاج مثل تلك التي حدثت عندما قررت حكومة بيغن الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وإخلاء المستوطنات الإسرائيلية، ومن ضمنها مدينة يميت.

إن الوظيفة التي اختارتها إسرائيل لنفسها كخادمة للإمبريالية العالمية وللرأسمال اليهودي المندمج بالرأسمال الاحتكاري العالمي، قد وضعها في تناقض مع السير الموضوعي للتاريخ بصورة عامة، والسير الموضوعي لتاريخ شعوب المنطقة بصورة خاصة، لقد أدخلت إسرائيل في جسم المنطقة بقوة السلاح ولا يمكن بقاؤها بدون ذلك.





المحتويات


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

. . . في هذا الكتاب سعى المؤلف إلى معرفة دقـائق الأمور التي تتحكم في تشكيـل العقـل . . بحث ونقب في العشرات من المصـادر والمراجـع ليقـدم للقـارىء قراءة شـاملة وواعية لتشكيـل العقـل الصهيـوني، وربمـا من حقنـا الإدعاء هنا بأن كتاب «الصهيـونية تعلم الحقـد» هو واحـد من قلائـل الكتب التي كُرست بعمق وبتوسع للوقوف على حالة لا يعرف خفاياها الكثير منها .

وإذا كان وعي الإنسان يتشكـل من خلال الـدين والإيديـولوجيـا والأدب والتعليم وتكوين الرأي العـام فقد خلقت الصهيـونية من الإحسـاس بوحـدة المصـير بين أفـراد التجمع الإستيـطاني الصهيوني أحـد مرتكـزاتها في تشكيـل العقل مستخدمة في ذلك الأحـاديث عن مجازر النـازية والفـاشية ضـد اليهود والأحاديث عن اللاسامية ، وغيرها لأجل إعادة إنتـاج العقلية النـازية القـائمة عـلى التفوق العـرقي العنصري، وتقديس العنف ومعـاداة الشعوب الأخـرى جميعاً .

إن هذا الكتاب يقدم صورة كـاملة عن مراحـل تشكل العقـل الصهيوني ، بـدءاً من الدين وإستغـلاله وبـالمناهـج التعليمية وتـزويرهـا ومروراً بـالأدب وإسقاطاته وبالإعلام وترويجاته وإنتهاءً بدور الجيش وتزييف التاريخ .

كتاب «الصهيونيـة تعلم الحقد» من الكتب التي نـرى أنها تستحق أن يقف القارىء معها فهو نافذة نطل عليها لنتعرف على الكيفية التي يعمل بها أعـداء الأمة العربية ، وكيف يفكرون وماذا يخططون ، خصوصاً أنهم يـرددون قولهم الشائع «إننا أمة لا تقرأ» .

دار الملتقى للنشر